

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY





T 2487

Ṣarrūf, Fuād

على الطريق

(Alā al-ṭarīq)

آراء ومعارف لمحمد سعيد عن طريق الحياة

مع انقضاء اربعة ايام الى
الذبح والشفيع انقضاء
الخير

front

فؤاد صروف

١٥ ديسمبر ١٩٥٨

قوله لا اله الا الله

بشرى ارا ملك

N.Y.U. LIBRARIES

س. ع. حسن
نيويورك

مطبعة خاصة ومطبعة

١٩٥٤

B

Rear East

AC

106

S27

1954

C-1

الحمد لله
إلى سيرة أخى المرحوم
أحمد سامح الخالدي

كان أحمد سامح الخالدي ، رحمه الله عليه ، مربيًا عريبًا
عظيمًا ، ووطنياً عريباً عظيماً . ولست أدرى أكانت التربية
طريقه إلى الوطنية ، أم الوطنية طريقه إلى التربية . لست أدرى
أكانت تربية الشباب العربي ، هي التي أتاحت له أن يسّ النار
التي تغلي في قلوبهم فأمن بالقدوة الكامنة فيها ، أي آمن بمستقبل
الأمة العربية فصار في طليعة وطنيها العاملين ، ولا أنا أدرى
هل أدرك أولاً بفطرته السليمة أمث القوى المدخرة في النفس
العربية ، لن تتطلق أقوى انطلاقاً وأوسعاً ، ولن تجدي أفضل

الجدوى وأعظمها ، على الوطن العربي إلا بالتربية الصحيحة ،
فصار في طبيعة مرني الجبل . ولكن أياً كان الدافع الذي دفعه
في طريقه ، فقد كانت الوطنية والتربية ، قوتين متفاعلتين في
نفسه ، ما تردد له نفس

في الكلية العربية في أعالي القدس الشريف ، وفي دير عمرو
إلى جنوبها الشرقي ، أذكره واقفاً ، رأسه مرتفع ، وعيناه ممدودة
في إشارة بليغة إلى ما يتوي أن يفعل ، وعيناه ترمضان النظر
إلى الأفق البعيد ، فيرى الرؤى تتجدد بين يديه ، لا يضعف
إيمانه ما عاثه من قبل ، من قلة مال ، أو قلة معاونة ، أو قلة
ثقة من الناس بما يريد . وعلى قمة الروبة في دير عمر أذكره واقفاً
تلك الوقفة ، وهو يقول : أينام الثورة نستنقذهم هنا من البوار ،
عقلاً وجسداً ، ونندخرهم لمستقبل هذه الأمة ، وأرض الأمة التي
لم تزل مهتلة منذ عشرات السنين ، نستنقذها هنا أيضاً ، على أيدي
أينام الثورة ، فتم النعمتان : نعمة استنقاذ البشر ونعمة
استنقاذ الأرض - المرني والوطني اجتمعاً في حيز أحد سامع
الحالدي .

[من رسالة المؤلف في حقبة تأييد أحمد سامح الحالدي التي أقيمت في الجامعة
الأميركية في بيروت ، ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٩]

فصول الكتاب

صفحة		صفحة
١٢١	نحن وانتم	- ١ -
- ٣ -		١١ رسالة الرسول - اليوم
١٣٧	صدمة الجناح الفضي	١٧ وحي بيت الحكمة
١٤٦	معانٍ مجنحة	٢٥ التحدي والاستجابة
١٥٨	الذرة الكاشفة	٣٥ الحريئات
١٦٩	الانسان ما هو ؟	٤١ مدرستي
١٨١	ثروة في دقيقة	٥١ تعبئة كاملة
١٨٩	ربة التاريخ تبرز اصبعها	- ٢ -
- ٤ -		٦١ نحو عالم افضل
٢٠١	صاحب المعلم الثاني	٧٠ صفة العصر
٢١١	مي والمقتطف	٧٨ الطعام والسلطان
٢٢٠	يومان وشاعر	٩١ موعد مع الرجاء
٢٣٠	الخصاء والجبل	١٠٢ عقدة العصر
٢٣٦	مكتبة ورجل	١١٢ قمم العصر الحديث



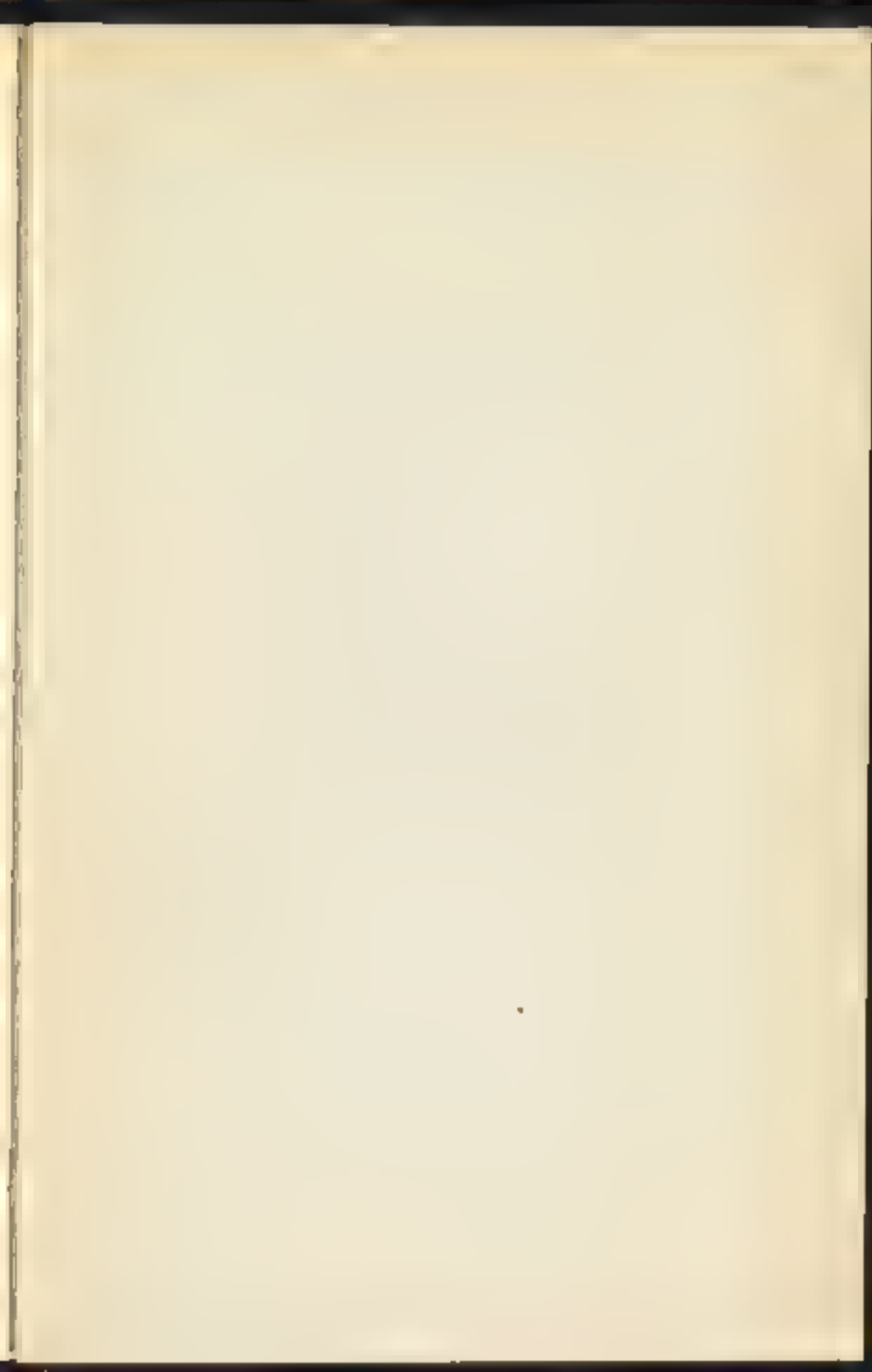
أن تضيئ شمعاً صغيرة
خير من أن تلغى الظلام

عبد الله بن عبد الله
وهبة العبد العبد



« ان العزم الاسمي من التربية ، ومن الحياة
 نفسها ، ان تقترن المعرفة بالحكمة ، فالمعرفة
 هي طريق القدرة ، والحكمة هي طريق الفعيلة ،
 وكل معرفة بغير حكمة هي معرفة ناقصة ،
 وكل قدرة بغير فضيلة هي قدرة تنطوي على
 خطر وقد تنتهي الى ان تكون قوة مدمرة » .

[من حصة « الحرب » التي تمت في اجتماع الجمعية في
 جامعة بيروت لأمم حنة ٢٩ حزيران ١٩٥٣]



رسالة الرسول - اليوم

من لي لسان شعر ، أود به عليكم ، أيها الأحرار ، نجمة
شوقي بأحسن منها ، فليسعد القلب ، لا يسمع اللسان ، وإذا
كان الرفق .. والأمروءات وأهدى وأوفاء ، قد وجدت يوم مولد
عيسى ، عليه السلام ، كما أنشد شوقي ، في الرسالة التي عمرت
بصياها الحبة العرسية ، وهدنها لي مبرع الحق والخير والرحمة
والقوة ، قد وجدت يوم مولد الرسول عليه السلام .

في أوائل الثلث الأخير من القرن السادس الميلادي ، ذهب
إلى لقاء ربه بوسيباوس ، غاهل يريطة ، وكان في أوجها

يومئذ ، ذهب عن عـ صل فروناً سهره آتت بسبب ، من فصاحة
 اليونان وحكمتهم ، وهبوب يراا ورخرها ، ولسطاب رومما
 ائند اوراق . ولكن الفصاحة كانت قد حرس لسمما و كاد ،
 والهموم قد خب شعب بداعها ، والبطالان ائند اوراق ، قد
 انكش حد ومال مائة ان ائندامي وقد جاء حد من
 ارمين ، ذهب فيه الصرى ان ير حه قد بعد عهد رومما
 وابيوناب ، بن فلسفه وحكمة ومن وسطاب ، ولكن . يكـ
 بعضي يوسسيابوس ، حتى شد سرديت الضعف في عضاد العام
 واوصله ، ودا علق يوس على معاني الحصاره بعد صيبه ، فقد
 حد لحدل بحن الفكر الاصيل ، والاضبع بحن انفه ، والشهوه
 بحن تفوى ولايين ، فحارب المومس ، وصارت لا شوق فيها
 الى حير ، ودا نطلع الى عنة ور ، الا فاق سحدي العريفة ، و
 من ان يكون

وم تكـ تمضي حمن سوت ، على وفاة داث العاهل ،
 حتى نهـ ولند على سرة عريفة كرمه ، في رحن كثرها فلاة ،
 تقطنها قذائل متفرقة ، كل يوم من صراع سند مع الارض
 وخو ، من احن الزرق ، وقد كان هذه القائل شعر وبخارة
 وشيء من حصاره ، ولكن شعبهم كانت كثيرة ، ولهم حاسم
 متعددة وصنامهم اثبات

من كان يستطيع ان يصور يومئذ ، ان قرأ واحداً من

الرمات ، ذيكادير . حتى ترى اقباع وليد قريش ، وحمله
 الرسبه الى قفاه ، وعسا . قد فتحوا صبا آسيا البريطة ،
 وكل فارس ، ومصر ، ومعظم افرقيبه الشماليه ، وشرفو على
 ساسيا ، وصنعوا حدود بحريه عرموا به سطون بريطة في
 مرقعة ذي الصواري . و . يسعوا بالفتوح ، بل بذروا في الارض
 وعرسو في عروس والعقول بدور حدره حسب حدره عمية
 فرود مواله ، ثم بحث معه هذه قرون مواله من بعدها .
 قدوا سمحات . ربح من عدوا سوى في . رى القسلة الشاعه على
 الدهر ، كوكبه من ، عزم ، في الدب والدمر والقاسم والطلب
 وريضة والفنت والكسما ، والخرافة والريج ، كالكوكة
 الى بحس احضاره العربيه من هارون الرشيد وان رشح .

يوم مولد رسول ، كان في ربه العرب يدنا . هات
 خلقه العربيه في ذريح الشر ، في العائل امة منسقة ،
 ودا الشر ، ودا الالهجات لعه العربيه ، ومن احسب
 الامه على نعمها ودا فك مصعب يهوت . وكان يوم مولد
 الرسول يدنا . يضا ، قلاب . بر من حده الناس جميعا فرود
 بعد قروب ، حتى حيز العقول ، ودا المزدحون والفلان يبحشون
 ويتدرون ، عاظم ان يجدوا تعليلا لك كان ، وانسر تعليل
 ودا . في الحق ، هو ان الله حل حلاه دا ما اودع سره فمن
 يصطفيه من عباده ، فقد علم العقول التي ترو وتفس ، وانكس

اسعوس مؤمنة بحسبه مئاً ونعس كعس الشمس . ولا تران
ارصه به الى هل في ذلك اليوم ، رسه سبع الشر على
الارض ، وقوة حبه يعصب في كل قدس ، لمي وفي كل
ميران اساني

بحس على الالم ثوار مصوي صبا على صبا ، و بسبح
فص مع شوب الساء ، و كتيبا نصيبه ، رسه حتى قيام
الساعة ، فارا كاب ، فف بها قد فقت نمب بسبها و باخبا ،
وانت مساحد املها قد كحد من مركب الدج من مسوي
الواب . وقد سام حور وعدوا ، فلا عس بها ، و با
حس فابا د بسحب ، و اسحب و حور عس ، وقد
يتز هي د الحق منب ، فلا ترى الشام ، و هر كصه فلا بسبق
اله الاسبه واربع ، ثم يدوي بها صبيحة من وراء الجباب ،
حسبة في رحل اصعبه امه ، و دا بضر في بصره رجه ، و دا
طاق في قوله قوة ، و عمل فهو السدود و ثش ، و دا الصبيحة
دعصف بالعب لمسكين كموجة صاعيد ، و بالعب المطمان كشر
يقص فيه مكر ، و بالاراده ابراده ، كآبا نار الكور فتصفا
حتى يصير صلب من الصلب ، و ارصاد في لموقد الخامد
يشتر شروا ، و دا الحق ادي كاب تراه و ذا بحر كها ، برحف
عسها فلا قبل ، د بالاسلم به وله ، و دا الامة نفسن اسفحة
العب

و نحن ندخل الساعة ، لنحتفي بذكر اليوم ، ادينا ودع
 لله فيه سره في خبرنا ، فمت رسولاً و هادياً ، و جعل دعوته
 رأس مسار من التدرج الذي يجب ان ينفذ ، لنفسي نادنا الى
 الماضي ، و نحدد بعينه في حاضر ، و نرمي ببصيرتنا الى ما
 وراء الافاق ، و نحن نرى ما نكون لصيغة جديدة نزعنا
 عن طينتنا و براكلنا و مرفنا و جمعنا ، و لكن الصيغة نفسها
 ما تزال سوي من وراء الثوب ، و لكن ما في الحدة ان
 يكون الناس آذان صمغون ، سمعهم في دايم ولا يسمعون .

فكل من ذهب عنه و عداها بانفسه و التقوى و العلم
 و الرعة الصادقة في الخير ، يستطيع ان يسمع ، هي صيغة
 العظمة من الماضي ، حيث ان سبروا على السمع القوي ، حتى
 نذكرنا حدة يسمعهم اذ حداد ، وهي صيغة الضعف من
 الحاضر ، تستغرقنا عن الرسي و موطئ العيش الى الجهاد الاكثر ،
 ففي ايدينا جميع عناصر القوة و العظمة ، ولا يعور سوى
 الاعمال و الوحدة و العمل المتصل ، وهي حصة من وراء الآفاق ،
 تحيي اليوم ، كما جاءت يوم مود الرسول ، على عالم يعيش في
 الفسق بعد الشروق ، و تهدر في عو - انا ان أعظم لتدهور في
 حياة الناس ، انما هو ان يتدهور مثلهم العبد .

ربنا اهدنا سواء السبيل .

وحى بيت الحكمة

لا اكاد التفت في الحزن بعد احسن اى جمعه العم في البلاد
العربية ، حتى يحملنى التأمل فيها ، على حجة لا تزال تقوي
الفروب الماحيه ، حتى تسربلى فى معدد ، عند اليمة الثلاثين
بعد المئة الثامنة ، من التاريخ الميلادى ، فإذا أنا أمام (بيت
الحكمة) لىدي نشأه خليفه المامون ، فجعله داراً للكتب ، ومجمعاً
للعلماء ، ومكتباً للترجمة ، فأوفى حاشعاً ، فهذا البيت ، كان
مبب حركة من الحركات العاصلة فى تاريخ الفكر الانساني ،

حدث ربع من محبة الادب عنه القصة ، في بيروت

يتوسع على مستوى رفيع واحد ، مع أكاديمية ، فلافو -
و ميوزم (سكندرية ، ومعهد ورنا في عصر لاحق ،
وعهد لاستشارة ، ثم جمع العنصر في عصر جديد .

وليس باب الحكمة بحجة أي شهادة تركي مهول في
تاريخ الفكر العالمي ، ولكن وقع عرصة على شهادة لروبرت
بريغوت صاحب كتاب « شدة لاجابه » حيث أن أورده
وقد فرد المزاميل وأبى حكمه ، فضلا جاب ، واحد من اسم
اللب رداً ما سداد العرب من يد حدة حتى الدهر ، ان الشدة
اللاينة ، فاسي و بعض ، ولكن ، ثمة العلة المتكسر المصعب ،
وهو ان الكتاب الذي يرب الامتلاء توارينه الدقيقة ، وقد مهد
له ، بعد كلام طويل مفيد عن عدم احضاره السريعة وجودها في
عهد « حير » برغم معاصم ومناهيها . ثم قال ان الشدة التي
سرت ان حضرة الاوربة ، المسعنة ، فادوات هيا محاض
الطريق ابوعر ، لتسر اول ما سرت من اخر الحامد تحت
كروم ارماد اسلحه عن حضارة العرب وارومين ، ولا من
غرة الشمال ، بل من العرب .

و لحق يقال ، ان ما ابدعه العرب في ميدان العلوم قد اسي
الدهر على جانب كبير منه ، وهل أن نجد في ميدان العلم شيئاً
دائماً ، والحقيقة العلمية ، هي تبدأ باب البحث المستمر والتفصيل

يدعي لا يغير ، ومذهب العلم بتدليل وتفسير وفقاً لما يكلفه
 للجنة ، وسنهار ويقيم مقامها ما يقتضيه الأمر والتسويق العلمي .
 وقد يكون دراسة ما أبدعه تراثاً في التاريخ لغير العرب ،
 ويخرج عن الأصول حتى يرد العنصر في ضوءه ، ولكنه في مبرنة
 الركن في صرح حاشا جديدة ، وهو عنصر لا عني عنه في
 عهدنا لا يصرح بالاعتماد على لا بد أن يقع عيب ،
 ونحن في عصره العبد . مثلاً لا سخط عن لا بد لا بد .
 وقد يكون من المنة أديباً وخصاً في بعض آرائه في ضوء
 وقد يكون سخط الإنسان قد يدل على بعض آرائه الصائبة .
 ولكن ذلك لا يعني اليوم بقدر ما يعني أن أهمه قد أبدع
 في علم الحضارة مد ألف سنة من أرميا أو تزييد ، ونسب
 اختصاراً حديثه قد حدث عنه ما يدعى فكراً ما عطي وما أخذ
 عنه ، لبنة في بناء صرح العلوم الحديث . وقد يكون مثاب
 المؤلفات والرسائل التي ترجمها ونقحها رجال بيت الحكمة ، أو
 غيرهم من سبق عهدنا ، أو بعده ، ثبت لا يرجع إليه إلا
 لمعرفة الرئي الأخير في هذه المنة العنينة أو بيت ، يدل ذلك
 في نظري يأنى في المنة الدالة ، للمعري السريجي الأول والأهم
 المتنوع من ذكر بيت الحكمة . هناك جمع الخلق حاشية من
 الرجال ، بغير تمييز بين عنصر أو مذهب ، وأطلقوا هم حرية
 البحث ، وأمدوهم بالمال ، وعمرهم بالرعاية ، وشجعوهم بالاهتمام

بما يفعلون وتتعدتهم على غيرهم من اناس ، فاطلقوا يبحثون عن
 كتب العلم القدم يجمعونها الى العربية ، وطوفوا في قطار الشرق
 الاوسط جميعاً بجمعهم احتاش ويصفوها ، واثقوا انفس
 الكتب في صورة الارض وطبعتها وما فيها وما يحيط بها ،
 ورادوا مباحث الحساب وخطير والصك والكسب واندعوا فيها ،
 ورجعوا فيها شهر المؤلفات ، ومنها ما من كتب تدرس في
 الجامعات الاوربية الى كل قرن من الزمان ، حتى ليصح ان
 يقال لهم حلوا رمياً طويلاً معي الدنيا . قال ريمون في
 كتابه اندي شرت اليه في الاسهل ، ان اندي يطلق عليه
 اسم « العلم » ، فام في أوروبا مدحة روح جديدة في الاستطلاع
 وطريقة جديدة في التعريب والاستفراء والتعبير هذه الروح
 وهذه الاساليب ، مردها في أوروبا الى العرب .

فالعرب حفظوا من الصياع ، خلاصة الحضارات القديمة ،
 انصوبوا واثقوا اليها من منكرات غفوها ثم نفخوا الحياة
 الاوربية الجديدة في مسهل عصر الاحياء بهذا التراث المجيد .
 وإذا كنا حين نقرأ العلوم الحديثة لا نجد كشفاً من الكشوف
 الخطيرة الاساسية يعزى الى العرب ، فبجب ألا ننسى ، ان
 العلم مدني للثقافة العربية ، نكتو من كشف خطير ، به مدس
 لها بسر من أسرار حياته .

ولس أدكر ما كان ، لاني حب ناعش في الماضي ،
ولا لأعي به وحب ، مضرراً عن ماعب احضر ونحدي
استقل ، ولكني ذكره ذني حب أن أدكي في هي ونفس
كل من يريد ، إنساناً ناع ما صعه السلف مد أحد عشر هرباً
من تعبد ، حيرة ، الفكر العاقل ، استطع أن يصعه بح ، دا
صحت العريفة ، وحس الارشاد ، وقد كان ارجح أن يصعوه
عنده وسائلهم ، ولحسهم كانوا ذوي مفاء ووق إلى استشاف
المجهول ، فلم يثبهم ، لهم لا تملكون المحرر دي يكون اندقت
والمرقب الذي يقرب العاثر اسعيد ، ولا امطاف ادي بح به
الصود ، ولا العرفة العاقل هي صورها مسير احراء ادرات ،
ولا الصود الكهرمان الذي يحس به نبي ، وصولاً بأصراف
النهار فيصاعف ساعات العمل لمن شاء ، ولا المكتبات الراحرة
بأمر جمع والفهارس ، ولا الكواشف الي تكشف طلائع لأراض
وتفرق الحرائم بعضها عن بعض ، ومع ذلك حفظوا أساس تراث
صحباً فآخر في شئ العلوم ، لا يزال حتى يومنا هذا يهر العلماء
كما كشعوا عن ناحية من نواحيه .

أنا أعمق العصر عصر سرعة ، وأن ارحم على العمل زحام
مستمر ، وأن الزمن قد يتسع لكل ما أن يدرس دراسة تبحر
ذلك التواتر ادي حله العرب وغيرهم من الأمم دوات

اختصاراً إلى شيء في حجبها ، ثم إن بعض من ثباتها
 يقتضيه العصر وتخصبه حياة من حقيق رسالت العيش ووسائل
 الكفاح ، ولكنني أعلم كرم من حقيق هذه الوسائل ، سواء
 عقلية كانت أم مادية ، لا محذور سوى اغتيل الغسل ، في حقيق
 مع نفس القدرة في ذات عينا وتصبح في شيء ، و - بدخ
 ولا مع بيا تضي في حياة العلم والفكر عامة - حالة على
 مؤيد العلم - فاعلمون والفقهاء والعرب وغيرهم ، شقوا
 الصواب الذي كان يمشي آفاق المعرفة في عصر الفكر رسالي
 ووضعو - يدوم ركاب هكس المعرفة ومحمد ، فيقه ان
 مدخل ربه في احسن بعد حوسل مع ادبيات التي غشت على
 حذره ؟

كل حضارة وكل حصة وكل حول حل في حياة الشعوب
 يرتد من حده من أصول الجدة ، اما الاول فهو الفكر الذي
 يصور العبادات التي تحدى ، بها الركائب ، ومنه تنبع القوة
 المحركة ، و إليه ترجع ادراء المدينة والعامة والاجتماعية التي
 تهد صرفاً كات وعرة من فن أو كات غير مصروفة - مذهب
 العلم الحديث في بناء المادة وطبيعة الظواهر ، والنظور العصري ،
 والآراء الاجتماعية الحديثة في الاشتراكات والنظم السياسية
 والاجتماعية هي التي افرغت علمنا الحديث في قلبه لمهود . وهي

جميعاً صدرت أولاً من ادمس لاسبي. ثم تمكنت حتى حصلت
 في حصة الناس كل يوم. ومن ثم فهو البنية الاقتصادية
 والاجتماعية التي يعيش فيها الناس - فكل ما يحدث في هذه
 البنية تصير أولاً من ادمس لاسبي والزراعة والحق في
 استعمال مورثات الطبيعة، يعبر ذلك الى يعيش فيها الناس
 فيعيش بعد ذلك من حسن وقصير في معيار في رثته وعكسها
 وتخرج من كونه واحده

والعالم من مصادرات معجوزات مكتسبين الزمنية في الامور
 الحقة من ادمس لاسبي. ومن ثم في جميع هذه العتبات
 الناس في وشوع الرأى حد يعطي في موضع العتبات الناس
 وسبق في حال ادمس لاسبي الدعابة حوز كات أو شر. وازداد
 الصاعدي في شأن في تقدم احدي في علوم الفلسفة في
 كثير من الرجااء وزاد في مستوى يعيش فيكون في
 نظرية تفسير الاقتصاد في السابح ومن ادمس لاسبي الاشتراكية
 لعدله ونظيره، وفيما بعد بعض الدول وظائفه من الحكومات
 على قواعد تلك المذهب.

و دأب العربية اليوم تقف على حد من الرمن، يتجدها فيه
 ماضيها الجيد، ومستقبلها الغامض. وقد تم جعل العلم المثلث
 بعض عتبات في الاستجابة لهذا التحدي، وأعلى أخص أنها تسمى

متحلقة عن ركب الزمن، مصعقة ضد العدو والحديق كلهما.
و « بيت الحكمة » يوحى اليها اليوم أن عدد الأصدين من
أصول الحياة وعن ميثسها ، وأن يستطيع أن سبي مواردنا
الأسامة والصعقة ثم إماء وأفضله ، وأن لا تانا دسا تستطيع ،
المستمد من ذكر « بيت الحكمة » ينبغي أن يكون ححر
أراوية في مبيع كل معهد من معاهد التعمير ، وكل وسيلة من
وسائل التربة العامة . وقد تحلب كل يوم على عشرات من
مستن الحكم ، وقد مكنت كل يوم الأفا من الكهنت في
التأييد والمعارضة ، فلا تلب الأديم حتى تطوء ، ولا يقى سوى
ما لعمله من عمل نافع يدكى في عوس الشباب ، أنهم لحدق ،
نسيم يستطبعون ، ونهم من يستطعوا إلا إذا حردو بعضهم
وعقولهم نطق راحة وشدها على القدرة وعلى الخبر .

التحدى والاستجابة

لنعم اليوم في طلب العلم مرحبته ، يسمى لك أن تقوم
عنده نسألوا عيك ، ماذا تطلب منه ، فمحاو المعرفة الإنسانية
قد تلبس من السعة مسعاً يقتضي من طالبها أن يحار المبدأ
الذي يريد أن يحصر همه فيه ، ويقف نشاطه عليه ، حتى يسولي
على مقابله ، ويحير ما فعل ، رجلاً أفضل وأقدر وأرفع . وكل
اختيار يتضمن معرفة العزم حتى يتضح النهج ونسجم .

وهو سؤال ليس بالشئ اليسر على أحد من الناس ، وخاصة

خاصة لقد في حملة بوريم شهادت في الكلمة له به ، سوف الغرب ، في

١٩ حزيران « يونيو » ١٩٥٣

على تشب في مثل أعين . ب يحب عنه ولكن الإحابة
عنه شيء لا يعرفه ولا يرى عنه . و ب يفعل ، كان كس
بحوب الله يعبر بجهته ، أو من يقدم على العبر في
قارب يعبر بوجهه وثقة .

وكثير من التشب يظن الع ، ب أن أهل بريدوسم على
دلت ، و ذلهم يرون في الشهادة ، يرأوا بعد سنت من
الحصل لبعض ، حصول و عصر ، هي ربه في مجتمع ،
أو سلاح يتصوره في كسح الجباه يرى ذنبه ، و ب المعرفة
عن الله على صرب من الاستواء المعنى والعاقبة ، ب السعادة
في الدنيا ، و برودة معدرة على ب يصبر مع الله و عنه

كل عرس من هذه ، عراس ، كان عرساً بترية ، في
عصر أو آخر من عصور التاريخ . و كان بعضها في هذا
العصر ، و أف أوجه . فرعه الأهل على سبها ، لا يمكن ولا
يجوز ب تعد عرساً في حد ذاتها ، ولا القوة الدافعة ، التي
تستطيع الطائفت أن تسمد بها عرساً سنة تعبه في مراحل
الضباب ، و بوعر الطريق مامه و سم . والريرة لأجاعة على
حسبها في عصر ، كان فيه صمدات على المذهب ، حقيقة ب
تعبه لمزونه العالمة في المجتمع . هي شيء ناه في هذا العصر الذي
لا يجدى فيه سوى المعرفة ارمحة التي تشوحي الحزن العام ،

وترسم لصاحبه طرق العمل النافع ، فهو معلم لكي يصنع
 قادراً على أن يعمل ، وب بعض ما هو خير وقد يكون
 الاستواء العقلي والعاطفي ، من حين المعاشرة في الحياة الدنيا
 ندى . لا ساق ، مع مقتضيات هذا العصر المتاح ، ورحل
 الذي يحسن التفكير ، على صوابه الى ان جمعها العلم ، والدراسة
 من بحارب الاساس ، و . و . و . و . و . و . و . و . و .
 بدختر حكمه ، سكره النفس ، قد يكون هو ارجح الذي
 يعني ب يكون هدف كل علم وكل تربية

وقد عرف هذا حكمه وسبع ذاب يوم في شدة حدود
 ما يفعله من الحياة ، و . و . و . و . و . و . و . و .
 والقوة ، والثراء ، والشهرة . ثم عرّض حدوده ، وهو مرهون
 يهوى ، على ما بحرب حكمه ، فصرف عنها جميعاً ففاته (الآخر ،
 وكتب مكالها جميعاً كمنين ، مما سكره النفس ، ثم قد .
 هذه هي امه التي يدخرها انه لأحبائه ، فهو يعلم على الكثيرين
 بالذكاء ، والصحة ، أما المال فليس غير مال على من يصحب
 وكل شيء لكي يجمع له ، ودا جمعه وحد نفسه ، احرأ عن
 لا يستعجى على الحياة رويها أوصى ، وانشال مبتدل
 على كل حال ، والشهرة ليست رشيء النادر ، وأما سكره
 النفس فانه ينجحها بقدر . هذه صفوة من وحي الله جميع الحكماء .

في ناريج البشر على وجه الارض : « جن رب نعم الحماة
الديا نحب اقدم احمى ، واعطى عقلاً مطمئناً غير مضطرب
ومعاً راضية »

بعد ان الرجل ادي يظن مسكينة العن من طريق شقيب
العقل والعاطفة ، يسعى له ان يدرك ، انه فرد في جماعة ، وأنه
لا يستطيع ان اراه ، ان يطمع معرفتها ، بل يسعى ان
يدرك ان شعوره بالمرء ، هو شيء يفكر عليه المسكينة التي
يطلبها ، وأنه حينئذ يبين حواره معه بالناس من ان يبين
حده ، كما وسواراً من حوله ، يحلله عنهم ، فمسكينة النفس
مطلب عسير لن يسهل تحديده ، ذا قرون العز رحمة في سبيل
الحير العام .

وقد قيل منذ اقدم زمنة افكر الاساي ، ان الاناس يحسبون
اجنابى ، وقد كان ذلك صحيحاً قبل ان صارت الطائرات تنقل الناس
في خمس ساعات ونصف ساعة من لندن الى بيروت ، وقبل ان عدت
الامواج الحفية في عرض الفضاء تحمل كل حملة ، من ذي مكان على
سطح الارض او في أعالي الجو ، في حركه من اشدته الى أقصى ضفاف
الارض ، وقبل ان صارت كل جماعة او كارثة في مكان ما الى
سطح الارض ، تنقذ في اقتصاد العالم كله ، وقبل ان صارت
القبائل ابدية ، وما كان على عرورها من اذسلحة ادمرة خطراً
يسعى جمع الناس في كل قطر ان يراحموه ، فالفلسفة ابدية

واحرانهم اعتناكه تدمر ولا تستنى . ومن أجل هذا كله قال
فلاسفة العصور الخديبة ، الحرية ، والسلام ، والرخاء في العالم
هي أهم لا تمحراً ، فكأن حرقه شيء من العبودية . ما دام
في الدنيا عند واحد ، وكل آمن مطمئن لا يران عرصة لخطر ما ،
ما دام في الدنيا من هو غير آمن أو مطمئن ، ولن يثبت
رخاء لأرض ما ، ما دام الأرض التي تخاوره تتردى في
العاقبة والصعفة .

ويد كان الأسباب حداث إجماعاً ، قبل أن صار العالم ما
صار إليه ، من مصالح مشبكة وواحد موعة ، وكيف به
اليوم وليس في وضع أحد ، لا يعرف من غيره من الناس ،
ليس في جماعته وحسب ، بل في جماعة البشر كلها

قد أقدمنا هذا الرأي ، أصبح له ، أن العرش الأول من
التربية ، بل هو أن يكون ، طلب المعرفة حتى يصير الإنسان
حيواناً إجماعياً فصيل وفرد على النصوص تبعاته كإنسان ، وهذا
استقر هذا في نفس الصواب ، فله بعدها أن يطلب ما يريد من
حروب الإحصاء في ميادين الحرب أو الصيد أو الخدمة
أو الزراعة أو التعليم أو التجارة أو السياسة وغيرها . ولكن
ليس له أن يسعى ، لحظة واحدة ، أن كل نظام من نظم المعرفة
يأخذ به عقله ، إنما هو نظام يهد له أن يكون وفرد على الخير ،

إذا هو أحد عه نياً ، وراحها على اعصابي الحثييه والدينية
التي لم تزل حياً لا يابيه السنين مدد كاس البشر .

ولن يكون في وسع مريء ما يسمع من نود ، وحلاً و
امراً ، ان يبتلى في هذه شخصه دامة التي يبتلى بها
بأمدف وآلامها ، وتعبده ، وما يعب ما يبايع بالحكم
وأشياء ومخافتها ، فهو كاهن في سجد مقومات عودها وبها
وعطرها ، وغرها من أدقها وتربية السنين تركو فيها وسدث
تري السنين في كل أرض يذهب فطوره ان حمانه ليوى ما
يسمى به حمانه ، وهذا حديق ما يجسوس على شرب العرب
اليوم ، وقد فحاله انه ان يسي إليها ارجل السنين ، وحدي
عنه وعه كل صاح وكل ماء . وقصة الباربي الاناسي
صته ، هي قصة الحدي سبي وجهه القبيمه و اجماعه ، ان
الانسان فرداً كان أو جماعة ، وكيف استجاب .

تجدد الخوف من العواري قصص الاسرار يسمى ثرها في
الظلام من ان يتي داراً ذات جدران تحده ضرورة الحركة
وقد الاحال ، مسافات تحول أو تحصر قصص العصبه و
الدولاب تجدده الاوتة والامراض ، فكشف الحرائيم ثم أحصعها
لمرءه ، وسئل ستمه وجمعه تزدقاً تاجعاً . تجدده الظلمة ترمي على
المدن الكبيرة ، فصع المصباح الكهربائي والشبكة الكهربائية

تجدد الهواء فطار ، وتجدد الذرة فصنعا وخلق كواكبها .

وليس السحدي الطسعة واجامعه ، حد يقف عنده . فعلى كل عصر من العصور ، يواجه احياء ملاحقة من الرجال والنساء ، نواتنا من السحدي عديداً عصرهم في وجوههم . اما كيف يستحسنه فهو اشق اذ ~~عصر~~ من مادة التاريخ . فكل إنسان في كل عصر ، يستطيع ان يصنع التاريخ ، بما يفعل أو يدع ، وليس لأحد حق في ان يقف موقف الحياد ، امام تجديد عصره ، ذلك ان حياد نفسه هو ان لا يسمع عن العمل ، بل يهتكم بقراره ، على أنه ، ان لا يسمع التاريخ ، وان يدعه مبرداً ، وهذا هو الحد الذي لا أكبر

والسحدي الذي يواجهه شاب امة العربية في معاهد التربية وفي ميادين الحياه ، هو حد خست فيه صوات صاعدة من عور الماضي يقول لهم : لقد كند في التاريخ صعوبات مألوفة فمن انتم فاعلمون ؟

وأصوات متعالية بما يحيط بهم من فقر وضعف وهرة وثرثرة وهي تقول لهم في وسعكم ان تلوهما جميعاً بالوفر والقوة والوحدة والعمل الصامت ، دون القول المرهق ، ويعرق الجبين دون التعني بعرق جبين الغير . فهل انتم فاعلمون ؟

وأصوات تتودد في أروقة المستقبل وراء الآفاق ، وهي تقول

هم المجتمع الذي ينتج هو المجتمع القوي ، والاقوياء وحدهم هم
الذين يستطيعون أن يكونوا حراً ، فهل يستهويكم أن تبثوا
هذا المجتمع القوي . كما يستهوي القوم الشهاء ، عزيمة المصمم
لرائد الأقدام ؟

وكيف ينبغي أن يستعجب الشاب العربي في معاهد التربية
لهذه الجدي « ذا استعجب بتعريف لاس في اسفوس ، على أن
« القدرة لا تزال في مسأول مد ، كما كانت من الماضي ، وذا
استعجب من صلاح القدرة هو لعمد المصمم لا تعرف المعرفة
الذي يقص على انعام ، ويحسم الطمعه لمرام الاعلى . وذا
استعجب من القدرة المستفزة من العلم ، هي والشعر والثقة
الاجتماعية حيوان لا يعترف ، فيومئذ يكون التعليم قد قد
يؤس نرة ، ويومئذ يكون الشباب المتعلم ، قد وضع قدمه على
أول الطريق الذي يقضي في القوة والخير معاً ، فسبحي من ثامه
العيوم الملبدة في سماه حياته القومية ، وراح العفسات الي
تعتري الطريق الوعر ، من لم تحل ، قشعها بقدرته ، ووث لم
تترجرح ، بحاها ونسها . ولا عورة بعد ذلك بطول الثقة ،
وبما العورة هي أن تد السير ، وأن تحيي فيه على يسبح ، وبأن
أدمى المضي أحامض الأقدام .

قد يبدو للقرء مكر أن العرور وحده يقوده إلى الظل بأنه

يستطيع أن يقلل التحدي ، وأن يصنع التاريخ وأن يسدي يداً
 لنصائح أحوال الناس في سمعته ، أو في العلم الأوسع .
 ولكن هذا الرأي هو وهم وحطل . فهي وسع كل من يريد ،
 في حيرة الصيق وفي صلاته الخاصة بالناس ، أن يسدي متيناً
 يثبت شعور اللطف والرضا ، بدلاً من أن يحرك روح السخط
 والغضب ، ويشعر في الميل إلى التنفس دون الميل إلى الفوضى ،
 وبأن يمارس العدالة والاحسان في حله بكل من يعامله ،
 ومن يعرب مثل على احترام القانون في أمور الحياة -
 ومحرم هذه الأعمال يقلل فيها الناس ، هو الفارق بين القدر
 والظافة في الحق ، وبين القانون والقوى في السلطة ، وبين الخير
 والشر في الأمة وفي العالم . فإذا كنت قطعاً سياسياً كبيراً
 كانت بينك كبيرة ، وإذا كنت أحد أوساط الناس كان
 بينك محدودة ، ففي الحال الأولى نستطيع كثيراً أن نثبت ،
 وفي الثانية نستطيع قبلاً أن نثبت ، ولكنك نستطيع أن نصنع
 شيئاً على كل حال ، ولأننا نعي شجرة صغيرة خير ألف خير من
 أن نعلن الظلام . وقد يميل الواحد منّا إلى توزيع فتوره
 وتقاعده عن الخدمة العامة بقوله : ما أقل ما أستطيعه وحدي
 ضد شر كبير . ولكن الشرور الكبيرة ، ترجع إلى شرور
 صغيرة مجتمعة . والخير العظيم يثبت على النوال نفسه . والخير
 والشر ينشعان من أعمال الأفراد - ما يفعلون وما يدعون .

ولا يقتصر ذلك على الأفراد المميزين ، بل يشمل جميع الرجال
والنساء الذين يتقوّم بهم المجتمع

فمن يستطيع أن ينافس النظم والنحاس ، والكذب والقوة
والفاهة واحل ، كل على طريقه ، وفي نطاقه ، سواء أصاق أم
اتسع . ولكن لن نجد في ذلك أن مصي في طريقا بعض طيور
العامر من شعابها ، ولا فعال استعزاء في أعماق نفوسا يجب
أن يدفع أي حركة مصي ، بطريقة مها ، لكن غير مباشرة ،
في إثناء عدم فصل من الله الذي هو ولي يعرف . الصلصال
بين يدي ، ونحن الحزبون ، واكثر حرمة فقرها هي أن
ستتبر وأن لا بالي .

وهذا الروح هو العمري شرف ماسمى الله تربية ، وأشرف
ما ينطلق إليه الشاب المنعم . جدوا الصلصال بأيديكم وامصوا
على بركة الله ، موقعي ياديه وعونه تعالى .

الخنزير

يبي صور الماحي المجيد ، ومسى المتقل المأمول ، ولدت
هضة العرب في العصر الحديث ، وتوعرعت ، بعد أن ظلت
قوام راقدة دهرآ طويلا . فلم تكف النفس العربية تنهل
بعقوبة ترانها القديم ، وتغف من يباسع أديها ونفاسها ، حتى
انقادت في العقول جدوة كامة ، وفي الصدور عزمة واهمة ، ودا
استيعاه الماضي ، والتوق الى بسان متقل كريم ، بحركات
في الاعماق قوة ، سرعان ما أسأرت بالولاء الصادق ، فيجعل

حطلة القلب في اخذه السوء لتوزيع المرحاب لطفية والتهادات لعله
في الجامعة الاميركية في بيروت ، ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٥٣

يحيدنا انما لا يشي .

وقد نجيء على الامم ، انما يعين فيها الدهر ، فيسخر
عودها ، فان لم تصم الخطوب نور العقل ، وصباة الايمان ، فهي
خلقة أن توقف الهمة الراكدة ، وتجهر الفكر ان التبصر طر
في أسباب الضعف ، فتقد النفس أمضى سلاح وكرمه في حراسة
من الاحرار وبومئذ تستحيل الثقة بعبه ، ويصدق قول ابن
حزم كل مصيبة تصيبني في مدرسه الدهر . ان لم تقتني فهي
في قوة جديدة .

في وسع من شاء ان يقيم الدليل على أن يوم الامة العربية
هد ، هو من آدم الدهر العراس ، ولكنني إذ ألفت الساعة
في وحده الشاب المضرة ، أفتوه ، المحفة بالعلم و لايمان ،
وبد أرمي النصر في هذا الحشد انكره الذي جده يسقطهم على
عنة الحافة العامة ، فقول لهم حجتا الي لا توجد ، على أن الحضور
لم تفل من فناء ، وأن السكة قد حارت له في عمومهم وعرائهم
بواقعة جديدة

و ليس الاقبال على التربة ، هو بتجميعه إيمان مستقبل ،
ونأهب له ، واعتزام عنه ؟

ها في لسان ، مد الطليعة والسحفة ، وعلى مشهد من هذا
الحضم الراحر التاريخ ، وهد حبل المهيم للمهم ، قام هذا المعهد

سبع وثلاثين سنة . فكانه كاد ومولد النهضة العربية الحديثة على
 ميعاد . من هنا انطلق أحياء مسعفة من الشباب ، وسرت
 في عروق الأمة العربية ، موجة من الحياة بعد موجة . هنا
 تلقوا الدراسة والتأمن والعدوة ، ان العرض الأسمى من التربية
 ومن الحياة نفسها ، به هو ان تفتن المعرفة بالحكمة في سبيل
 الخير العام . فالمعرفة هي طريق القدرة . والحكمة هي طريق
 الفصيلة ، وكل معرفة تغير حكمه هي معرفة نافعة ، وكل
 قدرة بغير فضيلة . هي قوة دطوي على خطر ، وقد تنتهي إلى
 أن تكون قوة مدمرة .

وقد حرصت هذه الجامعة على أن تحمل عنايتها بكونها الحكمة
 والعقل ممددة على عنايتها بعرض المعرفة . قد أعرف في حياتي
 رجلاً حاداً ، إذا وجدت كتاباً أحفظ منه ، ولا رجلاً عادلاً
 وحسب ، لا لفت رجلاً من منه علماً والكمهم اوصن وانفع .
 ومشكلة الحضارة في عصرنا ليس فيه وسائل القدرة أو ضعفها ،
 بل هي كيف نضعها لتحقيق المبادئ والحرية والخير في الجماعة .
 ولو كانت مشكلة علمية أو صناعية وكمي ، لكأن حلها مبسرة
 فالمرء يكاد يكون صانع الساب ، ولكنها مشكلة خلقية اجتماعية
 في لبها ، وان نحل ، لا إذا قدر لمعاهد التربية أن تروم العودة بين
 القدرة والفصيلة ، وأن تصهرهما فتجعلن وحدة متناسكة في نفس

الاسان العادل .

لنا اذن من بان البلاد العربية لن تلع المدى في يقظتها وثورتها
 ان لم تؤصل في نفوس اسائها رمة همة في استبطان قوى الطبيعة
 بالحب والفهم ، وإخضاعها للعقل المدرب الذي يوصي إليه
 الجاهل فلا ينشئ عن الاقدام ، أي يسعى لنا أن نشئ حيلنا بعد
 جبل من الرجال والنساء ، الذين يردون العلم من أصغر مداهمه
 ثم يتخذونه عرشاً للعقل وعداً لالسان . فيوشد ثنت بأيدينا
 زمام آخرتين : حرية من يعرف ، ويعرفون الحق والحق
 بحركته - وحرية من يستطيع . فإن لم يفعل حسب رجا -
 برعم يقطب - عرصة لمطامع من هو أعمى ما وأقدر ، وبعبث
 نورنا - برعم بلاعنا - كالعاصفة تضرب بسياطها ذات اليمين
 وذات الشمال ، فتدمر وتقتلع ، ثم تسكن ، وهذا حدود التي
 يريد أن تشب في البري ، منظرحة مهشه على الأديم ، وهذا
 العيون التي يشوقها أنه قد نصرها إلى ما وراء مساح البحوم ،
 قد كدر صماؤها فلا تنسى الفجر من العسق .

بيد أن القدوة المشددة من المعرفه الاصلية ، لن تجدي
 جدواها ، إن لم يسيرها العقل إلى غايتها الصحيحة . خير الجماعة
 دلائل النعم لا يحق له في هذا العصر ولا يستطيع ، وإن
 أراد ، أن يمشي في فراع اجاعي ، ويرج من العالج . والمعرفة
 لا يمكن فصلها عن النبعة الاجتماعية ولا يجوز . ولست أجد شيئاً

أوقع في النفس وأدعى إلى الرجاء من يقطر الشعور بالثقة
الاجتماعية في ليدب وأرجاء الأمة العربية جمعاً . إن ادراكنا
بأن مواردنا ضئيلة وإسبابه هي موارد راحرة ، خير لا
يرى فيه ، ونقص ونحدي أن يفسد على عباد القدرة التي
سعتنا . ولكن لمن يكون غره الأسع ؟ ، إن الإنسان
نفسه هو قلب المشكلة ، ودراسة قيمة الإنسان الفرد ، كل إنسان
مرد ، هو أعظم مأثرة للتمارة العربية والحضارات العربية التي
نتها . وإذا كانت الموارد الضئيلة رأس مال يسمى ، إن يستكثر
بالعلم والعمل ، فإن الناس رأس مال أصحهم ونقى ، ولكنهم
ما نتج الله فيهم من روحه ، هم العالم ، في يسمى أن ينتهي
إليها العلم . وذلك فام في هذه الجامعة ، كلية الآداب والعلوم
أولاً . ما يعمل الطلبة بدحائر الحكمة والفضيلة الخالدة على
الدهر ويتمرسون بتشكلات الأساس الاجتماعية والروحية . ثم
قامت بعدها الكليات التي يجب يتدربون على أحدث وسائل
المعرفة والقدرة وأقومها . ومن وراء هذا كله ، يقوم في جميع
الكليات ذلك الرجل الذي لن يحصى ، ن وضعه بأنه ، زارع
يبدد المستقبل في رقة حنة ، و صانع يصوغ الوحدة في عقول
ونفوس مشوفة ، أو حكيم يسير بالمرور والمعاصرة ، حواري
في غنان واحد حتى يرونها ، فاداً أشرف بها على مربية الأسوء
قال لثابته : هيا انطلق يا أباي ، الدنيا ثامك ، فاجعلها في عدك

خير شيئا ما ، مما كانت في أمس وأندك .

ان المعلم في عصرنا اياها السادة - هو الرجل ادي القى
على منكبه وشاح امداء والشعرا .

يسير علما ، ان سحر العالم بلغ تبصير ، مزلتا ، في ناربع
الحصارة الانسانية ، وفي ميزان الصال العالمي ، وبحقيقة ما
يجتاح حياتنا من بقطة على قدرها الكامنة ، ونوره على رصعا
ادي لا يسر - سوى العدو ، ولكن مقطع الامر في آخر
المطاف ، هو كيف تنوي ان تدرب أبناءنا وبنات ، على الأحد
بتلايب الطبيعة ، وعلى ارفع من شأن الانسان ، وعلى لأعد
بأنهم يقدرون - في الحالين - ذا ارادوا . هذا ، دون غيره
يفس من موهبة المساواة التي شدها - لعاطفة ، إلى منزلة ارفعها
الي نأخذها - لقدرة والحكمة ، فتحس لنا الرؤوس .

هذا كتابا بين أيدينا ، وهذا فصله الثالث والتأخر ، وكل
اسم فيه ، هو دليل حي حديد ، على أن هذه الجامعة قد وفت
بالعهد ، ومستضي وفيه له بإذن الله .

مدرستى

هذه ساعة من ساعات العمر ، وهل في الحياة ساعة أروع
من الساعة التي يعود فيها الولد إلى حصن أمه بعد طول غياب ؟
أو من الساعة التي يرجع فيها الطالب إلى روع تربته الأولى ،
ومراتع أحلام صباه ؟ أو من الساعة التي يستقل المعلم فيها وجلا
كان فيما مضى من الزمان ، كالطلي في يد الخراف فتفزع فيه من
روحه ، قصيره تافع وما حاص ، كأحد أولاده الذين تحددوا
من صسه ؟

(١) حطه الفتى في السكة الوحيدة في الشوارع (لسان) في عيده السني
في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٦

وهذه سبعة اجتماع في فيها جميع هذه المعاني . والشواهد
 منها أمي الي حمتي وخصتي ، وأهلها أهلي . وبين هذه أماني
 العريقة ، وأد كأم البصرة ، وحت هذه النساء الصافية ، وعلى
 مرى من هذه الرومي الشم والحر الذي عكست مرآته آيات
 التاريخ . فتحت على أول ما فتحت على آفاق المعرفة
 وسرارها . وهذا الشيخ الفاضل الذي اجتمعما اليوم سكرام
 تر عظيم من آثار قصه الكثير ، كانت في في مولد الوالد ،
 وكان يومه ودمه حاصر منهم والعائف - في ماله الأخوة
 ولاخواب ، ولا يزال . فالنوم عروني مرة وبكاد ادمع
 يعفر أي عني ، دافع لاجبي هذا المعهد النافع ، الذي كان
 وما فتى في الطليعة منذ سبع عام ، في هيئة الشباب لنداء
 الوطن وأخير . بها حقاً لساعة من ساعات العمر .

بعد اثنتي وثلاثين سنة أي واثمة قوماً دون أن أحسن
 التفصيحه ، هذا الشعب وهذا الصنع أفضح من هذا الكلام ~
 بعد اثنتي وثلاثين سنة وقعت على مير هذا المعهد لانتقى الشهادة
 من يد رئيسه اتصال . ولكن ما حدث قل الشهادة ، كانت
 فيما أعلم مطوي سبي ومن الرئيس ، وما أذكره اليوم لأنه يدل
 على سر من أسرار بحاج النفس طموس سعد في تربية الشبان
 والشابات . فقد استدعاني من لحظة بصمة أيام ، وترفق معي في
 إبلاغي أنني وسبت في علم الخير ، في الامتحان التمهيد - أتى وأنه

لذلك المي نفسه مضطرباً ، أن يحس عبي الشهادة الخاصة التي
 تؤهلني ان ادخل السنة الأولى في القسم العلمي في الجامعة
 الاميركية بعير امتحان . وكنت قد عدت خطتي لأقضيها في
 احلة ومكنت على إلتقيها على مسمع من أعصاب هذه التجربة
 البسقة التي تطل على الملعب . وصور من يلحق بمكرامه
 الشاب العرج المعروف من أدنى ، ودا ما عرف بين الاهل
 والأقرباء ، انه قد رسب ، او داسع عن لقاء الخطب .
 فتصير الدمع في عيني وانا حاول ان فسر وحادل . ولكن
 النفس طابوس سعد وجمع يده الرقيقة عني كفتي ، وقاب في
 غنته المحزنة . عبي هذه بعمه . وقد أتيت لك فرصة لكي
 تثبت من هذا العلم ، ومنع العود القوي ، وان كان من الحديد
 الصلب ، ودا بذكرك في أدركي ومن ثمة فيها ، فارجع
 بعصف به فتدبلمه أو تقبمه ودرجه على الارض لفي مهلاً ،
 تريد أن تكون ، في الحياة ذلك العود ، كفتي بسمه من اهواه
 العليل لكي بعصف به . اذهب عبي ، وراجع هذا الدرس
 وثبتت منه وعد ان ادسحان في آخر الصيف ، وانا واثق بآمالك
 موفق إن شاء الله . وقد جمعت . وفي أثناء الطوب في الجامعة
 الاميركية ، كتب كثيراً ما أعود بآدا كثره وني إرشاد النفس
 طابوس ، كما عرضت بي مسألة في احد العلوم تحتاج في حلها
 إلى معرفة آخر ، فتزدد في جواب عبي معاني الشكر الصادق

لما اسداه إلى من يد جية .

وقد نسب الان معظم الجور ، حتى العليل الذي كس
أعرفه بومئذ ، ولكسي لن أنسى ما حدث . فقد قبض القس
طاسوس على مصباح ، يصح به القوب المعلقة ، فسعد بها من ما
وراء العقول من طوايا النفوس . إن كس ابراهيم أعم من
أعم الاساندة وأحفظه . ولكن المعلم الذي فصح بيده عن مش
هذا المصباح ، هو المعلم الحقيق بأن يهيء النفوس والعقول جميعاً
باعتراك الحياة ، هو المعلم الذي يطلع الاحلاق لطابع يقف على
أرمن إن الأيد : ر أم ريد عدهد حواء وأما ما يقع الناس
بمسكت في الارض)

وقد نعت العلماء في استساط المشايخ واوران و الكايل
ففسوا بها ادق هياس وأحكمه كل شيء على الارض وفي
رحاب الفضاء ، من السدم العضم في دوة وأجرائها . ولكن
أحد منهم لم يستطع حتى اليوم فيما أعلم ، أن يقيس تقباس ما ،
أثر أهم النافع في نفس تهيده . إن الحكمة السديدة تلقى في
الساعة المؤاتية ، وإن المثل الحكم يسبق في عرض الكلام ، وإن
الهمة الرفقة على الكف معتزة « يا عيسى » أو ما أشبه ذلك ،
لأنه أثر في كثير من الاحيان من المجلدات الضخمة أو المحاضرات
الدرعة . والقدرة على أن تقول الكلمة السديدة في الساعة المؤاتية

أو ان تدوق اشئ الحكيم في عرض الكلام أو أن تفس الكف
تلك اللمة الرقيقة الي بعد معنى الصداقة للتبديد ، هي نعمة من
نعم الله على المعلم ، شد التجربة من أروها ، وتسع عنها الفطرة
الطيبة ، حناناً وعظماً - هما سر هذا المنافع مفتاح التربية
العاقة . وقد تجتمع للطلاب وللأساد جميعاً معرفة واسعة
وداكرة متوفرة وأسباب التفكير المستقيم ، وبم يصنع العلم
نفسه ذلك الباب الحق الذي ينبغي به إلى أسرار النفس ،
فلما صاعت المعرفة وداكرة والتفكير ودعت مدداً أو ربي
انقست شراً مستظيراً .

كانت المعرفة تطلب في عواصي الأنام لتكون حبة يرداها
أصحاب المال والجاه فتسيزم عن سائر الناس . أو لتكون
رياضة للعمل ، كما تكون الألعاب رياضة للعصلات . أو للاستعانة
بها على الرزق وهي جميعاً أغراض لا تزان حقيقة بأب تطلب ،
ولكن العصر الذي نعيش فيه يقضي أن يكون للمعرفة وظيفة
اجتماعية هي العالم اليوم قوي مفعرة ، تستطيع أن يرتد بها
إذا ما توسعا في دراستها إلى ارتقاء العلوم الطبيعية وثمارها ،
وإلى انتشار المذاهب السياسية والاجتماعية ، فإن لم تروض هذه
القوى المتفعرة وتوجه إلى الخير ، أقام الناس في كرب لا ينقضي ،
ويخطر كاليف المصلت فوق الرقاب .

والعقل وحده عاجز عن هذا الترويض والتوجيه ، فيسعي

أن يقترون بالحق الصكوكم وحب الخير العام حياً صادقاً والعزم
الحديد على بدل ما في الوسع والطاقة لجفيفه ، لأن الفكرة الصالحة
لا تجدي شيئاً ، لا ينهأها ، أفراد من رجال ونساء فيولوها
بالعمل اساع المشر . فذلك ترى الناس اليوم لا يقتصر طلبهم
على المعرفة وحدها بل هم يطلبونها معرفة هذه الفضائل الخلقية
العالية - أي إننا نطلب التربية في أوسع معانيها وأبناها ،
وأدناها الى التمتع ايضاً .

ومن احسان التاريخ ، و الشعوب العربية في هذا العصر ،
أن يجدوا في تاريخهم العربي ديبث الركيب الذي لا غنى عنها في
بناء الصرح الجديد ، الذي مولاه اليوم بأيدينا . ونحن ، دافلسا
لنعرف في حياة هذا العصر ، وجددنا في حاجة الى روح جديد يسير
عليه ، فقد سمعنا آثار العوم الطبيعية الحديثة وثمارها في حياة
الناس ، حتى يتنا لا نستطيع أن نهض مهنة صالحة ، بل لم ندرع
بجدة ثقنا وأسلبها كأحسن ما يكون الدرع ، ولكن العلوم قد
محمج بنا فتر كسا شطصاً فندعي أن نسطها لنا يجمع أن نسميه
الأسلوب الديمقراطي في الحياة - وليس تفصد الحكومة
الديمقراطية أو البابية وحسب بل أنريد نعت النظرية في الحياة
التي تعد الفرد خيراً قائماً بذاته ، بحيث أنك تتاح له فرص النمو
نحو مثل الله وأن يشهد الخير والهداة لعنه ، وأن يدرك أن

خير الجماعة وسعادتها ، كل لا يتحرأ . فالمنطق والخاصة يستعيان
ان نضهر في بؤرة . المدرسة هدى العصور ، العلم والنظرة
الديمقراطية ، ثم ان نتحدث منها أساساً تربية تدلج هذا العصر -
سواء نظرنا اليه من ناحية الوطن المستقر ، أم من ناحية العالم
الذي أصبح اسمه اليوم وكأف امة واحدة - أو ينبغي أن
تكون .

وفي تاريخنا لو استلهمناه ، أساس هذا السبع . فهي اذديان
السبعة التي بنيت في هذه الارض ، أركان النظرة الديمقراطية ،
وفي هذه السبع العريقة في شاة اعمار الاساية ، قامت مد
تف سنة نو تريد ، حضارة كان العلم من أوسع دعاتها ، وقد
أحدثت إلى العالم فيما بعد نظرات حداثات في الكيمياء والطبيعة
والطب والصيدلة والجغرافية وغيرها ، لقدحها فرائع الاوربيين
في العصور الوسطى ، فأمر النقيض عن عصر النهضة المجيد .
الذي كان طليعة لعصرنا . فم لا يعود إلى مايسا ، فجميع من
هذه الأصول العكست من اصول حداثا في اماضي وبروص
انفس عنها ، ثم تقيم المثل للديا بالقدوة الحقة . فالامم التي
انجبت الرازي وابن سينا وابن الهيثم وابن خلدون والزهري وغيرهم
لا تزال هي الأمم ، وإذا كان الفساد السياسي قد ارهقها
قروناً فقد كشفت عنها أو كادت تكشف عنها - عمه التدنص

في شؤنها فصار أمرها بأيديها . وإذا كان الصدا قد علا الحديد
حديد القرائح والضمم فيسعي أن يزال حتى يحلّي جوهرها
ويصل . وتترات الذي أحدها من أدياننا السبعة لا يزال يوري
في كثير من النفوس نس الخصال .

فهذا في نظري هو حل مهمة تتولاها المدرسة العربية في مطمح
العصر الجديد .

وقد يكون معظم ماسقته من هذا الحديث كلاماً مأثوراً
طال عليه القدم . وهو كذلك . ولكن في الذي اليوم ، ما
يجعل الاهتمام به والسير على هجته ، مهمة كل مفكر ، وعن
كل قدر ، لأن القوى الاجتماعية المتفعرة ، تعمل الخطر الذي
تواجهه الإنسانية خطراً دائماً ، فلا بد من المدرسة ، فإن لم تفعل
اليوم ، فقد يوصد الخطر باب الغد في وجوها ، والارحاء جناية
كالاهمال .

مد عهد قريب ، صدر كتاب في الولايات المتحدة عنوانه
« إما عالم واحد وإما عالمين » . وقد فرأت عنه ، فصلته
فجاءني قبل سفرى من القاهرة بصحبة أيام فعلته معي ، وطالعت
بعض فصوله في « المطبوعة » . وقد كتبت معظم فصوله جماعة من
كبار علماء العالم الذين كانت هم يد في جمع القبلة الدرية . وهم
مجمعون على أن العقل البشرى لا يدرك اليوم ، ولا في المستقبل

المتوقع، وسيله ما لدرء خطر هذه القبيحة. وحظرها ليس مستقراً في تفحصها الفائن وحده، بل هو مقتون بنا حسبه اساس من طائرات متعوقه من الصرب المألوف والصارثات النعائة، و من الحاملات الصاروخية، فهذه جميعاً، أسرع كثيراً وبعد مدى من كل ما عرفناه من الطائرات. وفي الوسع تسييرها مثقلة بهذا الحجم المتضخم، بدون طيار أو ملاح، على طرق لاسلكية محططة في عرص بعضاء، إلى أنه يقفه من بقاع الأرض، فقدرتها على الفتك لا يحدها التصور.

على أن الدفاع الذي نكلم عنه العلماء هو اسدفاع العالمي، أو اسدفاع الحربي العمي فقاوا استحالته على قدر ما يعلمون، وإذن فيسمي للعام أن يلتبس أسلوب الدفاع، في غير ميدان الوسائل العلمية والعمية. يعني أن يلتبس في ميدان السياسة — أو قولوا وأنهم أحقق قولاً، في ميدان التربية. فالساس يجب أن يدوروا على أن يفهم بعضهم بعضاً، وعلى أن يحس بعضهم معايشرة بعض وعلى أن يثق بعضهم بعض. والساس يجب أن يستأصلوا من بيناتهم جميعاً تلك الواعث التي تهدد للحروب بأن يشتموها حربياً لا هواة فيها على الجهل والمرض والفاقة ومن هذه الحرب غير الشباب الذي تلح بالعلم وتخص بالخلق القوم وحده الخير العام. ومن لأعداد الشباب غير المدارس والمعنيين. فهذه

هي الوظيفة الاجتماعية للتربية الحديثة - ونحن الذين يشتغلون
بالشر والكتابة والصحافة، نتجه السكم يارؤساء المدارس ، ويا
معلميها ونقول سيروا في الطليعة على بركة الله ، فمحسن جود في
الجيوش التي تعدوها وتعبثونها لتتشرى حرب الصحة على المرض ،
وحرب العلم على الجهل ، وحرب الوهر على الفاقة وحرب الخير
على الأثرب الحق الصغير .

ولتذكر هذه الساعة الخليفة في تاريخ هذا المعهد احاول ،
ساعة يقف فيها معه أمام الله وليس ، على هذا العمل الخيري
الذي ، في هاتين ايامه الطويلة الزاهرة ندد الله ، والسلام عليكم

تعبئة كاملة

سيدني المرأة - المرأة التي اجتمعت في كبتها جميع النساء
من كل عمر وكل عصر وكل جنس وكل أرض ، ألقى الدهر
عليك غلالة تكنف حيا فتحي وراعا عوام وعوالم ، وترق
حينا حتى تشف عن روائع ومعار ، فادا البصيرة تأنه ، والعقل
يحير في استشفاف أسرارك . قلب دوو النظر بظرم ، واستنحت
ذوو الخيال صلالهم ، واستغرق أهل التأمس في تأمل طوائع
أخواتك - السر اللواتي يلهي الحس بدلا من ، واشقر الفاترات

حطية ألقت في مهر حاد واجهة الهبات السائب ، في بيان ، في ٢٠ آذار
(مارس) ١٩٥٣

اللواتي يعرفون وينفون ، واندمشات اللواتي يحسون ويحسمن ،
 والغبد ارققات اللواتي يعدن ويبدمن ، والامهت اللواتي يحملن
 ويرصن ، والروجات الحبيبات اللواتي يتفحصن العبد ، ويصاعصن
 البهجة ويلهسن العرعة ، والروحات السكدات اللواتي لا يرحمن ولا
 يرحمين ، والحدات الحكيمات اللواتي يعرفن السلام ، ويفطعن الشك
 بحكمة منقطرة من فطرتهن أو تحرتهن ، والشاعرات والكاتبات
 والمهاميات والطيبات وامرصات والمعلمات والمعاملات
 والاجتماعات اللواتي يعرفن ونس لدوسن أو لعبرهن - جميع
 النساء اللواتي حقنن الله ونسهن ، قد العقل فبين النظر ، وتسمع
 الخيال إلى أغوار سراديس ، فحتلف ارنبي ، وهذا امرء لم تزل
 على اسهر ، وعلى العقل ، وعلى الخيال ، لمرء معلقاً لأب مرها
 متوخر من سر الحياة التي تعددها وتبدلها على الأرض ، وهذا هي
 في رأي ، حبيبة الأرض الذين اعدفوا عليها همة هذه القدرة المعجبة ،
 وهذا هي في نظر ، وسبعة من هي الأرض والآفة ، وإذا هي
 عند الفيلسوف كيان يعلب عليه حب دأب وهو أغلى الحب
 ودومه وألقاه ، وهذا هي عند الشاعر شيطان يعرف ، أو ملاك
 برحم ، وهذا هي عند عالم الأحياء وعالم الاصمخ مستقر أمل
 المحصورة وعند ناها حصن حاميها .

فالمرأة كانت منذ أن أسر فجر الوعي على العقل الشرقي ،

كل شيء في كل زمان ، بها فسروا الخير والشر كليهما ، والنفس
والنعم كليهما ، والرفقة والنوة كليهما ، والساء والتدمير والطعين
واللي والاستعلاء والاستجداء والاحساس المزهق والمعاني
الانسانية العالمية جميعاً . أسد الشعراء والفلاسفة على مكسيها
رداء من رحوان ، فاداهى ملكة ، وزاحوا رؤوسهم الشعب
على صدرها فداهى ام أو غايه . ورعوا النقاب عن وجهها
والوشاح عن عظيمها فداهى عروس المساء الملهمة الحرة ،
وتصوروها على صورة حواء أو بغير تقاليد ، أو في دير تعزل
اسباب لستهن أو نعم أو نسي . فداهى في الخليل نجاهد في
سبيل الله . ما اكتر الشعراء والحواس والمثاليين والعشاق الذين
ذهب بهم النفس واخيلاء ، من نها دحمت في سطيم ، فداهى
يعيقون من عشب السمل ، وسكرة ايام ، وسورة الابداع
الهي على كائن ، سراره لا نعد ، وقطره لا نسر ، وسلطاه
لا نجد .

اسد هذه الدقائق العشر أو العشرون ، هي المقام الذي
يصلح لفاصلة بين هذه الاراء ، ولكن الشيء الذي لا يجازي في
شك فيه ، هو ان العصر اسدي بعش فيه ، قد صار ما تعدد فيه
من وسائل القدرة التي نسي ، والي بدمر ، ومن مداخل الرأي التي
تتألف وتتبدل وتضرع ، جميعاً ان يهش القلق حتى ينتهي الى

التهلكة ، إن لم يجتمع له شرطان ، لا عى عن المرأة فيها ، فهي
دون لرجل ، يحمل ونه وترضع ، والمادة الحية التي تنطق
طفلاً في رحمها ثم تنطلق إلى النور ، هي كالتصايف في يد الخراف
نصحه على صورتها أو على الصورة التي أودعها الله في سرها .

أما الشرط الاول ، فهو « حكمة البيت » . فالمرء إذا نشأ في
بيت ليس فيه وصى ، أو عدل ، أو صدق ، أو رحمة أو إيمان أو
غيرها من المصائل ، وخرج إلى ميدان الحياة الأوسع ، وتزود
ما شاء من يتزود من أسباب القدرة ، ولم يجد من ضميره وحفته
« حكمة البيت » التي أسست فيه ، عاصم يعصه ، كان شر
البلاء على نفسه وعلى الجماعة . بيد أن « حكمة البيت » لا تقتصر
على كونه عاصماً من شر أو واجباً من رل ، بل هي قوة داعمة
تهد سائر الانتباه للخير وهو أعظم وأحدى وأبقى على الدهر ،
حين يدي الانسان اليوم من وسائل العلم والصناعة ، ما هو حليق
أن يكون رحمة وبناء ، إن أحسن الانتفاع به ، وثقة وداراً
من أمي . والمرأة بحكم طبيعتها هي القبضة على هذه « الحكمة »
وهذا ، في أغلب الرأي هو ما يريد علماء الاجتماع حين يصورونها
أنهن حارس المجتمع ، ومعتقد رجاء الانسانية .

وأما الشرط الثاني ، فهو « النعمة الكاملة » للآمنة ، حتى
يتاح لها أن تستفيع أكثر انتفاع وأفضله ، بما عندها من موارد

الطبيعة وموارد العقول والنفس ، لبيانات بجميع سلم ، قوي ،
 مشح ، حر ، حتر ، أركانه أن الحكمة الشمسية يمكن قيامه بعير
 طبيان ، وأن الحرية مثل عال بعد ، ولكن الدور منه مستطاع ،
 وأن إتاحة الحياة الواهرة لكل فرد من أفراد الأمة شيء يتبعه
 العلم ، وواجب يتبعه الاحتجاج على كاهل كل إنسان ، وأن في
 قدرة الناس أن يدبوا من العدالة الاجتماعية بالتواصي على الألفة
 والخير قبل التشريع ، وكيف نستطيع الأمة أن يبي هذا البيان
 إن لم ينفذ بعضها المتكاملات ، حير ما عندها ؟

وقد يدور أن يجد من يخالف في أن البنت هو ممتلكها ، التي
 يتصل فيها بسبح الحياة على قول الزمر ، وقد يكثر من يخالف
 في أن الأمة لا تكس حتى تقف ساواها مع رجالها في عمر
 التبعة وعمل البيان ، ومن ماز هذا العهد ، أن رجال لسان لا
 يخالفون ومن هنا هذا القانون الذي يحتفي به اليوم .

أن القانون الذي اعترف للمرأة السياسية بجميع الحقوق
 السياسية ، قد فتح أمامها بابا على مصراعيه ، للمشاركة في كل عمل
 تحسبه ، سواء أكان ذلك العمل وفقاً على الرجل من قبل ، أم
 كان عملاً مهنياً لا يولاه أحد بعينه . وهذا الاشتراك أدعى إلى
 التبعة الكاملة للأمة ، وأحفظ على العدالة الأساسية في معاشها
 الأعلى ، فهي كائن له عقل بحس المكبر ، وفطرة سليمة تحس

التفكير ، وعاطفة مرهنة مطبوعة بطابع الخير ، وعزيمة صادقة لا تلبس
 في طبعه . إنها بحكم ما فطرت عليه « من حب الأم » وحكمة
 اللبيب ، تزعج أقوى روع وأصفاء أي رحمة بأوسع معانيها ،
 وما يتطوي فيها من رغبة في حفظ الصحة ودرء النقم ، وتفتيح
 ظلمات الجهل سور المعرفة ، ورعاية الفعل حتى يستقيم عوده العفن ،
 ورفع الحيف عن العامل المظلوم في ساعات عمله ، وقلة آخره ،
 وسوء مكنه وملنه وما كلفه ، وعن السجين الذي يصير في
 بعض السجون ، أدنى إلى لاجرام وأحدق رسائله ، وتشد رقبة
 على المجتمع الذي أبى ، وهذه جميعاً ، وغيرها على عرارها
 أصبحت في عدلنا المفقود ، مشكلات لا يمر من علاجها حفظاً
 لسلامة المجتمع ، ولا يجدي في علاجها حدود كاملة ، حصيات
 للخير تشبها المرأة ونهر عليها ، مما تحسن بنته ويصدق عزمها
 وبجل بدنها ، بل هي تحتاج إلى العن السياسي في جميع مراحلها من
 مجلس القرية إلى الندوة السياسية ، ولا غنى لها عن برامج تؤيدها
 المرأة وتؤيد من يؤيدها ، وتتأدى لها المرأة بالحجة البليغة والمثل
 الأبلغ ، ثم نصف إليها من وراء الحجة والمثل ، قدرتها السياسية
 المصطنعة ، المسندة من حقها أنت تشعب وأن تقتضب ، وأن
 تمنح الثقة وأن تعجبها .

فالمرأة السياسية الحديثة ، ليست حديثة من حيث أنها تريد
 اليوم لوطها حيرام تروده أمس ولم تمنع إليه ، بل هي جديدة

لأهل تلك اليوم القوة السياسية ، التي تهد لها أن تضي قدما إلى
تحقيق ما تريد . اللهم أنمها الحكمة والعزيمة حتى تكون قدوة
في فعل ، اللهم وفقها فيما تريد .

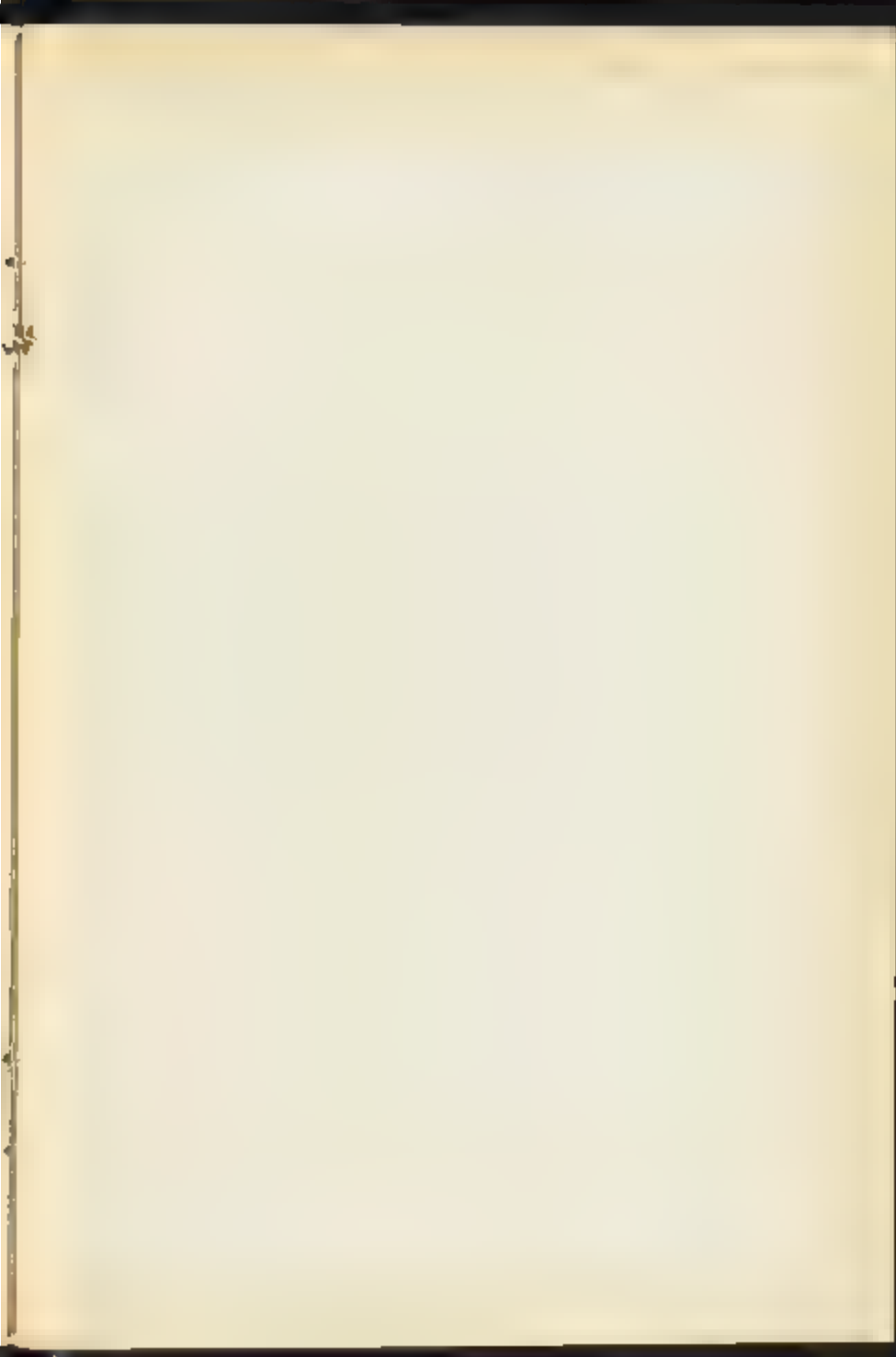
أما وقد اكتمل كيانها الاجتماعي ، وصارت محس في دوت
نفسها ، أن ليس ثمة حيف وافع عيها ، فيسعي أن تعلم هي ،
وأن تعلم نحن ، في ميدانها الجديد ، لا نقتل فئة نحرب فئة
كانت تسكر عيها حقوها ، ويسعي أن تدرك هي ، وأن يدرك
نحن ، أن تضيف اليوم حورها جديداً من معدد كريم ، إلى
الحياة العامة في هذه الأمة الكريمة ، فقد طمى على هذه الحياة
شيء كثير من العصف ، حتى تبدد الاحساس بالحكمة الدابة ، وفش
الادفاع إلى فياس فيمة الأمور فغايبها العادية العائرة ، ووفر
في النفوس أن القوة والسلطة والاذرة هي السبل إلى تحقيق ما
يصو إليه المرء ، وصار الاستهتار بالقانون الموصوع أنجيباً ،
والقانون الخلفي أحكاماً لا يشتر نقداً وقل أن يشتر عحماً ، فحسى أن
يكون اشتراء المرأة السياسية في الحياة السياسية اشتراكاً
أصيلاً تاماً ، وعلى وجه ملانم فطرته ومحلوها ، فتدوع عن العصف
بالأداة ، فالعصف ريج تظمى ، مراح العفل ، وتوذ اخفوة بالساحة
والرقة ، كالعود البدن يعطب العاصفة بلبيه ، ونكافى عن احترام
القانون بالرضى ففتره عنه ويشع من عيها ، وعاقب على انتهاكه

بالاحتقار والتحقير ، وتفتح أمام العقل أبواباً تقضي في عرشه ، تراه
البصائر ولدت دق عن الابصار ، وترتفع عليه المعاني الانسانية
والادبية العليبة ، ثم لا تزال تحرق لها الحور ، في البيوت
والمدارس والمجالس والصحف والندوة اليابسة حتى يصير الناس
أدنى الى الولاء لها ، والأخذ بها في سرائرهم ومعاملاتهم على
السوء ، فإن فعل ، كانت مكسلة للرجل لا مفاصة له ، وقت
نعبته قوى الأمة جميعاً على حير وجهه وأنقعه .

سيدتي ، المرأة التي اجتمعت في كياها جميع النساء أمم يدي
أنا الرجل الذي اجتمع في كتابي جميع الرجال ، فتعني ومدي
يدك لي ، حتى نفسيها معاً حرماً عواناً ، على الصب والنفوس ،
والمرضى ، والطلام والعرفة والاستهتار ، حرماً نجس لبان أمة
واحدة سبية ، قوة ، حرة ، حيرة ، ومثلاً يجتنبه الناس في
كل أرض .

« ... وعالمنا الحديث قد بلغ هذه المرحلة ،
فما أرى . فالتعاون على الوفر والخير ، أجدى
كثيراً على جميع الناس من التجارب عليهما .
فالوفر والخير مكفولان ، عن طريق تطبيق
الأساليب العلمية والوسائل الصناعية الحديثة ،
وخطر التدمير والهلاك مكفول أيضاً عن طريق
تطبيق أساليب التدمير الحديثة . »

[عن برتراند رسل في حديثه « نحو عالم أفضل » أدبوع
من مجلته المشرق الأدبي للإذاعة العربية]



نحو عالم أفضل

مبدأ الذي يستطيع أن يكرر اليوم أن التفكير في إنشاء
عالم أفضل ، قد عدا ضرورة مدعاة ، وليس ترفاً عقلياً وكفى !
والتفكير وحده لن يشفى هذا العالم المأمول ، ولكنه التمهيد
الذي لا غنى عنه ، لأن كل إصلاح اجتماعي ، ينبغي أن يسدأ
فكراً يقوم الدليل على سلامته ، ثم يصنفه الدعاة من رجال
ونساء ، فيسهرونه بوهج من عاطفتهم وبلاغتهم ، ويطبقه الرواد
في نطاق صغير ، فتثبت حدوده ، ويؤمّن به الإصلاح في
طريقه كأنه قوة من قوى الطبيعة التي لا تكبح .

حديث قديم من محبة الشرق الأدنى للأدب عن المربية

ولم يزل الكتاب والفلسفة منذ أقدم عصور الفكر، يعنون بموضوع « الفردوس على الأرض » وهل يستطيع الناس أن يقيسوا مجتمعاً فاضلاً أو مدينة عاصلة ، فيحصروا لقوانينها الفالحة فتبطل الحروب ، ويستتب الأمن ، ويشيع الانصاف والخير ، وتتاح لكل امرئ فرصة يحقق فيها سكينته النفس التي تعدّ خير فضيلة ، في الحياة الدنيا .

أقدم عليه أفلاطون ، في القرن الخامس ، قبل التواريخ الميلادي ، فوضع « الجمهورية » كتابه الخالد في تاريخ الأدب الانساني والسياسة والاجتماع ، وحاراه الفارابي في « المدينة الفاضلة » ، ثم روماس مور الانكليزي ، في القرن السادس عشر الذي جعل عالمه الأمثل في حرية « بروتيا » ومعناها « لا مكان » ولكنها صارت اليوم كالعلم لكل شيء مثالي ، لا يدرك ، أو مبالغ فيه ، ثم كتب لا ايبطاي في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر ، في كتابه « مدينة الشمس » ، وولر الانكليزي في القرن العشرين في كتابه « بروتيا الجديدة » . ولو حاول الباحث أن يعرض رأي كل كاتب أو مفلسف من هؤلاء في « دولته المثلى » أو « عالمه الأفضل » لاسعرق ذلك محضاً مطولا ، ومع ذلك ، شبه عدا عن هؤلاء جماعة غير قليلة من عاقرة الكتاب عالجوا هذا الموضوع ، في بحث مطول ، أو

في إشارة عارضة في خطبة أو قصيدة .

وفي هذا كله دليل قاطع على أن البشر يتوقون إلى عالم ،
يساور فيه الاطمئنان ، والعمل ، والعدل ، والخير ، والسلام ،
والحرية ، لجميع الناس ، وقد كان هذا التوق الشديد ، أقرب
إلى الأدب والتحليل الفلسفي في العصور القديمة ، ولكنه صار ولا
ريب ضرورة ملحة في عصرنا الحديث ، وأعطاب الفكر أدبي
عالمه منذ عهد أفلاطون إلى عهد حميد الأمم ، والأمم المتحدة
ثم كالأعلام المصرية على حاني الطريق ، الذي يبدأ عند فكرة ،
أو خاطر وحس ، وعسى أن ينهي إلى أن يصير حقيقة في
خاتمة المطاف .

أما أنه ضرورة ملحة في هذا العصر ، فبين لمن يريد أن
يرى ويعي ، تب في هذا الاتصال الوثيق الذي تم بين أمم الأرض
عن طريق التقدم البهر في وسائل المواصلات والمخاطبات . وقد
ألف الناس اليوم ، هدير الطائرات النفاثة وغير النفاثة ، حتى
لكأنها شيء معهود منذ زمن طويل . وقد تعودوا الاستماع إلى
الاداعة ، من أنفاسي المسموعة ، حتى وكأنها لم تكن ألبية عليه
صاعية منذ نصف قرن أو أقل ، يتدورها الناس في المجالس
كما يتدرون الخوارق ، ويعتدها العلماء شيئاً مستحلاً على
مافات بعيدة ، حتى أثبت ماركوني أنه يستطيع أن يرسل

إشارة لاسلكية من غرب أوروبا إلى شرق القارة الأميركية .
هذا الاتصال عن طريق وسائل المواصلات والمحطات
الحديثة ، جعل الناس جيرة واحدة ، مما اردادت بين أيديهم
وسائل القدرة على التنقل والتدمير ، واستعملت ، صار العالم كله
عرصة لحقيقة بسيطة تبيته مؤداها : أنهم إذا لم يتعلموا أن يعيشوا
بعضهم مع بعض في محبة وسلام ، وأن يهتموا بعضهم بعضاً ،
فقد ينتهي بهم الأمر إلى أن يدمروا بعضهم بعضاً . ومن هنا
صار البحث في قيام « عالم أفضل » والمعنى الجاهد إلى تحقيقه ،
شياً تقتضيه الضرورة الملحة ، وليس نوماً عقلياً فهو به ساعة ثم
يطوف به طائف من الإهمال ، أو طائف من السبات .

والشيء العجيب في هذا الأمر ، هو أن الوسائل المادية التي
لا غنى عنها لقيام هذا العالم أصبحت مبشرة بين أيدي الناس ،
لو احشكوا إلى العقل في نطقها ، وهو خير شير صوته البادي
على قول الشاعر العربي .

فأصاب العلم والصناعة في هذا العصر ، تنظيم أن كس
لأهل الأرض عيشاً رصاً إلى م تقل عيشاً رخيصاً . قد يقتتل
الناس على موارد الطاقة ، وموارد الطعام ، وموارد خدمات
الصناعة ، لأن هذه الموارد جميعاً ، لا غنى عنها ، لقوة كل أمة
ورفعتها . ولكن الشيء الجديد ، في العمران ، هو أن العلم

أحد أهمّ السبل ، مما كشف عنه واخترعوا ، لتظفر بكل
 قدر من الطاقة ، أو طعام ، أو خامات الصناعة ، يحتاج اليه
 الناس . وقد كان الفحم الحجريّ المصدر الأول للطاقة في طبيعة
 العصر الصناعي الحديث ، فقامت الصناعات الكبيرة الأولى ،
 عند مناجمها أو هربا . ولكن الناس يستخرجون الطاقة اليوم ،
 من مفاعل الماء ، ومن حريّات النفط ، ومن القوى الكامنة
 في المدّ ، وهم يحاولون ، يستخرجون من طاقة الشمس التي
 يسقط منها على سطح الأرض كل يوم ، أكثر ، يستعملها الناس
 جميعاً من الطاقة في شبه أو في شبه كثيره . وقد كانت موارد
 الطعام قليله يوم كان الناس ، يعتمدون على أساليب قديمة في
 رراعه ، حتى قام رأي رب ترابيد الناس على سطح الارض ،
 يفوق ترابيد موارد الصّعد ، وإذنا فالحاجة المهلكة واقعه وليس
 منها مفر . ولكن أهل العلم الحديث ، طعموا على الناس بأساليب
 حديثة في الرراعه ، فصنعوا الاسمدة الكيماوية ، وطبقوا
 أساليب الأخصيل والانتخاب . وبدأوا يصنعون بوساطة الكيماويات
 بيجيولوا مادة البوليس ، وهي اعادة الخشبة في كل سات ، التي
 لا تخلصها معدة الانسان ، الى طعام يستعمله المرء ويتغذى به
 وتخصمه معدته ، وربطوا عجلة المحركات و لالات البادرة
 والحاصد والنافع ، الى العمل في الحقول ، فارتداد الانتاج ارتداداً
 عظيماً ، ومع ذلك لا يزال يجد في أرجاء العالم مساحات مترامية

من الارض خصبة ، ولكن فوام الزراعة فيها لا يزال كما كان
قبل ألف سنة أو ألفي أو ثلاثة آلاف من السنين ، وعلاوة على
هذا وحدث لا يزال سرّ ايرور الحفرة ، وهي أعظم معمل
كيميائي للطعام في العالم مستعمل علينا ، ولكنه لن يبقى
مستعمل في الابد .

فاذا استطعوا ان يفسدوا إلى سرّ الترسيب الصوتي في
الورق الاخضر ، فتحوا أمام ادم يساحرون على موارد طعام
وموارد خامات الصناعة ، باب واسم ، وخطوا نحو الورق لمادي
في الماء (فصل ٠ حصة مصر في جسد ر العبد في نفر
النابع عشر وما مدى من القرن العشرين .

وشبه الصناعة الحديثة ، جعل انفس على ابعاد العرة في
جوف الارض ، طب شديد ، حتى عشي هذه لمعات وطبعت
الأرض ، أن يستعد الناس ، ما اخترعه لأرض في حوقها منذ
أقدم العصور خوخية . ولم يكادوا يفعلوا ، حتى عمد رجال
الكيمياء ، إلى ابتداء مودّ تخنّ كمن بعض ابعاد ، ولكمهم
صنعوها من أشياء محددة كل سنة ، هي مسحات الزراعة ، أو
صنعوها من الماء والهواء والحرارة فجميع الدائن الكيميائية ،
التي تدخل في افلاحة البحر ، وأكر الانوار ، والموائد ولقواعد
صارت تصنع البروم من أشياء لا معدن منها على الإطلاق . وقد

صعوا منها أشياء كان الظن أن الحديد الصلب فيها شيء لا عي
عه ، كأحسام بعض الحشرات والنضاب وما أشبه .

ولكن يبدو كإن التراجع مركب في صفة انبساط مد أن
كان البشر ، وقد استقرنا السراج بيتنا أن الانسان لم يزل في
صراع مستمر مع قوى ثلاث ، فيه أولاً براعه مع الطبيعة ،
وثانياً صراعه مع حبه الانسان ، وثالثاً صراعه مع نفسه .

أما براعه مع الطبيعة فقد كان أهملها على سطح الأرض ،
ورعنا كان أعظمها شأن . كان حسب أعظمها شأن ، لأنه هو
حدس الانسان في صراعه مع الطبيعة ، لتقضي عليه ، ولما قدمت
المشكلات السياسية والاجتماعية التي نشأت عن ترايد عدده .

وسلاح الانسان في صراعه مع الطبيعة ، هو العلم - قد يكون
علماً مدائناً وقد يكون علماً دقيقاً معقداً كالذي رآه مدولاً
من يدبنا في عصرنا . وكل ظفر ناله الانسان في صراعه
مع الطبيعة ، فمن انسان على عصر أو آخر من عناصر العيش
على الأرض ، فاعنه ازدهد الناس .

وعلى قدر ما يفهم الانسان الطبيعة ويسطر على قواها ،
تزداد حفته سائر الناس شأننا وخطر . وسبب ذلك أن الإنسان
التقدم الأول إلى شئت عن العلة . بعض العلة على الطبيعة

صارت تقتضي قيام الجماعات، وازجاءه الي نفسي نفسها قدر قبيلًا
على تأمين موارد الطعام ، نفسي نفسها أيضًا ، أقدر على مجاورة
الجماعة التي تجاورها لتحصنها أو يبيدها حتى تستأثر هي بمراد
الطعام بعددها المتزايد .

بيد أن أطوار التقدم على هذا البحر ، يبيع لأساس مرحلة
من العمران ، يصير فيها العمر من التعاون على الطبيعة ، أعظم
حدًا من العمر الذي من زيادة أوعداء وقد بلغ الناس هذه
المرحلة ، صار شغلًا لا مفر منه ولا عى عنه ، أن يضع الناس
حدًا للصراع بين الناس وعاشا الحديد قد بلغ هذه المرحلة
اليوم ، فيما نرى . فالتعاون على الزهر والخير ، أحدى كثير
على جميع الناس ، من التحارب عبيها ، فإزهر والخير مكحولان ،
عن طريق تطبق الأساس العلمية والوسائل الصناعية الحديثة ،
وخطر الهلاك والتدمير ، مكفوف أيضًا عن طريق تطبيق
مبادئ التدمير الحديثة .

ومن هنا صار للصراع من اللون الثالث ، منزلة خاصة في
بحثنا . نعى صراع الانسان مع نفسه . وإذا كان العلم هو سلاح
الانسان في صراعه لأول ، صراعه مع قوى الطبيعة ، فالتربية
القوية ، هي سلاح الانسان في الصراعيه السالبيه كلها ، أي
صراعه مع أخيه الانسان ، ثم صراعه مع نفسه .

فالتربية القويمة تنبع على أوسع مدى وفي جميع قول ، أنت
 المصلحة القاهرة هي التي تقضي على الناس ، تعاونا انفرادي ، حتى
 لا يهلكوا ، وسببهم أنت ما قاله علي بن أبي طالب ، رضي الله
 عنه - الناس أعداء ، جهلوا هو حق وأخرى بأن يتبع ،
 وتدرهم على سعة الصدر ، ورعاية الأفق ، وثالث الانصاف
 أفضل من الضم ، وإن التناون خير من العوض ، وأب مسكينة
 النفس فضيلة بخدي ، يهمل الركائب ، أي المعرفة والحكمة
 يسمى أنه تدبها في وحدة النفس الانسانية ، ويكون الركن
 الخامس ، ويكون هو الطريق إلى عالم أفضل ، والركن السادس
 الذي يقوم عليه .

صفة العصر

يطلب لبعض الكتب، أن يوجهوا إلى أنفسهم في الخس بعد
الحق، أسئلة فائقة على الفروع السارحة ثم يحاولون الإجابة
عنها. منهم من يقول مثلاً - ترى أي مصير كان حقيقاً لو
يكون مصير العالم، أو، يصل الخائف دائماً بلوحر، أي معركته
وثره، ساعه وصوله، إذ بدأت تتصعق شعور الجيش البريدي
وحلفائه، بقيادة ولعنتون؟ أو ترى أي مصير كان حقيقاً لو
يكون مصير العالم، لو، تأدت القادة، رمانة «علبا» ليفولاي
لن، فالمرور في قطار محمول من سوسرا، أي روسيا في سنة
١٩١٧؟ أو ترى أي مصير كان حقيقاً لو يكون مصير الوديات

حديث ادع من محله الادع عنه انسة

المتحدة الأمريكية ، في العقد الرابع من هذا القرن ، لوم . يصر
روزفرت اندي انتصر رئيساً سنة ١٩٣٢ بسبب الأطفال قبيح
ذلك عشر سنوات ، فأصبح في حلال المرض ، أن يقلب
مرضه بقوة الإرادة والاحياء ، و ان يدرس في حلال مرضه
مشكلات عصره في هذه :

وهذا الصرب . من الكتابة ، مسلة للقراء ، ولكن اساميل
الأقوى في التفسير ، ليس هو الحوادث العشرة ، بين القوى
المحركه كاسبور ، وهم من وضو ، بلوخر ، واسفيل ليس ،
ومرس روزفرت من الحجة ، هذه القوى الاقتصادية الاجتماعية
الى حبيب وروما في عهد وليوب انجر ، موافقة في حكم غير
حكم ربح فرد نال سلطانه ، لعصره العسكرية ، و الى حبيب
روسيا في عهد ليس ، موافقة في نظام اجتماعي حرب إلى العداوة
و، تصاف الناس ، و الى حبيب ميركا في العقد الرابع من هذا
قرن ، في حجة إلى من يصحح فيها أخطاء تقدمها الصناعات
الداخر ، برفعة إيراني ، و هذا الحرج في الأعمال ، وحقوق
العمل . ولوم يكن في بلوخر ، و اسفيل ، و روزفرت ،
لتحقيق بعض الأغراض التي تتجه اليها بدارات التاريخ العسفة ،
لكان غيرهم فعل ، و ان فأخر ، و به شئت قليلاً

فإذا انعت أمر هؤلاء الكتاب ، فيما أنوي ان أوجه من

سؤال الليلة ، ولأن الجواب عنه ، لم أرى ، ليس مستقراً في
حادث فرد حقيق أن يعبر بحرى التاريخ ، بل هو وصف قوة
من قوى الريح ، يسمى لنا أن ندخلها في كل حساب بحسه ،
كلما حملنا الحديث على البحث في شكل عائنا للفصل ، أو حتى
في حاضرها أراها .

أما السؤال فهو هذا . ترى لو وصف مؤرخ على دروء القرب
الخمس والعشرين ، ورمى بيصره من وراء ستة قرون ، وسأل
نفسه بما يتنازع النصف الأول من القرب العشرين ، فإد يجب ؟

يجيب بأن النصف الثاني من القرب العشرين
هي هائل الحروب العالمية المدمرة ، التي أتت بها الناس في
أواسط العقد الثاني ، وواحد العقد الرابع إلى وسط الخامس ؟
أم يجب أن هذه الدعوة المبررة هي قيام الشيوعية الدولية
وانتشارها ؟ أم هي الحركة الاجتماعية التي تجمع بين انتشار
التعليم وتحرير المرأة وسيرها قدماً إلى اتحاد مكاتب في التجمع
الإنساني أسرة الرجل ، في مجالس الحكم ، ولشاعر وانصاع
ومكاتب العلم ، ومعاهد التربية ؟ أم هي تقدم العجيب في
استعلاء طائفة كبيرة من سرار الكون ، وعطيق كثير من
مكتشفات العلوم في ميادين الصناعة والبراعة والواصلات
والخطابات ؟ أم هي محاولة أقطاب الأمم محاولة واعية لـ

يشثوا أداة لتوطيد أركان السلام على الأرض ، وحسم الحروب
بالاتحادكم إلى هيئة عامه كعصاه الأمم أو الأمم المتحدة ؟

كل صفة من هذه الصفات ، مما شأن حظير ، في تحديد
حسمه الصف الأول من القرن العشرين ، وفي وسع من يريد
أن يقيم الحجة ، على أن هذه أو تلك من هذه الصفات هي الصفة
المميزة لما معنى من هذا القرن .

يبدو لي أريد التنبه أن أهم الحجة على أن الصفة المميزة
للسبب الأول من القرن العشرين ، هي أن مفاع الحاضرة
صار في ذروة مرة ، في تاريخ البشر على الأرض ، خليفة أن
ساح جمع الناس ، أو عمل الناس . أي أنه في مدينا اليوم ن
نقيم دولة الخير في عصر اندرة ،

وليس نه ريب في أن مفاع الحاضرة ، بجمع الناس ،
هو مثل اجتماعي عال ، لا يرتد إلى الحضارات القديمة ، وراث
كتاب له راء صالحة في جميع الأدب السموية . وقد نشأ حد
المثل العالي ، ويحسم في العصر الحديث مدان صارت الصاعقة
الكبيرة قادرة على الإنتاج الواسع النطاق ، ولارمه إدراك
حديث طرا على الوعي البشري ، ومؤداه الرخاء والحرية لا
يتجرآن . وقد قال الحكماء ، أن الحرب هي الشيء الوحيد الذي
لن يسلك أن نأخذ دوا أن تعطيه ، وأننا لاقتصاديون ،

ان رجاء مدد من لم يتم ذلك كان اليأس الذي يجوده أو حتى
السيد الذي يبعد عنه ، متروكاً في فاقة سوداء

وليس ثم ريب أيضاً ، في أن تخفيف هذا المشأ لأحد على
لعان ، هو ضروره يقتضى بها طبعه العسر ، علاوة على كونه
خيبراً ، طلقاً ، ففي عصر كالعصر الذي عاش فيه ، لم يسمع
أحد من الناس ، أن يعرض احد عن حال سائر الناس ، وقد
مضى من الذي كان فيه نساء الامم تستغرق يوماً وأساسع
حتى ينقل من مكان إلى آخر على سطح الأرض . أما وهي تفصل
اليوم سرعة البرق ، ولكن ما يحدث في هذه سرعات ما يؤثر
في كل بعد آخر . وإن نجد في هذا العصر أنه قد ثرة على
الأسكفاء ، وازدهارها وازدهارها ، عن غيرها ، وبها سببي
الذي تكرم بالاعفاء إلى هذا الخديب ، أو ما يد سببي ،
يفكر أحدكم ، حتى يدور مدح مدح ، و يرفع جماعة
النفوس في ن هذا اخبار أو ذاك ، بحجة إلى عصر الكروم
من روديرو ، وروبي ، وفي عصر الكروم من الكروم
الملصكي ، والبيكن من كندا ، وادامون من القديس أو
المكسيك ، والقصدير من جزائر هذه البرقية أو البرقية ،
والطاعة الطمعي من ملايا أو المطاط الصاعى الذي يستخرج
من نبط البحر أو الكويت أو العراق أو غيرها ، والحرب من

الصح أو السان ، والقب من الصيبي أو الدكتاب ؟ وكل
ما يستنتج صوال بومه نشاء ذات منعه أو ذات حال مردها
في أنما أعضاء في كسبح يأتي التقييد حدود الجبال والبحار .
فالعلم كله قد صار حيرة وحشة ، ومصير كل مري فيه مرهون
تصير حاره .

وايس ثم ريب خيراً ، في ن تحقيق هذا المثل الاجمعي
العامي ، هو شيء مستعجاب ، فربما العلم ، ورجال الصاعه قد
تفكروا على الزمن ، وخاصة في النصف الأول من القرن العشرين
أن يتعاونوا مع الصنعة ، على توفير ما يحتاج اليه الناس . وهو
شيء ، كان معهوداً في الخط - راب امدية ، وليس ثم اليوم
ضرورة حسيه فاسره لا مفر . وقد قدس باب معنى صناعه من
الناس في رق العافه والعور . قول أن « يتعاونوا » مع الطبيعة
ولا اقرب ، أن تحصرها ، ربه ليس في قدرة الانسان ان تخضع
قوى الصنعه ، ولكن في قدره ، ب يهيئها ، وأن يسهل أي
أحد سرارها ، فتصير قادراً على « سماعها » ، بتسييرها في
وحدة تجدي عليه حب . ومؤديه خيراً . ولكن حدود في
حاله الاولي ، وأدنى في الحانه الثابته . ليس مردها أي علم
لأنسان وصناعه ، بل أن أخلاقه وسياسه . وعلى كل حال
فليس ثم ريب ، في أن توفير ابسائ الماديه لتقيام دوله الخير في

عصر أدرة ، وتحقيق ما يطوي فيها من مثل الإجماعي عد ،
هو شيء مستطاع .

وبن بعد اجتمعت يدنا ، ثلاث حقائق . أولاً ، إن إتاحة
مناجع اختصاره جميع الناس ، صار مثلاً حتمياً عادياً ، تحدى
الله إركاث ، ولا يحتمل أن ينزل الناس عن السعي إليه .
وثانياً ، أن إتاحة مناجع اختصاره لجميع الناس ، هي ضرورة
تقضيها طبيعة العصر ، علاوة على كونها حياً في حد ذاتها .
وثالثها ، أن إتاحة مناجع اختصاره جميع الناس ، صارت شيئاً
مستطاعاً ، بفضل التقدم العجيب الحديث في مبادئ العلم
والصناعة

توافق بين أيها المستمع الكريم ، أن هذه الصفة ، من
صفات النصف الأول من القرن العشرين ، هي الصفة الغالبة عليه
من حيث هي حقيقة ومن حيث هي محدث لأعرانه . وبها أمر
شأننا على التقدير التاريخي البعيد ولعلها أبعد آراء . من بعض
مسائل لأمم المتحدة ، والشيوعية ، وحروب العالمين ؟ بيد
أنك ولا شك تأسل نفسك ، كما أسأل نفسي ، أيكون من
نصف النصف الثاني من القرن العشرين ، أن يدنو الناس خطوة
ما دى تحقيق هذا مثل الإجماعي العادي؟ أن يستطيعوا أن يضموا
قسماً من السلام يبيح للعقول أن تزدهر ، ولأولي أهم أن

يصبروا ؟ أن يزدادون قدره على الانتفاع بموارد الأرض المتجددة
 كل عام ، إحدى ، سفاع دون أن يدمروا البيئة الطبيعية التي
 تزكو فيها ؟ يستطيعون أن يشعروا في الأمة الواحدة دولة
 ككثير الخير العالم دون أن تقترب على حقوق الأفراد الأصلية ،
 أبسطهم أن يسوا الأمة التي لم يتح لها فسط من التقدم
 الاقتصادي والعدائي ، منافع حضارة أجنبية دون أن يساير
 الزكوة فيد من قيود الاستعمار كل مشكل من المشكلات
 التي تثيرها هذه الأسس ، عسيرة أو هي سدو عضوية على الحل ،
 وهي في مجموعها عسر ونعسى ، . ولكن تاريخ الإنسان على
 الأرض ، والمعارف التي مرت به ، والويلات التي داق مرارتها
 والوبائل التي «حجها» العلم ، والوفور الذي تستطيع الصناعة
 وإيراعه الخديشات أن تحفظه - كل ذلك ينمى أن مهد الإنسان
 ، ب عمل ، إلى حب . فان - يفعل فالعاقبة وبال ، وعندي أن
 الاصطدام بكونه يفتت الأرض ويبيد من عليها في لحظة من
 الزمان خير من ساحر لا حده ، أو حرب درية ، تش من
 أجل أشياء ومغانم تيلها بالتعارف نص ونقى .

الطعام والشيطان

١

قُرئت منذ عهد قريب في محلة من محلات نهبوه الحديثة مدينة
بؤمر حضره ستة من العلماء الذين حضروا في العهد الأخير حول
نوس في «كيمياء» ووجه مهم السؤال الثاني ماذا يسمى
أن نضع لتوفير الغذاء الكافي رأس الأرض ، بر دنت العفبات
الساسة وأنصح لكم بذلك ، لأنهم وضعوا أمامكم أبحال أنظمة
مخونكم وتجاركم على خير ما تريدون ؟ فجمع هؤلاء العلماء على

حديث أديع من محله أدائه بسسه

نه في الوضع مضاعفه مقدار الطعام المتناهي ، وترفع مستوى
التغذية لأهل الأرض اليوم ، ولصغيره بعد قليل ومن الوسائل
الى اقتراحها العالم القسدي ، وروني ، زيادة البروتين في النباتات
التي يؤكل ، وتصل أصناف من النبات تحوي النباتات المألوفة
في قدرتها على الاستدعاء بظاها الشمس ، في تركيب المواد
الغذائية ، أساسه ومنها البروتين وزيادة الاستدعاء على مواد الصمام
المستخرجة من الحجر ، وهي وفيرة .

ولم نكد قطع على عدد المصالح ، وما يعطون في راء
المعروضة فيه ، من رجاء يستعمل البشر على سطح الأرض ، حتى
ترجع على ذوي أمر مشكوك خطيرين يعاسها البشر اليوم ،
بعدهما سياسة يدور عنهم الحب في الميزان العالمية ، وفي
جلسات أساؤها سنو ، لحاج أذكرك من صعوبات الصحف ،
وبالقطع الأوفر من حديق الدرس في محاسنهم . ومما رده
الأمر هو الحال في هذه المصالح وأسباب القوة التي تشجع
للناس - في آخر المصالح أن يصور بعضهم بعضاً وأما المشكلة
التي هي مشكلة الصلة بين ارضيات سكان الأرض ، والموارد التي
تخرج منها ما يتم ادود واسع العافية وقلم تستغرق انبائها
أكثر من سطر قليلة في الصحف ، حيا بعد حين ، ويسد
يعتقد ما يؤثر خطير يسر ذكره في الحافض وحقيقه الأمر أن
هناك مؤثر معتد اليوم في أهمه محله روح من هذه المشكلة

ولكن قبل ما من مع به . ومع ذلك ليس من العاوي
التقدير ، أن نقول إن الأزمة الثانية ليست أقل شأناً من الأولى
بل في الواقع أن نقول ، إن مشكلات الأزمة الأولى ، لن
يرجع لها حل برصى ، بل هي حسنة لت تستعجل ، بل لن تحل
مشكلات الأزمة الثانية .

وأساس هذه المشكلة في نظر فريق من العلماء ، وفي طلبهم
حول ذلك هكسي المدير الأول لخطبة أوسكو ، أن موارد
الأرض لا تكفي سكان . ولي أردنا أن نرفع مستوى التعدة
لجميع سكان الأرض ، إلى معدل مقبول ، خلال ربع القرن المقبل
بحسب أن يعاين مقدار الطعام الذي كان يسج في السنة السابقة
لشوب الحرب العالمية الثانية . وهذا شيء لا يمكن أن يتم في
سنة أو سنتين ، وفي خلال ذلك يزداد عدد سكان العالم نحو مئتي
مليون كل عشر سنوات . أي أن سكان العالم ، يزدادون
أزدياداً يعوق أزدياد موارد الطعام . وفي الوقت الذي يزداد
فيه سكان العالم ، نحو عشرين مليوناً كل سنة ، ترى الامساك
الحديث قد تمكن سلاحه لندمير الحصارة ، أحدها الأسلحة
الذرية ، والثاني الاهمال الذي يفتت تربة الأرض ويؤدي إلى
انجرافها . والسلاح الذي أشد خطراً على الحصارة من الأول ،
فاحترق ، والتقابل الأسلحة الذرية ، بدمار البيئة الاجتماعية
التي تنبئها الحصارة وأما تقتب التربة وانجرافها وما يلحق ذلك

من قلة الارض المنتجة والكمال وفعلاً، فتدمر ابيطة الطبيعة الي
تنت فيها الحياة نفسها وتزكو .

هذا يحمل رأى هكسلي ومن يجاوزه . ولكن رأيه لا يسم
من النقد ، والدون يمدون الي سهامه ، لسوا أقل منه رسوخاً
في علوم الأحياء ، بل هم على منه كمناً في علوم الزراعة وفي
طبيعتهم السرجون رس كسر علماء الزراعة في بريطانيا .

ورس لا يسكر حدة أزمة الطعام الي يعاصي انعام ، والسدير
الذي طلع به جوليان هكسلي في العهد الأخير ، طمع مثله على
العالم من قبل ، مالتوس في سنة ١٧٩٨ ، والسير وبه كروكس
في سنة ١٨٩٨ . وبهكسلي العهد الذي لا يدبر السير وبه
كروكس ، شهد فيما شهد ، صنع اوسمة الكيمياء ، بعد أن
استكرت طريقه لتسبب تروجون افواه ، كما شهد وحرف محتفه
من التقدم في نساب الزراعة العلمية والعملية ، وتحسن نساب
النبات وزيادة إنتاجها بالتأصيل والاسباب ، فصاحت منه ١٩٣
وسر وبه من العالم ، لمجاعة الي برفع كروكس ، والعهد .
الذي يجارون رس ، في رأيه ، يدهش إلى من الانفاع
بالمعارف العلمية الخديثة في الزراعة ، والتعاون الدولي على تطبيقها
يتمني أن يريدا موارد الطعام زيادة كافية . وقد بين مد عهد
قريب عالم معروف أن الكيمياء كفيطة متحويل مادة السولوس

الخشبية إلى صروب من موارد الطعام ، فإن صح ما يقول كان في ذلك وسيلة جديدة لزيادة موارد الطعام ، نصف في غيرها .
وحجة هذا الرجل أن معدة الإنسان لا تستطيع أن تهضم اللوز ، و ب تحويل اللوز مع مواد غذائية أخرى ، إلى لحم في الأضراس كاللحم والبقرة وغيرها ، ليس عملاً محدداً حدود كافي ، ولعل لا يحول إلى لحم سوى ١٢ في المئة مما يأكل ، إن حسن أكله ، وإن قل من ذلك ، ثم يحسن ، ويحول اللوز إلى كمياء ، في مواد غذائية كالكسكو والبروتين وغيرها إحدى كثير . وهذا مستطاع . . الرجل يرى أنه إذا نتج بعلوم الكمياء كان في وسع الأرض أن تكمل غذاء ١٥ ألف مليون من الناس بدلاً من ألفي مليون وربع مليون ونصفهم .

وعلى كل حال فإن هيئة الطعام والرياسة السابعة بلامهم المتحدة قد أعلنت في دسورها أن أغراضها الخاصة في رفع مستوى المعيشة ومسوى لجميع شعوب الأرض ، والسعي إلى زيادة الكفاية في إنتاج الطعام وسائر المحصولات الزراعية وبيعها ، وتحسين حال الجماعات الكبيرة التي تسكن بريف ، فتسدي بذلك كفة يد في إتاحة الأقدار المعاشية وأطراف انشاعه .

ومن الأمور المتفق عليها في هذه الهيئة أن ثلثي سكان العالم

يدور ما هو دور الكفاءة من العداء ، وأن محتهم حقيقة ان
 تتحسن ، وعافيتهم ، تتردد ، اننا اقدر ، واحياً من العداء
 الملائم ، وان علاحي العاء عتنا سكة ، ونهم يستصعبون ان
 يشعوا الكفاءة من مواد الطعام ، اننا اسماوا تعارف العلم الحديث
 واساليبه ، وان ارشيد انساج ونجد ، وسائل التوزيع ،
 يكفلان عملاً جمع اساس ، ودائماً في رأس يد ر قصادي
 اجتماعي راجر يفتون ان الفتاء على هذه واعور ، وأن تحقيق
 هذه الأعراف ان يتم إلا عن طريق العدا ، وان ان اسول ،
 وشر المعارف والسظم الانساني ، وهذا هو أسلوب اعلمة في
 علم .

ومملكة الشرق الأدنى ، هي إحدى المناطق ذات الأهمية
العظمى ، في العالم اليوم ، إذ فيها موارد زراعية وافرة تستطيع
تسليمها ، فإذ نبع منها خلاق يعطينا مفهوم أهمية والعلمية
أقصى ذلك في مباحثه . فمن توسع ريادته الانتاج الزراعي
فيها ، حتى يصير كافياً لمد الحاجة ورفع مستوى العيش ، وري
كان هناك فائض للاصدارة . وعصير الحقول المخصصة لهذا
الموضوع يحتاج إلى فصول كثيرة ، ولكن الذي يجمع على أن
موضوع بحسب الزراعة في الشرق الأدنى ، بقروعه المتعددة -
ريادة مساحة الأرض التي تصلح للزراعة ، ومشروعات بري ،
وبحسب الامتداد في مبادئ البساتين والحدائق هو مهمة ينبغي

ان يرداد تشجيع الثقلين بما بكل وسيلة ، وهو مبداء للتعاون
بين شعوب الشرق الأدنى وحكوماتها من ناحية ، ثم بينها وبين
أهل العلوم الزراعية الحديثة التي أحدثت في بلاد كثيره أعظم
الحدوى . فالانتفاع بهذه الأسباب ، وبالخبره التي يكتسبونها
تطوعا ، يقضي من جانب كثير ، والاقدام على هذا الانتفاع نحتاج
للبراعة والعقل بمعنى ان نصله

ان اوراق الى نشرها لعم الخديرة ، في زيادة الانتاج
الزراعي ، وتوفير الطعام الصحي ، هي آفاق لا تحصى ، ولكن
لشكنا لا يمكن ان نعرف عدد حده من نفعه ان ، من بعداه
ان ما تستطيع الحكومات ، من وسائل توفير الانتاج ، وحما
توزيع الأرض واستخدامها ، ورفع مستوى المعيشة ، واعداد
الخبراء وتشجيعهم على العمل ، وما تستطيع معاهد العلم ،
وطرائق التزينة العامة كالصحافة والادب ، من نشر هذه افئق
النوعية المتحصنة وحب على ارضها ، وتعليلها للصغار في اسلوب
والتدريس ، ثم ما يصنع هذه النوعية والزراعة التي انعم للامم
لتحده من تنسيق هذه الجهود ذات حده ، على أساس من التعاون
العالمي .

مهد كده ، هو في نظري هم واحد في ألف مرة و مره ،
من الجهود ذات الى بدل والأموال التي تنهدر في كثير من
لتشؤون السياسية . وليس أصح من الرياضة ولا نسيه وظيفتها

في الأمانة وحب الأمانة ، ولكن جماعة البشر اليوم تواضع لزمه
 كياناً ، ذو كيان شطر كبير مهبط على سطح الأرض ،
 والسياسة المشقة المخذلة هي التي يحدث أصحاب قدرات وأهمل من
 عاينتهم على حفظ الكيان ، وأن يصتروا على الصراع في سبل
 السلطان ارائل

٢

كل من يتأمل عجيبة هؤلاء لا يفتقر محله بغير التمسك
 من مدرة يسبح أو دعاها في رومن فديس بضع أقدام ، مستمدة
 حبها وموها من ثاني كسب الكروب في الهواء ورمز حده في
 الماء والتربة من ملاح ، مستغنية على رالك بصوة الشمس وحبات
 صغيرة حصر في نسبا وركبها الكيمياء بركب معقد
 مصب الدف وروب وموا معدة وأخرى عصرية أو معدة .
 فاسته تشي كل عدا من الماء والهواء والنور ، بعض ضوء
 الشمس وحساب الحضور ، *the light* . وأمر كذا التي
 تتركب في جسم النبات ، لا يمكن تركبها في المعامل الكيميائية
 إلا بشق النفس - إن كان ذلك مستطاع . فالاحتمال بالوارد
 الطبيعية الزراعية التي يحدد سه بعد سه وريادة تعجب بالناصيل .

والاستحباب والرفاه ، وحلها محل . يصنع من بعض الموارد
أبعديه التي لا نحدد هو شيء تقتضيه صيغة المبررات الحديثة .
ونقص من ذلك أن يكشف العلماء عن التركيب الصوري
فيحيروا قادرين أن يصنعوا ما يتبعه الناس الآخر .

وهذه موارد كثيرة نافعة لكن الصهر بها ، ولا عهد على
فعل الأحباء المحبوبة هذه أرحم بحر طاقته من المواد فيصنع
الحل والكمول . ولا عهد على غيرها تكن الحصول على مواد
حرى لا على غيرها ، ومهما هو ضروري لصناعة اللدائن
الكيميائية البلاستيكية .

ولا يخفى أن رب الخشب سعيه في صنع الورق وكثير
من اللدائن الكيميائية والحيوية الكيميائية كإحرير الصناعات
وعنده . واتباع هذا الأسلوب حتى أن قطع الشجر
في حراج كثيرة . حتى كادت الأرض أن تنصح حردها في بعض
المنطق ، وبما هم الخطر على موارد الخشب وعلى مصير التربة
أيضا . وارتفعت حسنة بعض العلماء مدبرة بالخطر الذي هم

ويؤيد بالحب الزراعي : التنظيم الزراعي لا على غيرها في
حيث أعظم فائدة من تربية والاقليم ، أي من موارد الطبيعة
التي تمكن تحديثه من بعدة . وهذا يقتضي استحداث العالمي
والععاون الدولي في أوسع نطاق وينبغي أن يجارها كذلك

سيطره دواية فقه على التدوين ، تعرض على الموارد المعديّة
وتحول دون الأسراف والتسليم في أسسها واستناده .

تشير كتب السياسة التي كتبت وفشرت قبل قرن ونصف
قرن من الزمن و أكثر قسماً إلى أن أرباب التفكير السياسي
والاقتصادي كانوا عارفين في بحر من التثاؤم حيال موارد
الضخم المتاحة له في عصرهم على سطح الأرض . فقد كتب مالثوس
رسالة قبل قرون في أن معدل الزيادة السكانية يعوق معدل زيادة
موارد الطعام ، وقد أصبح هذا وحسب المشرى بحكمه عنه في
تمهله بعيش على حدوده في افقة والظنح . ولم يكن أحد من
المفكرين قاتراً على أشخاص مذهب مالثوس يومئذ ، بل أحد
مهمهم م يكن قادراً أن يحدس ما يحسونه به العلم في غدهم القريب .

وما حاه به العدد م يكن مع ما سبق شاسعه من الأرض
السكر وحسب . فهداه حكمها على صول المدى ، جامع لمذهب
مالثوس . ولكن دي حاه به كانت روال الزراعة القديمة ،
وحلول الزراعة الحديثة التي تعلم بحكمها . فزادت قدرة
الإنسان على إنتاج الطعام من الأرض ، وعلى إنتاجه أن يحتاج إليه
وإن كان بعيداً عن موقع إنتاجه ، فزاد سكان الأرض خلال
القرن الذي انقضى بعد وفاة مالثوس زيادة يفوق معدلهما كل
زيادة سابقة في السكان ، بيد أن معدل إنتاج الأرض زاد كذلك ،

ولكن يشترط في اطراف هذا الاتحاد ان يستمر البحث العلمي ،
وان تطلق هذه القدرة في جميع أرجاء الأرض المتوالية التي م
زل يعتمد على تسليب الزراعة القديمة ، فيعظم لرحاء بحس مشكلة
الطعام الى عيش ان نعام بحراف التربة في اصقاع ، وازدياد
هل الأرض ارضياداً مطرداً

فما قامت الصناعة الحديثة و تسع فئات ، شئت مشكلة
طعام حديد . هو معدة لا تسع ، وهي اذات معدة لانسب
من معدة آلات . فالآلات همه مهم المواد الخام . وكل
مخترع صدي حديد ذو خطر يثنى ، طلباً على معدة حديد .
وذا تسع وتسع اسمها ، رداد الطلب ، والمحرك البخاري خلق
النسب على الجمع في الصناعة . والمحرك البخاري الداخلي خلق
الطلب على النفط ، وصناعة الفناشات على ارنسيوم والاميريوم
وهكذا

وسب الفئات هي لمعدن الوحدة التي لا على عنها للاجتماع
حديث ، ولولا ما كشفه العلم من وسيلة اصنع لاسمعة
الكيميائية لاسمعت مراراً بتراب الصودا الشيلي ولى العام
تساعة .

واضح والضرورة حياً تفصيل ، لاقتصاد في استنباط
اموارد الطبيعة التي لا تتحدد ، وذا صحت ، وبشرى وحرب

إحلال المواد المصنوعة من موارد معدده ، في زراعة ، محل
المواد المصنوعة من مورد غير متجددة ، في معدنية ، من كان
ذلك مستطاعاً .

وقد صنعت صناعة اللدائن الحديثة وفي جديدة في هذا
المبدأ لا يكاد يكون لها حدود فقد تمت منها مواد ونشياء
متينة جميلة حمام حائض ، وكرات محاور ، وكمر أبواب ،
ومدبص أفلام ، وفروش وعب وموائد ، ومحاريب ، الآت
صاعة آلاف من المواد وأشياء انبافعة تسخر من حريثات
القطر (مهدرو كرويه) حتى لقد عيس أن يري القطر هو
كبر ودجيره ، يكاد أحد يعرف في قراراً أو معدة .

ظن ولا أن موارد الطعام محدودة بمحدود الزراعة القديمة لا
كهي لا شاع الناس أن يزداد مددهم على الأيام ، وكذلك
من عندما نشأ منه خامات اللازمة للألات ، أن الموارد
الطبيعية هذه الخامات لا كهي لا شاع بهم أدلات . فقامت
نظريه خاصه بالخامات المصنعة شبه نظريه ماثوس الخاصة
بموارد الطعام فتهاقت الدول عليها ، وأصبحت ذات أثر في
الساسة الدولية ، وأصبحت كثير من بواعث الخصام بين الدول .

وكننا المظنونين كان صحيحه ، عند قيامها . ولكن ارتقاء
العم غير القواعد التي قامت عليها الأولى . وارتقاء العم قد بدأ

يعبر القواعد الى تقوم عليها الناسة . ولعل نعم يعرف من عبيد
بعد عهد غير طويل . قد سمح به طرقات الارتقاء . فبحسب
طريق نظرية ماثوس على الخدمات الصاعدة وهادها ، سحافة
من سحافات عهد سابق . ولعل عصم فائدة بعينها الشرح في
هذا العصر ، أنهم يتنازعون على مواد طبعية يستطيع العبد
يضع بعضها أو يدا منها ، من صورة واحدة وهو .

ولا يزال هذا التطور العالمي خادع في مسهبه . فبدأ محي
قديماً معه شع المحدث النهم ، ولو كان مسهل بشر على
"صح الأرض مرسطاً . يستطيعه العلم وحسب ، ما كان عا
شك في أنه مستغن باهر ، بدأه مرسطاً في المقام الأول بصلات
الامم بعضها بعض ، فبدأ حصص هذه بصلات حرك العمل
ومطلق المعرفة صح عرب السيد المسيح ، وتعرفون الحق والحق
بحركة - من خوف وافتة فاعين في الحاسه . العاية
والسياسية - هو مناط الأمل ، وهو كمال الشاعر العربي .
وخير مشير صم النادي .

موسم الرحاب

من اصدارات الجمعية في حياة العشر، أن يجد العلم والصناعة
قد بنى من الارتقاء مبلغاً يهد الناس جميعاً أصاب الوعر والخيبر
وشاء يجد في اروع عيشه نسي أن أو ربح متردب في هوة من
النؤس والخرع والسقم تنعطر لها الفلوب . الضعام بسهم قليل لا
يكاد يقيم الأود ، والمروى عاش فلا يقدر للوليد أن يطلع من
العمر عشرين ربيعاً ، والمأوى قليل وحقير لا يواتم كرامة

حظته لقد في حنة مروع عطر حمة نصف الآخر الساسي ، في مراميل
٢٩ آذار (مارس) ١٩٥٣ -

الأساس ، والقدرة على العمل وعلمه واحدة فكان الرهن شحيح
بمث

ولكن علم الحديد كشف الأبرار ، وفتح الحيل الصناعية
ومهد أبواب التقدم لاستغلال موارد الطبيعة ، وتوفير المأكل
والملبس والعلاج الوفي أو الثاني جميعها ، والعناء محمول
على أن الموارد الطبيعية كهي عدداً من أناس يفوق كثيراً
عدد من الذين اليوم أن حسن استغلالها وتوزيعها ، وهم
يقصرون على سكتها ، واستغلال الأساس لهذه الأنواع
من جملتها ، فيها موارد جديدة لا عهد لها من قبل
كان الضرب من قبل أو أكثر فلهذا المورد رزاقه
ذلك هي لشرا من تعدد رباتهم عام بعد عام ، ولا يمكن
الانحياز من حول العلم ومخترعها خلق البراعة الحديدية ، فإذا
محتاج يريدون ما حده من ثروة ، ثم حققوا أيضاً الوسائل
الحديدية لحفظ الطعام وتغييره بالمواد الحيوية ، وفلهذا ، فصار
سراً من كان محتاجاً إليه ، وإن كان بعيداً عن مواقع إنتاجه
وكان الضرب أيضاً من موارد الخدمات اللازمة للراحة لا
كهي ، فيها منجم الفحم ، وهما ، أثر بعض ، وكل من تلك
المنجم أو الثروة ، أو ينص على رعايتها ، يستطيع أن يستغنى
وأما غيره فعليه أن يقع أو أن يجار . ولكن العلم الحديث

أنهم أما يستطيع أن يركب مواد كثيرة جديدة كما يعتمد
فيها على الصالح أو الذار إلي بعد أو بعض ، فطائفة من
البدن إلى صنع من مادة الخشب و القش نحو الأثاث نحو
الحديد والحاس ، والسهم الكبريتي نحو نحو السهام الطبعي .
أما الطاقة التي توجد من أدبر المتدفقة ، أو التي قد عشت من
إشعاع الشمس ، فحدها . نحن الطاقة المخرجة وكتابت حبة
حرارة من نعم الطبيعة ، فكذلك من حده التماس على نار الحطب
أو مناجم الفحم والبورانيوم .

فإذا صاح رحل السهم والاحياء النجور من رقة امور
والدهة والمرص ، فإن رجال العمر والغصاة : ليحكم ، عند
بين أيديكم . هذا خاتم سديان في العصر الحديث ، ويحكم أن
الحكمة وأن الرشيد في الانعاع به على أومى وجه واضمه للعدل ؟

حاء على البشر ومن ساد فيه الاعضاء ان الانساب مسير
كألا له ، لا خيار له في شئ ، فإع السجين والاسلام لغوى
الطبيعة الحارقة التي تتحد في الحين بعد الحين ، مظهر العنف ،
فيثور البركان ، أو يعيش النهر فصلاً مدبراً ، أو يعم الخفاف
يسير الفهد والجوع في ركابه ، أو يسبح لوباء وينشر ،
ولكن آفة الفكر الفلسفي والادبي ، عوا على هذه المقدمة ،
ثم ترفع عن كاهل الانسان معه ما يعمل ، حتى التماس يستطيع

أن يزعم أن الكواكب دفعة في الليل ، فلم يكن ، حير وليس
عليه تعة

بيد أن الإنسان قد تعم على الدهور ، أن له من قدرة العقل
وسعة الجيلة ، ما يمكنه من اجتماع القوى الطسعة ليعه . عه ، لا
يرال يقعه عاجزاً أمام التوكان أنز و رلرا اندر ، ولكه بسطيع
أن يعمه ذمار بالحسور والقاطر والسدود ، فلا تقبض فيضاً
مهلكاً ، و يورع مياها لذي ، وسدع في ذلات فولد الطاقة
لحركه وتضع السداد ، وهو يستطيع أيضاً أن يسيطر على حد
بميد على لماعات بريادة المحاصل حسب تحود ، وتوريعها حيث
تخص ، وعلى أدوية لمظهر الصحي والحسن الواقعة والعقاقير
السحرة ، فالإنسان الحديث ، الذي هل العلم من مسدعه ، لا
يخشى الصبيحة ، فقد علمه العلم أن يحو عليها وأن يهيمها وأن
يتنع بقواها .

وقد يبدو أن الإنسان مقدر عنه أن يدمر عنه بعته ،
فصنذ أن شرب الحرب العالمية الأولى ، تراه سدوعاً كأن به
مساً من الحسن ، إلى حرب نلسها حرب ، العالبت فيها حاسر
كالملوب ، حتى ليحبل إلى المراء أن الشدص قد تألب عنه .
فساقته إلى أن يدمر به ، كل ما شاد وما أمدع ، أو ككته
بأغلال من الشر لا إطلاق به من سارها . بيد أن الذي يعم

النصر في حال الشر اليوم ، وحاصم مه آ لاف السي ، يدرك
أن أكبر الخطر الذي يحشاه الانسان اليوم ، ليس مرده
الى الطاعة على لاكثر كما كان الحال في العصور القديمة ، من
مرده الى الانسان نفسه .

فالخوف الكبير ، لا يتصرف القوي الطبيعية التي تحرك
الكواكب في افلاكها ، من يتصرفها اعمال الخوف وشهوه
الضعف ، وقد كان الخوف في العصور القديمة ، وسيلة من وسائل
البقاء ، فالخوف من الحيوانات الضارية ، والخوف من خطر
الموت جوعاً ، ركب في طسعة الانسان ترجعاً عصبياً ، يدفعه
حيث ، الى القتال نوداً عن الكيان ، وحبساً الى الفرار ، وحبساً
الى عمل اسهل وسكنا وسينة أو أداة مكنه من قتال الوحش
أو تأمين سائر الخلق .

فالخوف اعمال قدم ماحصل في تركيب الانسان ، ولكن
الأسباب التي تدفع اليه يومئذ قد زالت ، كلها أو معظمها ،
صطرد الممرات والأجتماع والعم . مصدر اعمال الخوف اليوم ،
هو الخوف من الناس ، وهو حد الأسباب الأساسية التي
يحصل الانسان خفواً راجية ، فهو لا يجد مسأله في الطبيعة
كرد عائلة الحولاء عن الماء ، فتدفعه الى البيئة الاجتماعية فيولد
أثرية والصعوبة والحسد والافتراء . ومن الحكم المشهورة عند

رجال احرب أن المجوم خير وسائل الدفاع ، فذلك ترى
الناس يهاجمون غيرهم لأنهم يندظرون أو يخشون أن يهاجموا

فإذا أراد الناس أن يسمعوا ما أقام لهم من سيطرة على
الطبيعة وجبت تربية النفس ورصها ، حتى يبعث شعور
التقارب والتآلف على شعور الخوف والنعور . نعم من العيب
أن تقول لأحلك عليك هذا الوحش المتوحش ، أو هذه الأفعى
الى نفع ، فادركه أو مهله ، وفي هاتين الحالتين والعطف ،
فيستش لك الوحش فباده ويحول لك الأفعى ولا يمكن ذلك .
أذكر كما أن الأحوال الأولى ، الى شأنيهم المعبود ، الخوف
وتأصيل الرد العصبي عنه ، قد فلتت و زالت ، وفهم الإنسان
لقوى الطبع ، ولا تتعاضد بها قدراته ، فمهد للتعاون المجدي ، فقد
فحصا بيدينا على رصم المسألة الفلسفي الذي يستطيع أن يوقينا
مهايات الحروب .

فاحرب هي عدوان الإنسان على أخيه ، عدوان
سده الخوف وخشه الطمع ، والخوف قد بدأ شأنه في الدفاع
عن النفس ، وأما الطمع فيحقق في النفس شهوة السيطرة ،
وكلاهما يولد الخوف في نفس الغير ، وقد نحن أمام سلسلة متتالية
حيث نسبي ، وليس في الوضع كخطم ، لا ، ودا عروج المعبود ،
الخوف وشهوة الطمع .

أما الخوف فيدعي أن يتم كل دليل تمكن إقامته، الدولة
التي تخاف العدوان، على أن لا حاجة لها إلى بوقه، وأما
الطمع فيدعي إقامة الدليل أيضاً على أن لا جدوى منه، وأن
الجدوى إنما تكون في التعاون على كثير الخيرات التي جعلها
العلم والصناعة طرق السبل وروا الأرض وما عليها.

حقاً إن القول في هذين الأمرين أسهل من العمل، وحال
العالم اليوم هي حاله، فهو اليوم ~~مكتناب~~ مكتناب، كل منها ترى ما
يحملها على الخوف من الأخرى، وأن خوف الأخرى منها
سحيق لا مروع له، فهي لذلك تعتقد أن حصصها غير صادق
ولا ملحق في ما يساوره من خوف. فالمشكلة النفسية من
وراء الحاد العالمية متعددة مناحله في النفس، ولكن كثير من
المفكرين لا يرون أنها مستعصية على الحل، وعلى كل حال
هذه الاحتكام إلى القوة لا يحلها، بل يريدونها تعقيداً وتأنساً.

وليس العرض من هذا الحديث أن نحوص في البواحي
السياسية وأخرية هذه المشكلة، ولكنه القول الصادر عن إثنين،
نأبأ لا نجد شيئاً خارجاً عن شهوات البشر وضعفهم، يدهمهم
حسماً وقسراً إلى حكاية عليه. نعم إن ما شهدناه من بلانا
حريين عالميين، وما شهدناه الآن من تخشبة حرب عالمية
ثالثة، حقيق أن يدفع إلى التنازح، ولكن ما شهدناه أيضاً

حلال القرن المنصرم من اصراد العلة على القافة والجلل والموس
والنقاوت الاقتصادية والاجتماعي ، يعري دلوحة واثقه

منظر في ناحية من حياة هذه العصر ، فيعلم الرجاء .
ونظر في ناحية أخرى فيعلم الحروف . فيحصل وليا أنت
الانبي مساهبات لا يمكن التوفيق بينها حتى سدهد تدس يعلمهم
الحروف اي ان الحرب لا ممر من ، لأب الآراء والعقائد المالة على
الكتلت متنافية ، وانه يتعدر على حداهما أنت تعيش في عام
تسيطر الأخرى عليه . يعون فريق لأمد من عه فتزعزع فيه
الحرية . فـ ، فتزعزع فيه كله ، من يباح ان فتزعزع ومن
طوبى في بعضه وحسب . ويصول اتحر أو بعض كأنه يقول .
لا بد من عالم يسان فيه السلطان بالقوة والحكمه ، من راع
الحرية وآمال اصحابها ، لأنه إن لم يكن كذلك في العلم كله ،
ولن يسلم منها في بعضه وحسب . ولدت يقال ان الصدام بينهم
لا ممر منه إن عاجلاً وإن آجلاً .

بيد أنت العريضة يسببان عوة الساربح ، وهي — لك لا
تستطيع أن تضع عالمًا ما بالسلاح ، لا على أساس من الحرية ،
ولا على أساس من السلطان . فالسلاح ، قد يستعمل لحق
الحرية ، وقد كان . والسلاح قد يستعمل لزعزعة السلطان وقده ،
وقد كان أيضاً . فالسلاح لا يبي ولا يثنى . والمشكلة التي يعانيها

العالم اليوم ، شطريه وما بينهما . والتعدي الموحته إلى العالم
اليوم بكنشيه وما بينهما ، إنما هما كيف بيني عاماً جديداً بوانه
كرامة الانسان الحر . ففي وسعنا أن نحمل أحد أركانها ،
لأول مرة في تاريخ البشر ، وقرأ من أسباب العيش والكرامة ،
التي كشف العلم مآدئها ، فأحالتها الصاعقة حقائق "لمس لمس"
اليده من مشرق الشمس إلى مشرقها .

منذ ربع قرن من الزمان قال أحد رجال التعليم . إن
العالم في سباق بين التربية والكارنه . وقد كانت هذا التعبير
بومئذ ، محازراً بأحد العرس ، ولكن "الكارنه" في العصر الذوي
صارت حقيقة كالحه ، والتربية نفسها هي عمل "يدل" على ليلان
بالمستقبل . فالتعبير اليوم أصبح أصدق بما كان ، والمعنى المضمن
في التعاوت بين شطريه صار ليع بما كان . وفي إدراك هذه
الحقيقة معقد رجاء المستقبل . فالإنسانية ، برغم ما يمزقها
في هذه الأيام من أسباب الصعوبة والطمع والخوف ، هي على
موعده مع هذا الرجاء ، وعسى أن لا تتخلف عن موعدها .

كنت أقلب أوراقاً منذ أيام ، في ظرف قديم حمله معي
مع ما حملت من شؤون يوم أعدت إلى ليسان ، فوجدت على
صورتين تملآن غرق الباخرة نيتانيك ، أما الصورة الأولى فتش
الباخرة العظيمة وقد اصطدمت بجبل الجدد ، فشق جسمها ،

واخذت عجل إلى العرق في اليم ، وقد كتب تحت الصورة
 « ضعف الانسان قوة الطبيعة » . وأما الصورة الأخرى ،
 فتشبه قارباً مدلى من جانب الدخنة ، وهي توشك أن تذهب
 إلى غير رجعة ، وأمام القارب الحافس «الركاب» ، رجلٌ يمسك
 بالزول ليحس أو يقف في آخر مكابٍ مباح فيه ، ليجر مع
 السجين ، ثم تراه وقد ارتد ، ليحلي المكان لسيدة وطفها ،
 وهو يمسك به شرب كأس الموت إلى الابد . وقد كتب تحت
 الصورة : « ضعف الطبيعة - قوة الانسان » .

من ذا الذي يستطيع أن يسكر أن في طبيعة الانسان ،
 دجيرة من الخير ، غلالة ، ومن ذا الذي يستطيع أن يزعم أن
 هذه الدجيرة ، المسئلة في تصنع المرأة ، من أجل الانسانية ،
 كما تصنع سيدات هذا الفرع الكريم في جميعه انصبب الأحرار
 الانساني ، لا يصح أن يكون قاعدة لسوء الناس ، بل
 يفرض على الخير العام

لا يجامري شئ في حكمة البشر ، على كثرة ما يبلى به من
 علمهم وحققهم ، فالذكاء الانساني يرهقه التعليم ، وتثقله المرأة ،
 والارث الثقافي ، يجبه البحث ، وتوسعه التربية ، ويحصه
 الاختصار ، ولا بد ان يحبه يوم تلحق به نفوسا ، بالعلم الذي
 ابتدعه عقول ، وترفع حكما في مستوى المعارف التي

انتزاعها من صدر الطبيعة ، وعد ذلك تدرك أن اعظم ، حل
الدولة والسياسة هو وحش يرشد المعرفة ويقود بالمعطف والحكمة ،
وأن أعظم استعانت ، هي جماعة لا تحصى للقوة من تصور للفهم
والخير ، ويؤمنه يكون العلم قد اندمج في الأعراض العليا ،
أروحية والاختراع ، فخرج لنا من الدفقة لكسير الحكمة
المتناهية .

عقدة العنصر

قرأت مرة أن الفرق بين المشائم والمتعائل ، إنما هو فرق
في وجهه النظر ، لا أكثر ولا أقل ، فإذا وقف كلاهما أمام
كأس فيها ماء ، إلى نصفها ، قطب المشائم صاحبه وقال : هذه
كأس نصفها فارغ ، وأما المتعائل : هذه كأس نصفها ملآن .

وأنا إذ تدبر بطري في هذا العالم ، وأتفرس في أحجائه إلى
نشر أو بداع ، ثم أعود إلى نفسي أراجعها ، أروي بخيراً في
أمري : أتى زمرة المتشائمين نحشرهم في زمرة المتعائلين . فالعلم

(١) حديث ذئب من محبة الادعاء العنابة .

اليوم ، هو كتلك الكفاس ، بسطيع المرء أن يقول فيه ، إن
صف ما فيه يندر بحظر متظير ، والقدرة على التدمير يستعمل
يوماً بعد يوم ، والصراع على القوة وعلى السلطان مستحكم ،
حتى انك الشجر عجزوا عن أن يستخرجوا العروة من سر
التاريخ ، ومن واقع الحدة ، فيساحرون بدلاً من أن يتعاونوا
على الخير ، ادي صار صوب انسان ، أو يكاد أن يصير . وفي
وسعه أن يقول أيضاً أن هذه دحر يشر بحجر عميم ، والباس
اليوم توسع معرفه ، ووسائل من محارب الماضي تزداد ازدهار
مطردة ، واماارك العامة التي تدور في معان البحث العلمي .
تعد للاسان على الارض مستقبلاً اجمي وأفضل من كل عصر مضى ،
والاسان ادي فتح عبقه على نور العمل ، ومضائل اخررة
وقيودها ، هو حجر من انسان حاض مستعبد . فالاول منشأه ،
وهو على حرة ، والثاني متعبد وهو على حق نصف ، فانه الكفاس
أرجع ؟

وإذا زدنا أن مستخرج العروة من الماضي على ما سبقه من
حيوة في يوم الدس هذا ، لم يكن بد من أن يفت في ما يلاه
الباس في عصر مضى ، ولكن مثلنا مستخرجاً من القرن التاسع
عشر ، على أن يجد فيه مرشداً لنا وهاذا

في سنة ١٧١٨ كتب السيد شرمهادر ، كتاب العالم

إرادة وفكرة، وهو يطوي على أشد حملة شها كاتب على إيمان
 لاسان، الارتقاء واحصورة . وفي ١٨٢٦ مات الشاعر كيتس
 ملولاً ودثناً بعد أن ختم شعراً غريباً تعطره أوراق الحريف
 المتساقطة ، وثقله مناساة الآمال الخائبة . وفي سنة التالية مات
 شلي عرقاً دون أن يحسب أن يقدر نفسه ، على ترحيح أديب
 ترحوا له ، لأنه يرمي بالعيش بعد حلال الأحرار في أوروبا . وفي
 سنة ١٨٢٤ مات بيرون عن عالم كان قد وضعه في قصيدته
 « دون جوان » ذلك لوصف اللاحق ، وفي سنة ١٨٣٥ شرده
 موسيه « اعترافات ابن القرن » وقد رسم فيه عالماً يتفق فيه اليوم ،
 وقوماً لا يبر طريقتهم شعاع من أمل ، وفي سنة ١٨٣٧ مات
 بوشكين في روسيا وسودى في إيطاليا ، بعد أن عبرا عن
 تشاؤم عصرهم وقومهم بغير سعياء نداء منه أمة الروس ولا
 أمة الطليان من بعدهما .

كان ذلك الحيل ، حين تشاؤم وهبوط من فطرة الانسان
 على الارتقاء والخير

ولكن لم يكن يتقني النصف الأول من القرن التاسع عشر
 حتى أخذت حيوة أوروبا تنبعث ، وهذا الكتاب والميكرون ،
 يكتمون على أعينهم إكباب الباحث عن دحية في قصر مدمر
 مهجور ، وهذا العلم والاختراع يوطدان الأركان التي قامت

عليها عظمة الحضارة العصرية في وسائل العيش ، وإذا الآلات
تحرروا الإنسان ، أو سيج للامسان أن يتحرر من رقة الاستعباد
إساعات من العمل المصنوع ، وتفتح له ، أو يفتح له أن يفتح
بيديه ، يوافد واسعة على فرص يستمتع فيها ، للزهوة والثقافة
وعقيرة الفنون . وإذا طرق المواصلات والمحاطات الجديدة ،
أسباب تهدد لتربط الأمم وتلاقح الحضارات ، وتبادل الصانع
وأفكاره . في هذا الحس تنبع على ظفر الأدب الباهر في قصص
هوعو وولزك وذكوز وناكري ، وأشعار هوعو وهابي وتيسون
وبروسنج ، وفيه أيضاً تكون العواصم العصرية التي حفزت
داروين إلى وضع « أصل الأنواع » ، وسلسر إلى كتابة « فلسفة
التطور » ، ورومان إلى تأليف « مستقبل العلم » ، وكانوا جميعاً كحيلة
المشاعل يتقدمون بها حقبة جديدة في الحضارة ، فكان حينهم
حين هذه وقعت

صورتان متماثلتان لجيدين متماثلين من القرن التاسع عشر ،
في أوروبا . والحياة انتهت قائمة على قدميها ، من براتر الموت -
أو ما ظل موتاً - وهرت التجدد ذر في أعقاب الدمار - أو ما
ظل دماراً - والحقيقة في الحالى ، أن الفترة التي أوجت
بالشائوم إنما كانت فترة محاض أليم ، والفترة التي تلتها كانت فترة
أنشئت فيها الحياة سدطابا الذي لا يرد .

كانت فكره الارتقاء والتقدم مما شغف به رجال الفكر منذ
العصور المتغلطة في تاريخ الفكر . ولا تزال الآراء متحاربة
فيها حتى يومنا هذا . ففي أهم الحصاره اللوديه الرائده كان بين
الفلاسفة من يرى أن الحصاره سائره في سبيل التعهفر ، صائره ، في
القضاء . وكان فيهم كدلت من يعتقد أن الحصاره ماحبه في
سبيل التقدم واري . إلا أن الله الأوى كانت أكبر عدداً
وأوى أحاراً . فعند الرأى أن لكن حصاره أجلاً مسمى .
فتشواى عليها ربهه طوراً . طور الطعوله فطور الشاب فطور
الشبحوه ثم طور الماء . وقد صن فريق كبير من رجال
الفكر والفلسفه حتى أو حر عصره الاجباء ، مأوى بهذا اللون
من التفكير ، يظفرون إلى الماضي في هذه الحصاره ، إلى لم أقل
في لفه اليأس القاطط من الحاصر والمستقبل . ويذهب بعض
مؤرحي الفكر إلى أن هذا الأثر ادي تركه هـ ـ ـ ـ التفكير
اليوناني في تفكير العرب الوسطى وعصر الاجباء ، كان جبانه
على الحصاره لأنه كتب المهور وأحمد ابو هب رماً طويلاً .

هذا النحال بين الامم الارتقاء والتكاده ، لا يزال قائماً و
تغيرت صوره وتبدلت أوضاعه . ففي الفتره التي اعصب بين احرب
العالمين ، برعت فئة من فلاسفه العرب إلى القول بأن الحصاره
العربيه على شفا حرف هار ، وقد كانت مشطرا الاناني لسيها

اللمع في كتابة الحظاظ العرب ، وكاتب تقاسمها فنه أخرى ،
تذهب إلى أن الحضارة العربية - وهي الحضارة العالية في القرن
العشرين - هي حضارة قائمة على العلم والصناعة ، وأنها تحتوي في
نفسها بدور منها وتحديدتها ، ذات العلم ليس وفقاً على طائفة
واحدة من الناس ، ولكن رجال العلم لا يقتصرون في طائفة دون
غيرها ، من صفات الأمم ، ولا في إقليم دون غيره من أقاليم
الأرض ، فإذ دهرت معاهد العلم في قوم اردهرت في قوم
آخر ، وإذا أقوت لمصانع في لاكثير أو ولايت أميركا
الصناعية ، فليس ثمة ما يمنعها أن تدهر في هند أو الارحنتين
أو قلب روسيا الآسيوية ، فالارتقاء في رتبها أمر لا ريب فيه

طبعاً ، إن الحضارة الصناعية التي توحج في شكلها الحاضر إلى
قريب على الأكر ، لم تنبع في القرون الجميلة عاقرة من طراز
هوميروس وفرجين وشكسبير ، أو من طراز فيداس ورفائيل
وبيترو ، ولكن في وضع الباحث أن فيه الدليل ، على أن
حيات العلماء الذين عدوا إلى قلب الدر أو رادوا رحاب الفضاء
القضية ، ليس دون جبال الشعراء ، وإن كان هالك بحول في
معنى ما يصرف الحد إلى - وإذا كان أبناء الحضارة الصناعية
لم يشعروا نعت المبادئ القديمة التي عيها روحانية العباد - على حد
قول شوقي في الأهرام - فيجب أن نتعرف بأن لكل عصر

روحاً تظهر في مبادئها، فالجور المملقة العظيمة الوحيدة، وماضيات
السحاب الصحية، ومبادئ المعاهد العامة، وحتى مبادئ المصانع
في بعض البلاد إلى أحدث أسباب الارتقاء الاجتماعي والصحي
للعمال، نطوي على روعة عالية إلى الفن، نحسب فيها حاجات
العصر الذي يعيش فيه وتحتدو معه العينة.

على أن الحضارة الصناعية في بلدنا وطبيعته الاجتماعي الذي
ولدته، خلقت للناس مشكلة لها أهم مشكلات العصر في هذا
النظام السياسي والاجتماعي. وهي مشكلة النزاع الفخري بين روعة
الحرب في نفس الإنسان وحروقه التنظيم والتوجيه في عصر
الصناعات الضخمة والشركات التجارية الكبيرة، فاني روعة الحرية
مرجع الابداع الذي هو سر كل ارتقاء. وإلى النكس العنصر
في الصناعة والتجارة مرجع غير يسير من التحكم والاستناد
بالطبقات العامة، وإلى ترك الحبل على غارب، لهذه الكس الصناعية
والجارية، وعدم التمسك بيب وهي حاجات الأمة الواحدة،
وحاجات الأمم جميعاً، مرجع كثير مما شهدناه من الأزمات
الاقتصادية وأسباب الروع الاقتصادي المفضية إلى الحروب بين
الامم.

مشكلة التوفيق بين السطون والحرية، أو بين الحرية وحسن
النظم في نطاق السيادة والاقتصاد هي المشكلة الاجتماعية

الأوى في هذا العصر، والأصل في هذه المشكلة هو أن في وسع
البشر أن يستثمروا بالحرية بغير أن تنتشر الفوضى، وأن في وسع
الحكومة أن تدارس السطاب بغير أن يعم الاستبداد، وأن في
وسع الناس أن يفتحوا أوقار إنتاج، وأن يستمتع جميع العاملين
نقطة عادلة من الربح يكمل به العيش ارحي، ولكن كيف
السيبل إلى تطبيق هذا المدأ، على شؤون الناس؟

في العرفين المتطرفين، نجد في اليسار أصحاب الرأي القائل
بإطلاق حرية الإنتاج والتجارة إطلاقاً لا ضابط له سوى قانون
العرض والطلب. ونجد في اليمين أصحاب الرأي القائل بأن الدولة
ينبغي أن تسيطر على جميع أسباب الإنتاج ووسائل التجارة،
ولا رأي إلا رأياً ولا قانون سوى كتابتها. وكلا الرأيين
متطرف، ودأول يعني أني ضروب من الاستبداد الاقتصادي
لا تتواءم مع دعوى الحرية التي جرح هذا الرأي باسمها، ثم إلى
ضروب من المداغة على الأسواق، هي مبدأ الاستثمار ومعادته
وانتشار العلم في هذا العصر، وبقطة الشعور بحقوق الإنسان،
مناوئ للاستبداد الاجتماعي، والاستعمار السياسي والاقتصادي،
والإلها جميعاً يرجع ما يسبب إلى النظام الرأسمالي من مساوئ
وشرور. وأما الثاني، فيؤخذ عنه احتشاد السلطة في يد طبقة
حديثة متبيدة، لا تلبث شهوة السلطان أن تفسدها وتستبد

ها، فتنبيل إلى محبد ملطها، التمتع والتحكم والاحتطاد، وبايام
الناس ويعويدهم الخوف من جيرانهم، واستغلال هذا الخوف في
اثارة الشعوب بعضها على بعض، وضرب حواجر دون تعارفها
وسامها، أي دون تشركها في نفس عام واحد، صار قيامه
مراً لا بديل منه، بعد أن حطت العلوم والصناعات خطواً
حينئذ إلى جعل شعوب الأرض أمة واحدة في اأوضاع، وبعد
أن صار خطر القسوة الدولية في نوعها المروعة خطراً مائلاً من
يديها، لا وهماً من الاوهام.

وقد يجب مساوى الرايين اسبروع منها عهدده من حفظ
دول ارضائية برعم ما أحدث به من اساليب حكم الباي في
بلادها، وفي عهدناه أيضاً من اساليب الدول لأحدة عند
السلطات المراكز وعددة الدول، منها تخفيف الأسماء التي تطلقها
عليها.

فالمشكلة مشكلة حقيقية، وهي محرك القلق في دحل
الدول، مما تثيره من نضال أصيل مديد، يلعب مدح العصب احياناً
بين طلبة العمال وطبقة أصحاب الأعمال، ويؤكد أن يش الحياة
الاقتصادية احياناً، وما نقضي اليه احياناً من تشكيل السلطات
في دول أخرى حتى يصبح التبعي بالحرية ضرباً من التناق عي
أوسع نطاق. ثم هي محرك القلق أيضاً بين الدول، مما تثيره من

ريب ومحاول، يرد إليها الساع الأول على نظرة الشاؤم من
مضيق الحصاره ومستقبل الانسان على سطح الارض .
أفتنس الحياة سلعها مرة أخرى فصار من هذه العمرة
كما قلت من قبل ؟

قسم العصر الحديث

• لن نجد في دراسة الحصارات ، وأسرار قيامها واحطاطها ،
نعمة أعظم من نعمة النظر المشارف ، قوله حق فأما بي طاعور
- رحمة الله عليه - يوم سمع بلفائه في القاهرة منذ ربع قرن
أو نحوه . والنظر المشارف ، لن يسط على امره غفواً في كبس
من السماء ، ولا يم بدهه ، كما يلم جبال شرد فيقيد في فريدة
أو صورة أو حل ، من هرصة من صفات العقل في رجل يكس
على دراسة التاريخ لمقارن ، وله من عدة الفكر وعدة حُثق ما

حدثت دمع من محطه شرق ، لادن للإدعه بعره

عكس من مكابذتها ، فإذا انتهى إلى حكم ما ، فكأنه انتهى إليه ،
على دروة عالية ينحنيها ، فيشرف منها على ما كان ، وعلى ما هو
كان ، فيرى نسج الحياة المتصل بساب من نخته ، فيستبين فيه
العقبات الغالية عليه ، ولا يرى الصعائر التي تشعلها كل يوم ،
مؤجداً بها وبحر ، وشيع بوجوها عما عر بها عن أشياء قد
تنطوي على خواص ومعار تجمعها ناقة على اندهر ، فلا يكشها
بعد رهن - يطون أو يقصر - سوى أصعب النظر المشارف .

وبحسب شغل اليوم = كل يوم - كثير من الأحداث
والأقوال ، التي يصعب أن تتعد دليلاً على انحطاط البشر ، وفسادهم ،
ولكنها إذا ألقيت بحرة مشاهد على سير البشر في بضعة القرون
الأخيرة تبداً صفات غالية ، استنصها الزمن بمصاعده الدقيقة ،
فإذا هي كالأعلام المنصوبة على الطريق أو كالتقمم الشائعة .

وبعد انقضاء سن على هذا الحديث مع طاعور لقيب رجلاً
ليس له شهرة طاعور ولا سمته ووفاره ، ولكنه مع ذلك رجل
عرك مراحل الفكر والحضارة في محلات تشهد به بوفرة العلم
وتقوى الفكر ، هو رين دورانت مؤلف « قصة الفلسفة » التي اشتهرت
في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن ، وصارت المثل الذي
يجتدي في كتابة كتب « القصص » عن العلوم المختلفة . وقد
اضطلع رين دورانت منذ خمس عشرة سنة أن يحوها بكتابة

« قصة الحصار » في سبعة مجلدات ، كل مجلد منها كتاب صحم في نحو ألفي صفحة ، وقد ظهر منها حتى الآن خمسة مجلدات أولها « ترانما الشرقي » ، وثانيها « اليونان » ، وثالثها « بين قيصر والمسيح » ، ورابعها « عصر الآباء » وفيه خلاصة حدة عن حصار العرب وعلومهم ، وخامسها « عصر الأحياء » .

وقد قابلته عرساً منذ سنوات قليلة في حفلة تعامية في صدق شبرد بالقاهرة قبل أن تأكله النار ، عرفته قبل أن أقدم إليه ، وانجبت به راوية من النهو ، عند أول فرصة سئمت ، فتطرق بنا الحديث إلى قولة طغور ، فابسم ووافق ، فسألته وهو الذي غاص في أطوار تاريخ الحصار . « ذلك أب نسي الماحي اليميد ، هبة ، وأن مستخرج النظر المشارف ، في العصور الحديثة ، فتذكر في القمم التي نظمتها أعلى ما تعلمه الأساسية في القروث الحديثة وأنتم ما تحفه للأحياء المتعة ، « اسم قامة واسترسل ، ودوت في مذكرتي ساعة عدت إلى داري ، رؤوس ما قال عادا هي « الآلة » و « العلم » و « وسائل التعليم » « الكتابة والطباعة » . وأذكر أنه قال لي يومئذ حسب أي مجموعة من عصور التاريخ أن تكون قد أنجبت هذه الآثار لتبقى حية على الدهر ، وحسبنا نحن الناس أن ننظر إلى هذه القمم في تطور الإنسان الحديث ، لكي نحقق قليلاً ما يعلم بنا من بأس أو تشاؤم ، حتى يصدق

ما لا يمر من شؤون الساعة أو أحداث اليوم .

لما أقص في مذكرتي ما قال ، ولكني عدت مصادقة مد
عهد فريب إلى قصور كنسها في هذه المعاني وقتنها
قامتخرجت منها ما يلي :

الآلة في وجه الخاليين ، ودعاة تحطيم الآلات والعودة
إلى أعضات الطبيعة والعصرة يشد فريق كبير من مفكري
العصر الحديث أنشودة الادوات والآلات التي احتضنت الإنسان
وهي دي تحروه . بحسب ألا يحجب من محاسن المادي . لأنه
من الخير أن تكون صروب الرفاهة التي كانت مقتصرة من قبل
على الأغنياء قد أصبحت يعقل الصاعقة متاحة من يشاء . كان لا
مدوحة أولاً عن تقليل ساعات العمل و ، كثر ساعات الفراغ -
وإن شيء استعملها - قبل نشوء ثقافته عامة تشتت في طينها
الشعوب . هذه المخترعات المتكاثرة قد أتاحت لنا ذلك هي
أعضاؤنا الحديدية التي تسيطر بها على بيئنا من غير أن تكون
أجزاء من أعضائنا . نحن نصنع أدرعاً حاربه نبي بها في أشهر
صروحاً كال بناءها يقتضي عمل ألوف وألوف من العمال في
العصور العابقة ، وغيوياً صحة تروء الفضاء بين النجوم والدم
النائية ، وغيوياً صغيرة دقيقة تعد إلى خلايا الأقسام الحية التي
لا ترى . وما تتكلم إذا شئت بأصوات خافتة من قارة إلى قارة

فوق البحار والجبال إنما سير فوق سطح الأرض وفي الهواء
بتلك الحرية التي انتفعت بها أمة الأقدمين . نسيم بأب السرعة لا
تطلب سائرها . ولكن معنى الطائرة الأرضي إنما يقوم في دلالتها
على الشهادة والارادة إلى لا تقهر . لقد مضى عليها هرون كما
فيها مقدس - كما قد يروميتيوس في الأساطير إلى سطح
الأرض ، أما الآن فقد نحررت

كلا . إن هذه الأحداث لن يسبغر علما . إن جدلات
الحالي أمامها أمر وبعض . إنه وقفة في سير استمر نحو عمار
خال من الاستعداد . لأن نعم الحديد الذي من السيد
والسود في الأزمة العابرة قد دفع عن كواهل الإنسان وعهد به
إلى عضلات من الحديد والفولاذ لا تعب . وهرباً يصح كل
شأن وكل ربيع نهـ مصدر المسك منه الطاقة المفضة في
المعامل والبيوت ونسي الإنسان حر من كل قيد ليصرف في
أعمال الغش والخير .

العلم : لقد صدق المؤرخ فكان يوم قل ، ب الارتقاء الصحيح
إنما هو الارتقاء في المعرفة وغيرها من المواهب لتتخذ مستورة
العلم . ها هي أشرف البحث الذي لا ينتمون بألقاب النيل ،
وفي أعمار الصائمة التي تدور في معاصر البحث العلمي ، تقع
على صفحات جديدة بأب ترجع ما راء في السياسة من فساد وفي
الحرب من تدمير . ها الآلات الذي يحوس أنظمة ويصد

للاضطهاد في طريقه نحو النور انظر اليه واقفاً على سطح هذا
 السيار الصغير يقبس الكوكبات الى لا يكاد يراه ويرى أجرامها
 ويحين أشعها فيعرف ما تقوم به ، ويسئ بأحوال الأرض
 والشمس والقمر ، وبشاهد ولادة عوام جديدة وفناء عوام قديمة .
 أو انظر اليه رياضياً ظريفاً في القصر يعالج معادلات تسفر
 عن نتائج يصعب قوة الانسان . هذا جسر قومه مئة ألف
 طن من الحديد معلقة على أربعة حبال من الصلب ممتدة من
 شاطئ الى شاطئ ، ويروح عليها الناس راكبين وراجلين مئات
 الألوف ويمدون . هذا شجر بلع . وهذه الساية المطادة الداهية
 في آخر مئة طرفة وطفنة ، تيل من حاب الى حاب ولكن على
 مقدار ، أو ليس هي في مساعدتها وأنها أروع من على جرأة
 المهندسين وثقتهم بحسابهم الدقيقة . وهذه العلوم الطبيعية تفتق
 الطاقة من قلوب الدرات . هذا في تعامل متعدد عوم الأحياء
 لتغيير وجه العالم المعصومي كما عبرت علوم الطبيعة وجه العالم
 المادي . ذلك نفع على مئات من العلماء في كل طبيعة ، يدرسون ،
 في غير حجة ولا ادعاء ولا انصراف للجراه ، ولا تكاد تدري
 مصدر هذا الانكباب والاختلاص ، مع أنهم يعلمون أن الموت
 ملذذهم قبلها قوفاً الأشجار التي يبرسونها ثمارها الحبة

بيد أن ما يقال من أن نور الانسان على انطباعه لا يجاريه
 نور مثله للانسان على نفسه هو قول صحيح . إن الحجة التي تؤيد

القول بالارتقاء تضطرب هنا ونحن . فعلم النفس لا يكاد يدرك
 سوى الانسان وشهوته مع غلبتك السيطرة عليها وبوجيها . انه
 مختلط بجانب كبير من النحوف وما وراء الطبيعة ، ودراسة
 النفسي ، والبرقة المكتبة وحالات العدد وأمر من المراهقة وغيرها
 ولكن علم النفس لا يد أن يفوق على ما يعصف به من العواصف
 ويتأثر من الأدواء ، ولا بد أن يصحح كثير العلوم عما يأخذه
 على نفسه من النعاس . فادعاه ربح كيا كور ووضع حدود
 دباحته وربي طرفه وأساليبه ووضع أغراضه وغارده . فمن ما
 ونحن نعرف معاجيل التزيين وصلاة الرجال - يستطيع أن
 يعين حدود الآتي التي يستطيع أن يجسدها من اتساع معرفتها
 بالعقل البشري . بعد بدأ الانسان في عصره بصرف نظره عن بيئته
 التي خلقها خلقاً حديداً ، في نفسه ليخلقها خلقاً حديداً أيضاً .

التعليم : كانت وسائل نقل التجربة والخبرة المتجمعة على
 ادهور ، قليلة نادرة ، حتى من القروب وبسببها أخذت في
 الازدياد والانتشار . إن اتفاق الأموال الطائلة وبدء بجهود
 الصحم لتزويد المدارس واعداد المعلمين يكاد يكون أمراً جديداً
 في العصور . ولعله أهم ما يمتاز به عصرنا . كانت الكلمات في
 العصور العارة كلاب لا يزال شرف الانتساب إليها سوى أفراد
 قلائل من طبقات الأغنياء والأشراف ، ولكنها كثرت الآن
 حتى كادت أن تصبح في مساوئ من يشاء . لم تتعوق على أعلى

مراتب السوع والعفوية في العصور القديمة ولكن رجع مستوى المعرفة العامة فوق كل مستوى بلغة التاريخ في الماضي. ونحن إذا نظرنا إلى التاريخ نظراً شاملاً وحدتاً أن تجربة التعميم العام لا تزال في مهدها. فالوقت الكافي ينقص عنها بعد لتثبت مبادئها وتستكشف أوسع آفاقها. ولها لا نستطيع أن نرى في حيل واحد أو يصعب أن يحل عشرة آلاف سنة وأوهامها.

ولكن لا نحد التعميم سحلاً للحقائق والتواريخ بل يجب أن يكون وسيلة الاتصال بأعظم العقول والعصور اتصالاً يرفع النفس إلى منوى السبل. لا تحببه استعداداً للارتقاء وحسب، بل لإناء القوى الحكامنة في النفس حتى تستطيع أن تفهم عالمها وتفسر عليه. وفوق كل ذلك يجب أن تتعده في أوسع معانيه وأكملها وسيلة لنقل التراث العقلي والعلمي والصناعي والأدبي إلى أكبر عدد من الناس، فتطيع نفس الفرد بطامع البشرية. ولا نكاد ولد بشراً ولكننا نصير كذلك عن تسببه البشرية علينا بثبات الوسائل والطرق التي تنقل من الماضي إلى الحاضر ذلك الإرث الثماني الذي رفع البشر اليوم شيئاً ما إلى مستوى لم يبلغه جيل آخر من قبل.

الكتابة والطباعة • هما نعدنا بحياتنا لاما لا يستطيع أن

تصور حالة العصور التي سقت استيعاب الكتابه لما كان الناس
لا يستطيعون أن ينقلوا تجارتهم ، لا بالكلمه الشعريه من الوالد
الى الولد . فاداسي حين ما تلقى أو أناء فهمه اضطرب أن يعود
إلى أسفل سلم المعرفة ليقبضه من جديد . فحات الكتابه بمهدده
سبيل القاء لآثر العمل . بها حطت لنا في أناء قرون من الفقر
والجهل وانوم كنوز الحكمة التي حكتت عنها القصة وآثار
الجمال المرسومة في ادمامه والنعم . فربطت الأجيال المتعاقبة
بربطه التراث المشترك .

وكما ربطت الكتبة الأجيال المتعاقبة تربط الطباعة الحصارا
وبلافح بيها . فعد تعبر الحصاره موطئها ولكنها لن تزول من
وجه الأرض إلا بروال الأرض . فعدا حذبها ما دمرها في
بلاد ما كحرب أو جفاف أو جليد أو وباء فيمكنها أن تزدهر
في بلاد أخرى ذات جمع نبات وأساليب مدونة في الكتب التي
تداولها الأدمم . لسبب الحضاره عددً أقطعيًا مرتبطًا بالأرض
التي ولد عليها ولكنها مجموعة من المعرفة الصناعيه والابداع
الثقافي . فإذا كان في الامكان انتقال هذه المعرفة وذلك الابداع
الى موطن جديد فلا يصح القول بأن احصاره زالت دأها وإنما
غيرت موطئها ، والفلسوف لا يجهل أن تحل مديسه الي ويد
فيها إذا أتيح لمديه أن تنقل من جيل إلى جيل حتى تصبح
جزءًا من الارث الانساني العام .

نحن وانتم

سيدي الكريم

وقع اختيار حركتك عليك لنحصل علمه في انتخاب اربسة ،
فأغنى لك التوفيق ، ولست اتمناه لك عطفه خاصة ترتبط بك ،
ولكن لاننا نحن معشر العرب نتنا تسمى وعروج تعبير في البيت
الابيض بعد أن بلونامه ما يلونا ، كما يتمناه ملايين من
الامريكيين ، لأسباب معروفة . ونحن نعلق هذه الامة على

نشرت في صحيفة « لاهرام » على اثر رشع خيرا - اربساور للرئاسة
الامريكية عن احزاب الجمهوري ثور يوليو ١٩٥٢ .

طلبنا بأنك أصبح أدراكنا لمزلة جماعتنا من الشعوب، ورفعتنا من
الأرض ، في الجهاد الذي لم نزل نؤكد أنه جهاد - من أجل
السلام والحرية

ولكن لا يسعى أنت أبداً لك ما أنشأه عليك في أرضا ،
بعد مدينتك ، إن لم أبدأ ما أنشأ لك في وطنك . وهذا ما حدث علي ،
وأنا عربي ، أن أقول شيئاً مما ينبغي أن يكون في أمة تعد
عني خمسة آلاف مبل أو تزيد ، وفي أمور ظاهرها بحسك ولا
يخصي . ولكني زرت وطني غير مرة ، وحالطت غير جماعة
وأحدة من نخيرة جماعته ، فصرحت أعتقد أن أمريكا لن تستطيع
أن تدل للعالم خير ما عنده . وهو كثير . إن لم نصر هي
مرة ثانية خير ما كان . وخير ما يمكن أن يكون . وهذا
شيء يخصني ويخص كل إنسان يبذل إلى الخير والعدالة والحق ،
كما يخصك أنت . وذلك أحرز علي محاسنك ، وقد شعرت
عني حرصك ، وأنت قائد حربي ، على حسن القوة الحقيقية في
المقام الأول من الأدراك التي تقوم عليها دولة الأمة .

قرأت منذ عهد غير بعيد لكاتب غير أمريكي فصلاً كتبه
بعد أن زار عاصمتكم فقال : لو بعث أحد أبناء روما في القرن
الخامس ، وقدر له أن يزور وسطى اليوم وأخذ بظواهر ما
يرى ، لقطع بأن الرواية لم تعد فصلاً ، وإنما ما يرى من مشابهة

بين عاصمة الولايات المتحدة اليوم وعاصمة الامبراطورية الرومانية
فيين انهارها .

ولعل الرجل قد أخطأ في التشبيه ، فعدكات روما يومئذ
عاصمة امبراطورية مترامية قامت على الفتح ، فكرت عليها
سبايك الرمن فادا هي بين معان الترف وصراع الطامعين
بالسلطان قد أثمرت على الانهار . وقد معنى على انهارها حمة
عشر قرناً أو نحوها ، فلا يذكر الناس الحفائر ارومانية ،
ولكنهم يذكرون العيون الروماني ، ويتدارسونه ولا يسون
الطرق المعبدة ، وفترة السلام الروماني وشعر مرجل وحكمة
اوريبوس وخطاته ششروب . وأما أنهم فقد احدث بتلاسيك
صورة حياة راحرة مدفقه ترعب رعة صادقه في التعبير والاشء ،
وشقان ما بين الحاي ، وادا صدق مراسي في تاريخكم فانكم
على الزعم من الرحاء المدي ، ان ترصوا ، إذا ستوجيم ذلك
التاريخ ، يعير الحربه واخير بديلاً ، هي وسمكم اليوم ان
يربعوا على ادوح ، وانف قعدموا دول العام الحرفي هذا
الطريق ، ان أنكم سكم مهاوي من سلف ، سفاكم اماء على
التراث الذي ولدكم وهذا التراث اذا افترق بالعلم والصناعة
الحديثين وأنهم من أراجما - كان كعملاً بأن يد أمام البشر
آفاق رجاء لا تحد .

طعماً إلى المشكلات التي يعاينها ويحملونها عنه البحث عن
 حلول ما هي مشكلات عاتية وهي لا تقتصر على امشكلات
 ادخالية كشكة العمال والصناعة ، وبعده حقوق المدينة ،
 ووقاية اقتصادك الراحر من أن يدم به نكسة ، واستقرار شبابكم
 إلى القضايا بل عن الشهرة ، ورفض الحجة السيئة عن موازن
 الشهادت بل تشمل أيضاً المشكلات الخارجيه التي تضمن بأمن
 الأمة وسلامتها وصلابا ، أدوار الأخرى وما لكل ذلك من أثر
 في مستقبل البشر على سطح الأرض .

وليس لكم مفر من العناية بالخصيص جميع . فسلامتكم ادين
 انشأوا الولايات المتحدة ، همرو العام القدم امندو في سهوب
 العام الحديد حياة قوامها الحرية والعدالة والخير والسعادة وان
 لعمري ما سمى . وقد وحدوا أمامهم أرضاً مكرراً يتحدى تغييرها
 عرائسهم فأفلوا غيب وفعروا ها فشعثهم عن سائر ادبها وثقت
 في نفوسهم وحلقتهم عليه ارواد . ثم الدور شرفاً وتمراً قادا
 بحبظاب متر ميان يعضلهم من سائر الأرض ، وقد العرلة حقيقة
 واقعة ، ومن عجائب القدر أنت حروب الولايات المتحدة من
 عرائسها ، بعد انتماء كها بها ربما طويلاً ، كما مرده على الأعلى
 إلى احترايين كان للامريكيين فيها يد كبيرة ، ولشعب الامريكي
 نفسه قضى قضاء مبرماً على هذه السياسة يوم صنع الطائرة في

مستهل القرن العشرين ثم يوم صبح الفسلة الدرية فيبين انصافه
وان كان فريق منه لا يزال غير مدرك لعواقب ما كان .

وقد سبقت في رحلتي المتلاحقة الى مدرك واحاديثي مع
رجال التربية والعمل والسياسة من أهل ، ان في حينكم ثلاثة
مباريات عميقة ، متفرقة وتسمى ، وهي أولاً انصراف عن الاستكفاء
وحروج على العرب وإدراك صحيح لاسماتهم اليوم ، وثانياً
سمي صادق ان تعزير نظام الاحهاد اخر بتعديده حتى يجمع بين
الحمد العربي والتسعة الاحمعية فمضير اسم بديلاً وأقرب الى
العدالة الاحمعية واحسن لولام الطغيات ، وأخيراً ، نجاه من الفكر
والتربية الى دراسة الأسس الخلق والاحمعي للعبارة الصناعية
الى بعد أمتكم أبلغ من ما . وهذه المباريات الثلاثة متلازمة ،
فالخلاق المعروفة وادقنصافه الى مهدت لمرلة ابودت المتحدة
وما مضى ، هي اليوم التي تقضي ذلك تعود الى عرلتها ، وعمية
الرواد التي عمرت نصف عاره في قوس أو أهل ، ونشأت هذا
لاقتصاد اراحر العربي الانتاح هي الى تستشرف العالم اليوم
لنعم ونشئ . والولايات المتحدة أقل اعتماداً على الاصدار من
سائر الامم الصناعية الكبيرة ، كالمالبا وبريطانيا ، إلا أنها
أصبحت تدرك من الناحيتين السياسية والاقتصادية ادية ان أمم
العالم موصولة الأوصار ، وأنه يستحيل على الماء أن يعيش يعيش

الرصاء، يعنه في رجاء ومعنه في فاقة. ولو تقنم إلى نطاق السياسة
العالمية قول رئيسكم العظيم لسكنن. و يستحيل على هذه الأمة أن
تعيش بعضها حر وبعضها عبد. له الإدراك. ولعل التيارات
الثالث وهو الميل الصادق إلى بعض دوائر النفس وتب التبعات
الحلقية والاجتماعية الواقعة على كاهل الأمة ذات القدرة والقوة
هو أدناها إلى الأصول، لأن الحصار القائمة على الزهو بالرجاء
والقوة تصرف الناس، عن الفصائل العريقة، وعن معاودة النفس
بأن هذه الفصائل هي النبع الذي تزوي منه الحصار وان غاض
ديت ومشى اليأس في أطرافها

تجوزون اليوم - ، سدي الحكرم عمار تجربته سياسيه
وجهية تستغرق كل نشاطك وتتخذ بالتقليد العربية في تاريخكم
وبسط ظلها مشرقاً أو غائاً على معاهدة كبيرة من أمة الارض
وتؤثر في ميراث ومصيرها ، واسم فلكوك من القوة والثروة
ما بعد لك أن تستدرجوا مئات الملايين من الناس إلى مسايرتكم
ومناصرتكم ، ت تشتهون من مشروعات وما تبدلونه عن سعد
من معونة اقتصادية أو فنية أو حربية ، ولكن شح روما يطل
من وراء هذا كله ذهب ذكر حدهب ومعانيها وأقام ذكر
قانونها وحكمائها . وان لم تكن أمتكم ميمة على الصميم من
توانها الانساني ادي حملها هي ما هي ، مثل وستنطن مأسة

روما مرة أخرى ، والثروة والقوة حليقتان إن استشرتا أن
تضرباكم عن طلب الحق والحرية والعدالة ، وعن فهم من يطلبها
والعطف عليه وتأيبده . فتسفي الثقة بكم فإذا اتقت لم بكم
عها في آخر الأمر ألف ألف طائفة تحجب وجه الشمس ، ويومئذ
يحق لمن يشاء أن يقول أطول الضعفة الأمريكية في تاريخ البشر ،
بافق ، واقب صفحة جديدة . والسلام عليكم .

- ٢ -

وفقت في رسالتي الأولى إليكم ، عند فوقي بأن أعظم مصلحة
يسمي أن تتوجهها أمريكا هي ثقة الناس بأنفسا لن تلقي تقويتها
الأدبية العقلية إلا في كفه العدالة والحرية ، فإنه لم يعم ، والقوة
المادة قد تعيها شيئاً مهماً ما ، ولكنها لن تعيها شيئاً ما في
آخر المطاف .

وهذا المعنى هو مدار الصلة بينكم وأمتنا فقد جاء زمن
كما نعتقد أنكم لا تسحب سوى هذا السهم القوم ، فكان لكم
عدداً تقدير وود ، ولم يكن لكم يومئذ قوة حرية كفوة سائر
الدول الكبيرة ، فلم يقص ذلك من تقديرنا وودنا مثقال ذرة .

ولكن منذ أن طلعت علينا نظرية «ضرورات الانتخاب» هبنا
 النظرية ولم تقلها عدداً لما كان ، وقد ارددنا قوة قتل ودنا حتى
 كاد يبلثى ، منذ أن بدأنا تفكيكون بحكم الأول . ولو كانت
 الولايات المتحدة اليوم ، كما كانت في عهد غير بعيد معتزلة الديبا ،
 قاعة بالاذمة في قارتها بين محيطي متوايين يزمان سلامتها ،
 مكتمية بان يقوم معظم اقتصادها على سوقها الداخلية لحق
 للأمريكيين أن يفعلوا ما يرونهم من إفحام «ضرورات الاسحب»
 فيما يعالجونه من أمور السياسة العممية . ولظن مصائر الناس
 غير معلقة على جواه هذا المرشح أو ذاك ، أو ما يستوييه من
 تأييد هذه الجماعة من اليهود في ولاية نيويورك ، أو تلك الجماعة
 في ولاية اخرى .

فما وقد حرم بعد الحرب العالمية . ولاسي بعد تأييدها ،
 في طليعة دول الارض قوة ونفوداً ، واصبح مصير دول كثيرة
 وطوائف شتى من الناس ، معلقاً على تتجدد أو تدعونه من
 حطط سياسية ، وما يقوله أقطامكم أو يمتنعون عن قوله ، فلا
 يعقل أن يكون تقرير هذه الحطط رهناً بأهواء الانتخاب .

وقد أتاحت لكم مشكلة فلسطين ، فرصة قلما تسنح في الدهر
 الصويين حرمة مثلها لأمة كبيرة ، لتوفق في سياستها بين كرامة
 المبادئ التي ولدتها ونادت بها ودعت إليها وقابل إياها مر

كبابها ، ومن مصدحتي الحب ، فحدث أدلوي ، وحبيب الشايه
عرشه اللوار .

قرأت بيان سياسة الحزب الذي وضعه في أيديهم ،
فأذا هو يقول : نأيدكم الأمم المتحدة ، يعوقه نأيد ، أهل
في أن أمال ماذا يكون أن صنعوا ، ففراراً ، وبوصال ،
للأمم المتحدة ، وافقت عليها البصرة من الأعضاء ، وعرضها
الصهيونيون ، هم نسو احمر واوردق الذي طلع به أو عيه .
يقولون إن تعيدها نخرج إلى قوة ، وأن ننتك في هداء ، وإن
بوسائل التي كفل بعد فرار أو توصية . ثم الأمم المتحدة ،
صح العزم وصدق الله ، هي كثيرة لا تحصى ، فأنا نجد و
يكن به من الامور إلى القوة ، فليكن بحره إليها ، فقد لحاقه
إليها يوم ستبفتح جمهورية كورنا

حدوا مسألة القدس ، مثلاً . كان المسلمون حافظة على مقدساتها
مد قرون كثيرة ، فحسبوا الحداثة ، ولم يكن سهلاً على نفوسهم
وكرامتهم أن يذروا عنه ، فلما صرح أمرها على الأمم المتحدة ،
احددم النقاش في اللجنة السياسية ثم في اللجنة العمومية ، واعتقد
اندول الاسلام والمسيحية على أن يكون منطقة القدس هو حيز
نظام هذه المدينة العريقة في الدنات الكبرى ، وقد كان هذا الرأي
في اللجنة السياسية كثرة تزايد ، ول في اللجنة العمومية كثرة

اكبر . فكيف يستطيع ، كاتب من كان ، ان يزعم انه يؤيد
 الأمم المتحدة ، ثم يتحادل عن تبديد فرار وافتت عليه كثرة
 ساحته من دول العالم - لأن الصهيونيين لا يريدون . وهم
 أولاء يقولون إليها وزارة خارجتهم ويريدون العنات السياسة
 الأجنبية أن تلحق بها . وقد هين أنك أمير أن تقولوا سرفكم ،
 وهذا أصعب الأيمان ، أما لائنا الصادق فهو التبديد الحارم لما
 أوصت به الأمم المتحدة ولم تكف عنه . ومن المدينة الجديدة ،
 التي في أيديهم اليوم قوة وتحكماً ، وادوية القديس حيث حائط
 المسكن ، رمية حجر وحسب ، فكيف تظنون ما سيدي ، أن
 هذا التحدي للأمم المتحدة والاحتاج فيه غير خفي أن يرضى إلى
 عدوان جديد ، قد يتقدم وقد يأنجر ، عزمه أن يكون حائط
 المبكى في طاق السيادة الاسرئيه - ويروم تصيح كنيسته
 القيامة والمسجد الاهمى وهذه الصخرة ايضاً في طاقها ، وهذا ، يا
 سيدي ، من الكباثر !

وكل مسألة أخرى من المسائل الخاصة بفلسطين ، للعرب
 فيها سند قوي من التاريخ والحق والعدالة وقرارات الأمم
 المتحدة ، فاد صدقه القول بأنك تنوب أن تؤيدوا الأمم
 المتحدة أقوى تأييد ، وإذا راعى تقاليدكم العريقة ومصالحكم
 العليا جميعاً ، لم يكن لكم مفر من أن تصلحوا ما أفسده غيركم .

قد يقول لك مديرو مجلة الانتخاب في حريك أن لا بد من
 بمالأة الجماعة الصهيونية حتى تظفروا بأصوات ولاية نيويورك في
 الانتخاب . من تستطيعوا أن تالكثروا أكثر مما مالأهم ساكن
 البيت الأبيض اليوم ، ولكنهم لم يجعلوا نيويورك في صفه في
 انتخاب سنة ١٩٤٨ ، فافصوا على هذا اليوم وانقدوا سمعتكم
 منه . وأنتم تدكروا هورستال ، أول وزير للدفاع الأمريكي ،
 وقد كنتم في بعض عهده رئيساً بمئة زكاه الحرب ، وتعرفون
 ولا ريب شئت كثير عما سمر به حياً بأمريكا لأعيرها ، من
 رفع قضية فلسطين ، فوق معصية الانتخاب ، وأهوائه ، وكيف
 خدع ومن حذره . ونحن أن أقول لكم إن الأمر جد ، وقد
 أنساه موقفكم في هذه القضية في محبتها وتفصيلها أبلغ لمساعدة لكم
 في الشرق العربي والعالم الإسلامي الأوسع ، وإذا قد آن
 أدوا أن يدعوا مساعدكم في الحرب المتقراحي ، إلى اجتماع
 بمحضرة أقطاب الحرب ، ويمثلو الطائفة اليهودية في أمريكا ، وأن
 تقولوا هم يلعب الحزم إن أمريكا لا يسمعها بعد الآن أن تعرض
 مصالحها العامة للخطر بسبب حوصاء على مصدقة خاصة بشرف
 أقلية ، تزعم أنها حرة من الأمة الأمريكية ولصحتها في الحقيقة
 ذات ولاه مودع ، فتكلمت دون أن تفعل بالحكومة الأمريكية
 لن تتأخر عن كنها .

وأنم ، ياسيدي ، من أهم الناس بمصحتكم . فهذه ارفقة من

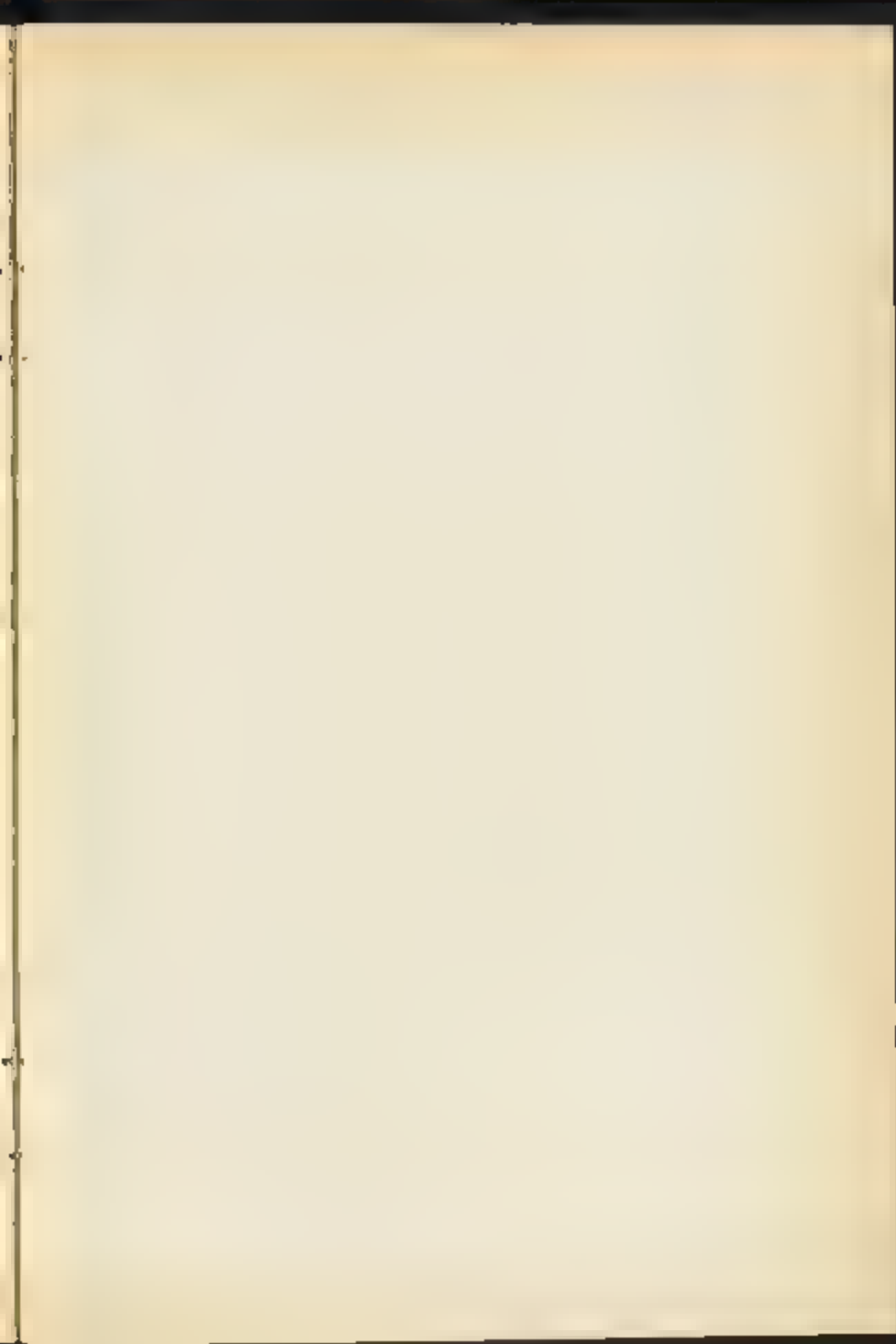
الأرض ملتقى قارات ثلاث . ولها من الشئ الحزين في أثناء
الحرب ، ومن الشئ الاقتصادي في أثناء السلام ، ومن الشئ
الأساسي في ماضي الخطارة ومستقبلها ، ما يجعل رضاها شيئاً
يطلب ، واستقرارها وتقدمها ومعها مصلحة عالمية كبرى
وهذه أشياء عادية ، ولكنها لا تدع ولا تشرى .

وفد فيلبي أنكم تسايرون بعض الدول العربية التي كان لها
عديداً فيما مضى - ولا يزال لها اليوم - برعات استعمار واستغلال ،
لأنكم في حاجة إلى معاوسها في الدفاع عن دور العربية ، دار
عشرات الملايين من ذوي الحضارة والحدق الصناعي ، وموطن
مثلث ساعي فد لا يعوقه في انعام كله سوى منكم الصناعي
في الشرق الأمريكي ، وهذا ولا ريب معجزة غريبة غريبة ،
ولكنني أرحمكم المصدرة إذا فلب لكم - وأنتم القادة الكبار
قولاً له صفة عسكرية ، فالواقع أنه إذا أصبح للشرق العربي من
إيران إلى مراكش ، معادياً لكم ، أو إذا أصبح مسرحاً
للاضطراب ، لأنكم في مسايركم لأصدقائكم في أوروبا ، سكروا
عنه حقوقه وأمنه ، والدفاع عن أوروبا العربية دها يصح غيراً
شد العزم ، لم يصر مسجلاً ، إذ كيف يسعكم الدفاع المجدي
عن أوروبا العربية ، إذا حارت شواصه وعريضة الشمالية ومنازع
الزيت حول الخليج الفارسي في أيدي غير صديقة ...

سلوا من تشاؤون من كبار أمتكم الذين عرفوا هذه البلاد -
 سلوا وادعوا وادي وسكروني من رجال البيت السياسي،
 سلوا دودج ونادو وبيروور وكارلتون من رجال التربية، سلوا
 ميلارد روز وهو صكك وفيليب حي ودوروني طمسون من
 المؤلفين والأساتذة والعصبيين، سلوا تري دوس وسيفن ككل
 وهرود هوسكنز من رجال الأعمال سلوا من تشاؤون من
 هؤلاء ، فان قال لكم أحد منهم ، بي بالغ في تصوير الحال ،
 أو المحرقة عن الحداثة المتقية ، فانى استحيكم عدواً أبى
 شعلتكم عا لا طائل تحته وأدعو الله أن يهديكم سواء السبيل .

وقع نظري مد يدي على رسم استوفاي - فهذا شيخ
 جليل مرسل اللحية مفضل الوجه عليه مهابة الله ، وهو عثل
 التاريخ ، وقد جلستم أمامه فالتقى بكفه على كتفكم وهو
 يقول : « أرحوا الله ، بي أن يوفئك إلى الله يد ياني » . وقد
 عبر الرسام برسمه هذا عن الفرحة السيرة إلى منتاحكم ، هذا
 شاككم الشعب الأمريكي وماله ، فان لم يسهكم ، كان
 أسفى عظيماً ، ولكمكم نستظلمون يومئذ أن تجهروا بما ترون
 غير متأثرين بمصر ، ضرورات الاشخاب ، فنهروا أعماق النفس
 الأمريكية هذا .

أرحوا الله أن يهديكم في الخلق ، حتى تسدوا إلى التاريخ
 يداً كريمة . والسلام عليكم .



« ونحن نعيش في عصر ، قد وحد بين
أجزائه ما طلق من أصول العلوم ، فان لم
يستكشف الناس اسحاق الناس وعاداتهم
وتقاليدهم واسرار نظمهم الاجتماعية وطرائق
تفكيرهم ... عجزوا عن فهمهم والتفاهم
معهم ، وهذه هي الطامة الكبرى في زمن
عدت فيه القدرة على التدمير ما عدت .. »

من « حكاية الحاج الفقي » نشر في مجلة « أهدى »

العدد ١١



صدمة إبحاح الفضى

في هدأة الليل ، استيقظ في الحين بعد الحين ، على طائفة
تفرق في الطوفان الدار ، ولمروها هدير وحدير فهي على ما
قيس في الطائفة النفاة التي تدفن الكاب من المدن الى بيروت .

وفد مرقب أمس فلم ير عجي هديرها ونهيرة ، ولكنها بث
في هدأة الليل ، من دفائن الاماني ، ذكرى لهم قصبتها في معبر
مع جماعة من الشعب ، مص عليها اليوم خمس وعشرون سنة
أو تزيد ولكن مرور الأيام لم يس من صغائرها .

مقال نشر في مجلة « من بعد »

كان ذلك في شهر آذار ١٩٢٧ ، وقد جلسا الى الشاي نستبد
 بلمعة على طيار معاصر ، روت آباء البرق ، انه استقر طائفة
 ذات محرك واحد ، من مطار روزفلت في سوار نيويورك ،
 ثم امتطى بها من الرياح ، ومضى على وجهه قاصداً الى باريس .
 كاتب وحده في الطائرة لا يؤمنه سوى هو أمود دخل طائرته
 بعير استبدلت ، وليس بين يده من الراد ، سوى رفاق من
 الخبز بيده شيء من اذام ، ورجاجة من ماء . ومضى تحته عباب
 مترام ، ومن حوله يحيط من فضاء لا يعرف له حدوداً ، وأمامه
 رعات وسحاب من دس السهار وسواد الليل ، قد يعبه في
 خلاها الملل أو يقلبه العاس ، أو يدهه العاصفة بسياطها ، أو
 تحمله الرياح كبريشة في مهايا ، هبطل الصريع .

لقد سبقه طيارون وركب الاقدام في نفوسهم ، ولكن أحداً
 منهم لم يقدم على هذا قدم عليه . فمن غفاب الحرب العالمية
 الأولى ، طار ريد الأمريكي وحمجه من سويسرا الى سترانز
 الخالدات ، وطار هوكر الاسترالي من نيوزيلندا الى ايرلندا
 فقط في البحر ولكنه تقدم ، وطار الكوك وبراون الانكليزيين
 من نيوزيلندا الى ايرلندا فلعاعها . والايام القليلة التي سقت قيام
 هذا الشاب من مطار روزفلت ، كاتب حافلة بالهبة والحسرة على
 مصير الصيادين كروي ونابجسر الفرنسي ، فقد حولوا أن يطيرا

الى العالم الجديد، فأخرجها ارياح الي تيب من العرب الى الشرق
فقد اوقرت ، فوجدت في العباب هراً وكفاً . ولكن المسافة
التي عبرها هؤلاء أو قصروا دورها لم تكن سوى بعض المسافة
التي تقدم عليها لتتأخر لتدريج ، فقد استعاروه وعقد عزمه
على أن يطير وحده ، من نيويورك الى باريس مسافة قد تو من
ثلاثة آلاف ميل .

وقد طابها يوماً وبعض يوم سدد أبحار هذا الزائد - لقد
شاهد طائراً فوق سائر حوض في جزيرة نيويورك ، ثم شوهد
فوق ايرلندا متجهاً الى باريس ، ثم فوق بحر مرموريك ، وكنا في
حروبي ساعة نقل البواب ودوبه من مضار لوبورجيه في باريس
فقال لصحبي : من يتحقق به لاحق ، ولن يستطيع طيار بعده أن
يقول إنه أول رجل عبر وحده المحيط الأطلنسي على من الهواء
في مرحلة واحدة ، وذلك حسب ما أنه قد عرج شيئاً بعد اليوم .

عاب السر على دوله وحيثك عن عرش الهوى
وثبتك الريح تشي أمه لك يفتس من أوعى الاماء
روحت بعد حجاج وحوت صوغ سعادين علم ودكاه

وقدمت ربح فرأوا كثرة ، وارا طائرات اركاب اليوم عبر
المحيط الأطلنسي كل ساعة من ساعات المناس أو النهار ، من العرب

إلى الشرق ، ومن الشرق إلى الغرب ، لا تعوقها الرياح ولا يعرف طيورها المظهر المنهمر أو الخمد الذي يسكن على أطراف الساحل ، فان دبحرت العاصفة على ارتفاع مائوف (٧ أو ٨ آلاف قدم) حقت إلى ارتفاع ١٥ ألفاً أو ٢٠ ألفاً من الأقدام ، فلا يشق ذلك على ركبها ، فعصط امراء في حومها كصعطه على ارتفاع يسير فوق سطح الأرض ، وحرارته كحرارة البيت مع أنها قد تبمع في انحاء خارج الطائرة تبمع درجات تحت الصفر .

ولا تزال الكائنات من ، ما عاشرت في الحين بعد الحين ، وركبها بقياس إلى عدد ركاب والامبال التي يتصعبها لا بعد أمدح من مكائن لسكة الحديدية ، وقتلاها حيا فخر من قبل السيارات في المدن الصغيرة ، وقد عبرت المحيط الأطلسي بالطائرة عشر مرات أو أكثر ، دون حادث يدكر ، سوى مرة واحدة ومع ذلك فلم يكن يومئذ مثبتاً مدكوراً . فقد أئدرنا قائد الطائرة ونحن على نحو ساعه من مطار جاندو في جزيرة نيو فونلند ، بأن «صباح الكثيف مطلق على انظار ، فادنا نعدر عليه أن لمحط عليه فعمي حرارات الطائرة من انوقوف ما يكفي للوصول إلى مطار آخر في تلك المقاع ، فسرت أنارة من حرج ووحوم في هوس الركب ، وأحسن القائد لنا كان ، فاحب أن يسرى عنها ، فلهما ثنا من مطار جاندو دار بيته وبين مدير برج المراقبة ،

حديث أسمعا إياه بجوار صبحم الصوت ، فإذا هو حديد برطانة
 انكليزية أصبحت خاصة بالطيارين وقل من يمسها شوبهم ، بيد
 أن معناها كما التقطناه من بعض آلات مفهومة حرت على لسان
 القائد ، أو لسان المدير ، أن الضار قد أسلم نفسه وطائرته وركبها
 إلى مدير العرج ، يصدر إليه الأمر فيعادل كالألة المسيرة . عبيد ،
 يساراً ، اهبط أن مسوى ٥٠٠ متر ، أن مسوى ١٠ متر ،
 أن مقبل على رأس المدرج الآن ، أنب فوى المدرج الآن .
 حط المحل على الأرض . ودرجت الطائرة ثم وقفت . والحمد
 لله على المخاطبة اللاسلكية وروادها

وهذه الطائرات جميعاً بما يسير بحركات ذات مراوح يشتغل
 القطر الملقى في حوزها ، ولكن الناس يدأوا منتظون من الجوار
 في طائرات قنانه الركاب ، فقطع في خمس ساعات ونصف ساعة
 المسافة التي استغرق من سدرج ثلاث وثلاثين ساعة أو أكثر
 قليلاً ، وتستغرق الآن من الطائرات ذات المحركات الأربعة ست
 عشر ساعة أو نحوها . وقد يذهب أحدها إلى السائل : ما جدوى
 ذلك ؟ وقد يكون الجواب . لا شيء سوى السرعة وما يعقبه من
 تفرز الأعصاب . ولكن الأسبلاء على معاليد السرعة يبعث في
 النفس شوة ، مردها أن الضمير على قوة من قوى الطبيعة وإحصاءها
 لمرام الإنسان فلو كانت طائرته الركاب العادة متاحة لك اليوم ،

الطيران من لندن الى نيويورك، لساعت الشمس أو الأرض في
دوران ، ولصحت أن تستب . فالظهر في لندن تقابله الساعة
الساكنة صاحباً في نيويورك ، ولو لم عند الظهر من لندن ،
في طائرة عامة . لذلك نيويورك عند الظهر أو بعده يتوقيت
نيويورك . ذلك كل طعام الغداء مربي في يوم واحد وفي ساعة
واحدة ، إن لم تحركه عقربها ، وفي مدينتين متباعدين على
جاري المحط .

وهو أيضاً يزال وجهه يشاوب وامشككون في جميع
عصور التاريخ إلى جميع اصحاب المكنشات العظيمة والمخترعات
المقيدة يوم كان في مهده . على أن لاريج رعاء نعم من فخر
النرويج إلى الأحرار واحد متسلسل يبلغ مؤداه أن كل عمل
علمي يد صغيراً ود يصغر أن نحى مه فائدة عملية ما ثم يتفنن
ويرتقي فتتعدد وحده الامثلة منه وتكثر بواحي تطبيقه على
شؤون الحياة ومقتضاياتها . والأمثلة على ذلك لا تكاد تحصى .

ومما يصدق على الرحلة الطائرة بين باريس أو لندن من
ناحية نيويورك من ناحية أخرى ، يصدق أيضاً على الرحلة بين
عواصم العالم طراً وفوق بحاره ومفاوزها . وقد بدأت الطائرة
الغاشية تنقل الركاب بين لندن والقدس أو لندن وميروت ، واد
الرحلة بينهما لا تستغرق أكثر من خمس ساعات وبعض ساعة بما

فيها توقف ساعة أو نحوها في مطار شامبيو بروما . فاذا ما
تعلب أهل أمدمس والصباغة على مشكلة الوقود الذي تستهلكه
هذه الطائرة ، صار في وسعها أن تصير بركابها طياراً مصموث
المعة من المدن إلى إحدى العاصمتين المرتبتين بدون توقف في
أربع ساعات ، وقد فعل ذلك في أثناء التجربة ، بيد أن
أصحابه يقدمون الآن سلامة الركاب والطائرة ، حتى يسوتقوا
من أن مشكلة الوقود قد حلت .

قال علي رضي الله عنه : الناس أعداء ما جهلوا . وتقدم
الطيران التجاري ، في ربع القرن المنصرم ، هذا التقدم الباهر ،
كان وسيلة أو كان يعني أن يكون وسيلة لرفع سائر الجهل ،
فيقل عدده الناس ما يجهلون ، ويكثر عددهم ما يعرفون ،
فيقول المواجه الذي أقامه الجهل أو الغرور أو سوء الفهم
فتسوق عرى المعرفة والصدق . وقد يعترض الساهر استرغ
بتريده قول من قال . أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه .
ولكن الخير المركب في طبيعة الإنسان ، حقيق أن يتكشف
بالمحاذاة أو المماثلة ، ونحن نعيش في عصر ، قد وحد بين
أهوائه ما طفق من أصول العلوم ، فإن لم يستكشف الناس
أخلاق الناس وعاداتهم وقد اليدهم وأسرار نظمهم الاجتماعية
وطرائق تفكيرهم عجزوا عن أن يستطلعوا المواقف التي يحملهم

على قول ما يعبرون وعمل ما يعملون ، أي أنهم يقصرون عن
فهمهم والفهم معهم وهذه هي الصفة الكبرى في زمن عدت
فيه القدرة على التدهر ما عدت .

فالاجماع المذوي من ناحية الصفة ولا قصد واحد لا
يتحرراً ، وأماؤه ، لا يسمى احدهم عن الآخر ، ويعتمد بعضهم
على بعض في ائب ناحيه وناحية .

وسرع الزمان ، ان هي ناحية واحدة من عالم وحدته منتعحات
الصناعة وآتت العلم ، ويساويها بل قد يعرف التقدم العظيم في
الاتصال الذهني من طريق المحاطبات ولا داعية وقس الدور
وامرييات . علمه في هذا عصر لا يكفى تناول أحباره
وآرائه من الصحف المطبوعة ، بل رعب كدال في أن يصعب الى
الملازم وارؤساء وأقطاب العمارات ، في حجرته أو حبيته . وهو
بعد محاطبة من شيء في كل مكان على سطح الأرض أمراً بالوقت
ولصكه فلما يحطركه حتى ينظر الى الطائرة في الفضاء أو يدبر
مفتاح المدفع ، أو يرفع سماعة النعون ، أن في هذا الجهاز عنصر
الكروم من روديوم أو روسيا أو تركيا ، وعنصر الكوبلت
من الكوبالتيك أو الكسبيك ، والفصدير من حزاز المند
الشرفية أو بوليفيا ، والمطاط من مالابيا أو حريثات القط من
العربية السعودية أو مرويلا أو بكساس ، والحرير من الصن أو

اليابان ، والمياه من ريلدا الحديد ، والفض من الفلبين أو الهند . وإذا كان يعيش في مدينة كبيرة ، فإنه لا يفرغ طوال نهاره . ولكنه من الاستماع بأشياء ذات منفعة أو ذات حسان . مردها الى أنه عضو في مجتمع تتعدى حدوده الحال والبحر ، وهو مجتمع يشمله نظام اقتصادي يبيع للناس وللأشياء وللأفكار ، أن تنتقل انتقالاً حراً سريعاً ومعيروقة تذكر ، وهو نظام يصق ذراعاً بالحدود والقيود .

أحسن إن التقدّم في ركوب مع اهراء اندي من مد يوم لتدبرع ينسر نقل البريد السريع والصعب والأدوية التي تشد الحاجة اليها ، ورجال السياسة والتجارة والصناعة والتربية والترفيه ، ولكن حدودا المقدمة شأناً وأثراً هي أنه يصدف النفوس بحقيقة وحدة العالم ، وراء مظاهر الاختلاف ، وبضرورة السعي الى الفهم والتفاهم في عالم تتشابك أصوله ومصالحه ، وحسبها جدوى !

معان مجسمة

- ١ -

في ليلة من ليالي خريف ١٩٤٩ جلست في دار صديق يقيم في ضاحية من ضواحي مدينة فلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية. كان الرجل من أوساط رجال الأعمال ، ولكن شأنه الفكرية هيات له زاداً غير يسير من العلم والفلسفة الاجتماعية ، وون كان غير متخصص في فرع من فروعها .

كان جو الحياة في أمريكا يومئذ ، حافلاً بالوجوم ، منذ

«قلان نشر اوهها في عملة « اهل النقط » وثانيها في عملة « الكتاب »

أسبوعين أعلى الرئيس ترومان أن عنده ما يدل على حدوث
انفجار دري في روسيا في الأسابيع الأخيرة. وكان كل حديث،
مهما طوفاً به على معارف الناس وآرائهم، ينتهي إلى حديث
القنبلة الدرية، بيد أن حديث اللبلة، انتهى إلى القنبلة الدرية،
ليكون مطبوعاً لتأمل فلسفي في مودة العلم في العمران الحديث.

ولس أريد اليوم أن أنقل محتوى الحديث، ولكن لما قلت
لصاحبي إن مع العلم الحديث وضره، وعن بأخلاق الناس، هب
من مكانه إلى جهاز في داره، وأدار زراً وقال: إليك مصداقاً
لما تقول.

فقلت ما هذا؟ فقال هذه لوحة النصارى، وكنت قد رأيتها
من قبل هربت به شاهدين عليها، ولكن ما رأيت اللبلة أخدني.
هذا طبيب الأسرة، يعرض مشهداً مع أعوان له، وغرضه
أن يعلم الناس بعض الحقائق الصعبة الخاصة بالدرن الرئوي، في
تمثيل متقن وكلام متقن يقع في العسر.

وهذا الطبيب ليس طبيباً حقاً، بل هو ممثل بحسن تمثيل
دور الطبيب، وقد كتبوا له، ولمن معه الكلمات التي يتقوهمون
بها، ووصفتهم المشاهد التي يثقلونها، حتى لا تجد مأخذاً يؤخذ
عليها من ناحية الفن والحقيقة.

أعجبت بما رأيت، وهذه وسيلة لعلمها من خيرة الوسائل

لتعليم جماهير الناس كل شيء ينفع، وإن كانوا من الأميين . فقد جمع العلم والصناعة بين الصوت والصورة ، جمعاً يكفل لمن يشاهدها إدراك أعوص الأمور ، وأحسن عرضها . وقد تعدد المدارس في أمة ما ، فلا يؤمها سوى الذي في من الطلب ، من الصغار أو الشباب ، وقد تفاوتت قدرة المدرسين فيها ، ولكن هذه المدرسة الشعبية التي ينبغي أن تكون أساليب التفرقة الحديثة ، تستطيع أن تشمل كل من يريد أن يكتسب جهازاً مستقلاً من أجهزة التفرقة ، أو يرضى أن يؤم مركزاً شعبياً فيه مثل هذا الجهاز فيجده هناك معروفاً بأساليب التي تكون صورة المشهد المدع ، وينبع للجماعة المتفرقة أفضل المعنى .

أي أنها جمعت بين السينما والراديو .

تصيب بعد ذلك ، نواحي هذه التربية الصحية التي أعجب بها ، فعملت أن طبيباً من الأطباء ، لم ير من عهد الراديو الأول ، بشئ الطويق للانتفاع بوسائل الاداعة ، في نشر التربية الصحية . وما صارت التفرقة متاحة عند اليها ، فهي إحدى في تحقيق ما يريد ، لأنها تعلم عن طويق العين والأذن جميعاً ، وعمد التربية يقومون بأن زدها عدد الحواس المشتركة في تعلم أمر ما ، أكمل بتعليمه وتذكره ، فكانهم نقلوا إلى ميدان التربية قول الشاعر العربي : «ألا فاسقي حمراً وهو في الحمرة» .

وقد عاونه في عمه هذا رجال السطات الصحة وكليات
الطب ، وبدأت إيداع النسبة الحديدية في أواخر ١٩٤٨ ولم
يزل أثرها النافع يزداد ، وإن كانت الفكرة التجارية للتسليّة
أعلى وأروع .

كل مشهد من المشاهد إلى نداع ، هو في الواقع رواية
صحية قصيرة ، تنشأ من وداع على عشرات الألوف أو مئات
الألوف من الناس . حد مثلاً على ذلك برنامج الفكرة الخاص
بالجى التبعودية .

ترى الطبيب جالساً في عيادته ، وأمامه الممرضة التي تعاونه .
فتحدث عليه أم ومعهما طفلان ، وقد جاءت من حين حدثت فيه
في الأيام الأخيرة ، إصابات بالتيفود ، هذا شهد بين لمشهدين
المستعدين ، كيف فضت تنقية الماء وإعلاء الحليب إلى درجة
معبية ، والعناية بالحاري ، وتنظيف الحضر ، أن محور لعبة التيفود
من المدن الكبيرة ، ثم شاهد كيف يبيع التلقيح في توليد الماعة
وإزادتها ، وفي هذا كله يتزج شيل الطبيب والممرضة والأم
بكلاتهم وبرسوم بياضة في الحين بعد الحين ، على أن تكونت
الرسوم مبسطة ميسورة الفهم

وعلى هذا السط يستطيع الكتاب والمخرجون الداعون أن
يستعبوا بكسر العلماء في التجهيد لعرش كل موضوع من

موضوعات الطب والصحة عرضاً بارعاً يستوقف النظر ويضع في
تعليم الناس - كاديتيريا والعناية بالطام ورعاية الطفل أو ما
يشاء .

وقد يعد مدير البرنامج حياً بعد حين إلى الاستعانة بالأطباء
دوي الصيب الكبير والسعة العالية ، للظهور في هذه المشاهد .
فانفرق بين الزادير والتلفزة ، من الأول وسيلته الصوت ، ولكن
الثاني وسيلته الصوت والصورة معاً ، فهي تقدم مشاهد حية
نظرة ، فتشأ كذلك حلة ، سائبة وبجواب نفسي بين المشاهد
المعرضة وبين الرجل الذي يراها ويسمها ، ولذلك لن نجد
بين يدي رجل في مشهد متلفر ، ورقاً يقرأ منه ، وذلك يوحي
بالتكاف ، بل يجب أن يحفظ كل رجل وكل سيدة ما عليه أن
يقوله ، ثم أن يراعي في قوله لحنه الطبعية ، حتى يدخل في روع
المشاهد أنه يرى مشهداً حقيقياً لا مشهداً ممثلاً .

والعرض من هذا البرنامج ، هو أن تزداد معرفة الجمهور
بالحقائق والوسائل التي تعين مراعاتها على حفظ الصحة ، وتبين
أعراض المرض وهي في أوائلها ، والمبادرة إلى العلاج . وأسلوب
العرض يختلف بين بلد وبلد وفقاً للحاجة والبيئة ، وما تحققة التلفزة
في البرنامج الصحي يمكن تحقيقه في تعليم الناس أي شيء تريد .
ومن هنا التلفزة وخطرها . فالنفع مكمل إن أحسن

استعملها لتعليم الناس ما ينفع ، وخطرها لا يعدله خطر ، إن
أمي استعملها لبث الدعايات الهدامة ، فهي مثل آخر على أن
نفع العلم الحديث وضرره ، رهن بأخلاق الناس .

- ٢ -

أخذني العجب حين رأيت المجهر الكهربائي ، ولكن عجبني لم
ينقص برؤيته . فقد التفت إليّ صاحبي ودليلي وقال . اسمع
عميزة « الألفا » ؟ قلت : وما هي ؟ ما معنى هذه
الكلمة ؟ فقال : إنها كلمة جديدة ، سوف يكون لها في المستقبل
من الناس ما للتعريف والتفوق والراiders والتفرة ، بل شأنها
أعظم ، لأنها تجمع أهم مزاياها ثم تضيق إليها مزايا أخرى لا
عهد لنا بها من قبل . إنها اسم لوسيلة متعددة ، تصاهر عليها
العماء والباحثون في شركتنا وشركة كوداك ، فإذا هي أحدث
وأدق وأسرع وسيلة عرفها الناس ، لنقل المخطوطات والمرسومات
والمطبوعات . وأنت تعلم ولا ريب ، أن في وسعنا أن نقل الصور
تقلاً لاسلكياً ، وأن وسائل التفرة تنبئ لنا أن نقل مشاهد
الحوادث حين حدوثها ، قلت : أعرف ذلك ، وقد رأيت

صوراً كثيرة قلب وشرت ولكنها لم تكن واضحة البوصح
 المطلوب . وقد شاهدت في دور الأصدقاء ههنا وفي القنادق
 والمطام لوحات التلفرة وعليها ألعاب رياضية تعرض ومسرحيات
 عثر ، فكأنني ، في الملعب أشهد اللعب أو في المسرح أرى
 التسنين . فقال : إن الألفافاكس ، يشو هذه جميعا في دفه
 وسرعته . وقد حرصا في أواخر السنة الماضية بحرية نقلها إليها ،
 فيما نقلنا ، رواء ذهب مع اربيع ، من القها إلى يانها ، في دقيقتين
 وإحدى وعشرين ثانية ، وهي كما تعلم من أطول الروايات ،
 جمعانها في طبعها الأولى تعد ١٠٤٧ ونحوم كها ٣٧٥ ألف
 كلمة . قال : ونعجب من ذلك أننا نستطيع أن نصور شيء
 المقول على السر ، فإذا هو ادمث في نواب معدودات ، كك
 الأمل الذي نقل .

ههنا هو الكلام المصحح ، الذي ذكره هوميروس منذ فرون
 متطاولة ، وقد صار صور واضحة تراها رني العين . فقد نقلت
 هوميروس ورواية القوة الكبرياء في الكلام ودا هو ينقل فقط
 وحطوط أو كلاماً . أوما في أسلاك التلفراف والتلفون . وها
 مكنوني وده هوميروس وأصحابها هاءروا الكلام أنضحة من
 موحات الأثر ، هذا هو يمر القارات والمحيطات ، وبهم على
 لأثر يرد والصاح وزوروكي ، هذا المربيات نفسها تتحد من

الأمواج الخفية أجنحة تطير بها .

وسيلة : الترافاكس ، تجمع بين القن اللاسلكي والتفزة والتصوير الصوتي السريع ، حتى ليضع آت بعد مستهل عهد حديد في المحادثات بين البشر .

ووجوه الانتداع بها لا تكاد تحصى . هذه حرب تدور رحاها ، وفي حمرة في ساحه الضال ، قائد فرقة يطيل الطر في الخريطة الحربية على مائدة امامه ، وقد ظهر عليها مواقع قواته ومواقع أعدائه كما استطلع وفد رهسا . وفي ناحية أخرى من الحمرة جهاز : الترافاكس ، للاستقبال . وإذا صو ، يصي ، في على هذا الجهاز ، فيعلم قائد الفرقة ان رئيسه في مقر القيادة العامة للجيش ، عنده شيء يريد ان يسيبه اليه ، ولا تنقصي نوا حتى يطلع : الصو الآخر ، فيخرج الضبط من الجهاز صورة خريطة حربية ، هي كخريطة الي من يندعهم ، ولكن القوات قد وزعت فيهم على وجه حديد كما تريد القيادة العامة ان يورع . وقد سمعوا الخريطة الجديدة في القيادة العامة ، وروكوا بها جهاز : الترافاكس ، للارسال ، فأرسلها فادا قائد الفرقة في الميدان ، صوره منها كالأصل ساماً ، لا تختمل الخطأ ولا التأويل ، فقد استمع القيادة عن خطر كل خط طيق ان يقع في حديث يدور بالتفرون ، وخطر سقط العدو لما يدور في ذلك الحديث ،

أو خطر وقت يصاح في الاتصال التلفوني أو التنغرافي .

أو نخذ مثلاً آخر : وقعت حربة في مكان ماء فنف رجال الشرطة إلى البحث ، فوقفوا إلى بصيات يريدون أن يتحققوا من هو صاحبها ، أهى بصيات محرم معروف ؟ وهم يعرفون أن في مقر الشرطة العام ، سجلاً واجباً لبصيات المجرمين واشبهين ، صي وسعهم أن يرسلوا صورة تلك البصية بواسطة « أترافاكس » إلى مقر الشرطة العام ، فيقبلوها هناك على ما عدهم من بصيات المجرمين في السجل العام ، فيكون ذلك معواً على التحقيق .

وعلى هذا العرار حق رسوم التصبغات الهندسية ، وصعقات المؤلفات الموسيقية ، وخرائط الأحوال الجوية ، وتقارير الشركات ادلية ، وصور المخطوطات القديمة ، فلا يقع خطأ في النقل ، ويتم ذلك كله بسرعة الصور ، حتى لقد قيل إن هذه الوسيلة ، كجبلية بعد إتقانها ، بأن نقل مقدار مئتين كلمة في الدقيقة الواحدة .

وقد كانت هيئة أركان الحرب الأمريكية ، في واشنطن ، تنقل كل يوم ما يفرد عشرة ملايين كلمة من تقارير القتال ، ولو كانت وسيلة « أترافاكس » متاحة لهم يومئذ لكان في الوسع نقل هذا المقدار من الكلام في عشر دقائق ، ولو استعملوا عشر محطات إرسال وعشر محطات استقبال ، لاستطاعوا أن يتلقوا هذا القدر من الكلام في دقيقة واحدة .

وسمى الوسيلة الجديدة ، غاية في البساطة ، فالتلفاز المرسل ،
يبعث في الأثير ثلاث صور متلاحقة في الثانية ، أي ان الثانية
تجعل ثلاثين جزءاً فينقل الجهار في كل جزء منها صورة كاملة
تتبعها الأخرى على الأثر . فإذا كان المشهد الذي ينقل بالتلفاز
المرسل مشهد ملاكمة أو مصارعة أو قتيل ، أرسل الجهار ثلاثين
صورة متلاحقة في الثانية ، فترى على لوحة التلفاز المستقل ،
مشاهد الملاكمة أو المصارعة أو التمثيل ، كأنها تدور أمام عينيك .
فإذا أحلت مكان كل صورة ، صفحة من كتاب أو صحيفة
وكانت في الصفحة ٥٠٠ كلمة كان في وسعك ان ترسل ثلاثين
صفحة في الثانية نحو ١٥ ألف كلمة ، أي ٩٠٠٠٠٠ كلمة في
الدقيقة . فإذا كان عندك في الجهار المستقل وسيلة ترسم هذه
الصفحات المتتالية على شاش يمكن تحريكه وبخفيفه في ثانية أو
أكثر قليلاً ، كان في وسعك ان تعرض أمام نظرك ، بسرعة
التي تريدها ، هذه الصفحات المتتالية . بعد رسالتك ثوان
وحسب .

وهذا هو ما يصنعه « الترافاكس » عاماً .

ولدت وسيلة « الترافاكس » من لب هو العلم الكهربائي ،
وأنه هي التصوير الصوتي ، وقد كانت الحرب العالمية الثانية
مهدداً .

ففي أثناء هذه الحرب ، اشتدت الحاجة ، الى نقل رسائل
الجنود من أهلهم وجنابهم نقلاً سريعاً ، لأن وصولها من سب
القوة المعروفة في غوسهم . ولكن نقلها بالسفن بطيء ، ونقلها
بالطائرات يستغرق مكاناً ووزناً سوء به الطائرات البطيئة لأعمال
حربية كثيرة خطيرة الشأن . فابتكروا لنقلها وسيلة جديدة .
فكانت الرسائل تكتب على ورق خاص ، من حجم معبر ، ثم
تمر من خلال جهاز صنع مد ربع هون - يدعى ريكوردالك
- فنصور مصغرة على فيلم عرضه ١٦ مليمتر ، وكان في اوسع
أن ترسم مئات من الرسائل و الوف على فيلم واحد ، ثم ينقل
الفيلم بالطائرات عادة التوقيع في وزن ما ينقل ٩٩ في المئة . فادا
وصل الفيلم إلى طبيته ، دفعه القنصل على مرة في جهاز خاص ،
وتشكروا الرسائل إلى جهاز الطبيعى ، وتصور على ورق ينقل
قصاً آلياً ويورع كل رسالة على صاحبها .

ولكن إعداد الفيلم كان يستغرق زمناً لا يقل عن ساعة ،
حتى يحرق ويهرق له على فكرة ، ويصير صالحاً للنقل . وكانت
ثمة ضرورات حربية ، تتصل بالانتفاع برادار ، وتقضي طريقة
جديدة لتعميق الفيلم وتجهيزه في نوافذ قنبلة ، فأمر العلماء
بابتكارها فأكتبوا عليها حتى تم .

و « الترادكس » هي في الواقع وسيلة تجمع بين التلفزة

والراديو، تصف اليها الطريقة الجديدة في تحصيل العلم على أسرع وجه مستطاع .

هذه وسيلة جديدة لنقل المعرفة . أبتطيع الانسان اندي يرداد معرفة على الأمم أن يرداد حكمة في الانتفاع بها على وجه لا ينتهي الى القضاء عليه ؟ هذا هو السؤال على قول هملت - اندي ينيره كل ضرب جديد من ضروب التقدم العلمي العجيب .

الذرة الكاشفة

لعلّ العلم الشرعي من أعجب الآلات التي ولدتها الطبيعة ،
في دقة تركيبها وإرهاق إحساسها ، وحن مطابقتها لقوة البصر
وضممه ، ولكن ارتفاع العلم الحديث حتى «تمدّ آفاق العين
البشرية» وتعرّز قدرتها على الابصار، حتى يرى العالم ما تتعدّو
رؤيته عليه «العين المجردة» فصع المرقب والمجهر ، للمؤذ ، إلى
المتناهي في البعد من ناحية ، والمتناهي في الصغر من ناحية ، ثم
صنعت وسائل جديدة غامه في الدقة والبراعة والاحكام ، كمصور

مقال نشر في مجلة «الآداب»

الطيف الذي يتبين لك العاصر في جسم نجم من السحوم البائية ،
ومصور الأشعة السينية الذي يكشف عن بعض ما يتسرى عن
العين في باطن الجسم ، وغرفة ولسون العائنة ، التي تستطلع
وتصور مسير الذرات المؤتلفة وجسيماتها . وقد ظلت على أهل
العلم مد عهد قريب ، وسيلة جديدة هي : الذرات الكاشفة ،
وهي ذرات قد وصفت بميم خاص ، وأرسلت في نوايا الجسم ،
سواء أجسم إنسان كان أم جسم حيوان أو نبات أو معدن ،
فراحت تنجس عليه وتستطلع خفاياه . وقد صارت هذه
الذرات ، وسيلة بجدده في علاج طائفة من الأمراض كانت قد
استعصت على الحراحة والعقاقير ، ولكن ففهما من حيث هي
معونات للعين والعقل على استطلاع أسرار الطبيعة ، وحدواها
من حيث هي وسيلة جديدة للبحث أعظم وأبقى .

للطاقة اديوية تقع في علوم الطب وفروعها وما يتصل بها من
علوم الحياة . فهي السموات الخمس الأخيرة من القرن التاسع عشر ،
تم للعلماء أربعة كشوف خطيرة كانت أولها الأشعة السينية التي
كشفتها رنتجن ، وثانيها ظاهرة النشاط الإشعاعي التي كشفها
بكريل ، وثالثها كشف عصر الراديوم وقد كان نتيجة طبيعية
لكشف بكريل . الذي لم يبيد كوري وزوجته . وكانت
رابعها كشف الكهيوب الذي تم لجوزف طيسن . ولم تكن

هذه الكشف الأربعة أحداثاً خفية في تقدم علم الطبيعة
ودرة أدرة وحسب ، بل كانت أيضاً مراحل ذات شأن في
تقدم علوم الطب والعلاج ، ولا سيما الثلاثة الأولى منها . ولم
يخل أحدٌ يذكر أن الانتفاع بالأشعة السينية وأشعة الراديوم
أثراً يذكر في وسائل العلاج الطبي الحديث ولا سيما السرطان .
وألمع دليل على أثرها ومبرراتها ، أن صار بين علوم الطب علم
جديد هو علم الأشعة والانتفاع بها في التشخيص والعلاج .

ومد عشر سنة أو أقل قليلاً كشف العلماء كشافين
خفيين . أما الأول فهو الترون وأما الثاني فهو النشاط
الاشعاعي المسبب ، أو النشاط الاشعاعي المقطوع . وللترون
سأنت حطير في تركيب نواة الذرة ثم في شطر نواة ذرة
اليورانيوم واليورانيوم وإطلاق الطاقة الذرية . ولكن قبل
أن يتم للعلماء الألمان شطر ذرة اليورانيوم لم يعبرهم في منتصف
العقد الرابع من هذا القرن تحويل العناصر غير المشعة إلى عناصر
مشعة . فقد وحدوا أن عناصر ساكنة مستقرة كالفضة والنحاس
والكروميون وغيرها - وهي بعدما تكون في طائفتها عن عصر
دائم التعمر والانحلال كالراديوم - يمكن أن تهيئها فتصير عناصر
مشعة . فكانت أخذت مقعداً مشلولاً ونفعت فيه روحاً جديداً
أو حظه بعقار قوي فقفر من سريره وأصر على أن يشترك في

الألعاب الأولمبية والعصر المشعة نادرة في الطبيعة ولذلك
 تراها غاية النقص . وقد كان الغرام الواحد من الراديوم يباع
 بألاف الجنيهات أو أكثر ، وكانت المستشفيات تتنافس في
 سبل الظفر بقتيل منه ، وبوم أرادت الأمة الاميركية أن تكرم
 مدام كوري اكتسبت بالمال لشراء غرام واحد من الراديوم
 وأهدته لها . فتحويل العاصر غير المشعة إلى عاصر أخرى
 مشعة خطوة عظيمة الشأن في دراسة طبيعة المادة . ولما كان
 بعض العاصر له نفع طبي ، أو شأن في دراسة طبائع الأحياء
 ووصائف أنسجتها وما يجري فيها من مداعل كيميائي ، فإن
 تحويل غير المشع منها إلى مشع خطوة عظيمة الشأن أيضاً في
 علوم الطب وما يتضمنها من علوم الحياة .

وهذا النوع لا يقتصر على استعمال هذه العاصر في العلاج
 وحسب ، كالاتفاع بالصوديوم الذي استحدث فيه النشاط
 الاشعاعي بدلاً من الراديوم . ويمتاز الصوديوم المشع على
 الراديوم ، بأن « نصف حياته » ، أي الزمن الذي يصح فيه
 إشعاعه نصف ما كان ، لا يزيد على ١٥ ساعة ، على حين أن
 « نصف حياة » الراديوم يبلغ ١٦٢٢ سنة . فلا خطر من
 الصوديوم المشع إذا استقر في أحد الأعضاء أو الأنسجة ، أما
 الراديوم فإذا استقر ظل يطلق الفدائف المبعثة من انحلاله زمناً

طويلاً على لائحة المختلفة ، حيثى به الامر الى إحداث
الاحلال أو التسم . ثم إن الصوديوم المشع لا يطبق إلا أشعة
جاما ، أما الراديوم فيطلق دقائق ألفا ، واستعمال الصوديوم المشع
في الطب أسهل وأقل خطراً من استعمال الراديوم .

وقد صنع العلماء قتل فشب الحرب العالمية الثانية حتى سنة
١٩٤٠ م يبع . ٤ نظير مشع من بضائر العناصر المعروفة .
وكثير من هذه الضائر له مع في الطب والعلوم المتصلة به
ولكن نفعه لا يقتصر على العلاج بل يتعداه الى ما هو في نظري
أجس' شأن من العلاج . فالنظائر المشعة أصبحت الآن أداة
نافعة في أيدي الرجال الذين يبحثون بحوثاً أصيلة في وظائف
الأعضاء والأنسجة وما يجري فيها من تفاعل كيميائي في حالاتي
الصحة والمرض ، فهي كالمنجهر والمقرب وغيرهما من الوسائل
الجديدة للبحث تعين الباحث على أن يسر أمراً كانت مستحكمة
عنه في باطن الجسم الحي .

وأصل هذه الأداة يعود إلى كشف تم مصادقة في سنة ١٩١٣
ولم يأت له غير نفر قليل من العلماء . فقد وجد دحان أن
الحوامس الكيميائية لمادة راديوم (د) . وهي مادة مشعة -
لا تختلف عن الحوامس الكيميائية لصدر الرصاص أي أن الأول
نظير الثاني . وهذا مزج قبين من المادة الأولى مع كثير من

المادة الثانية تعدر بعد ذلك فصل إحداهما عن الأخرى بأية وسيلة كيميائية معروفة ، فأقصى هذا الكشف على مراحله متوالية إلى ابتكار الطريقة المعروفة باسم « الدورات الكاشفة » .

خذ مثلاً عصراً كالصوديوم أو الحديد ، واضع منه بضعاً مشعاً أي استحدثت فيه الاشعاع فهو ليس «المصدر المشع» ثم امزج قليلاً من دورات هذا الطيز المشع بكثير من ذواته المعهودة ، وأدخل هذا المزيج في أي مركب مثل كلوريد الصوديوم ، أي ملح الطعام ، وضع هذا الملح في صعاء فار أو زرب أو إناء ، فهي العادة لا نستطيع أن نعرف كثيراً عما يتم هذا الملح متى دخل الجسم ، ولا أن نتبع مراحله نحوي ، ولكن الدورات المشعة التي دخلت في تركيب هذا الملح لا تلبث حتى يتم عبه أي تكشف وجوده في خلال سيرة في الجسم ، ومن هنا أسماها الانكليز *Radio Active* وهي ترجمة عربية ما يجب أن تعلم هي: «الدورات الكاشفة» . ومثل الصوديوم المشع في ملح الطعام كمثل حوض من الماء ملأته حتى الشفة ، ثم صببت فيه ابريق ماء ، فبعض الماء على حافة الحوض ، ولكنك لا تعلم أي الماء الذي طوى وأصب شيء من ماء الابريق ؟ فإذا ملأت الابريق ماء احمر وصبته في الحوض ، صار في وسطك أن تفهم سيرة الماء المحمر في الحوض المتلى . فحريثات الماء التي حصلت بالاحمر هي كدورات الصوديوم المشع .

وعلى أن الانتفاع بالطاقة الذرية ممثلة في إشعاع الراديوم
والعشاط الاشعاعي المستحدث كان معروفاً منذ أوائل العقد
الرابع من هذا القرن ، وقد أقدم من الناس أكثر من دس
هتكت هم قسمة هيروشيما ، فان التطور الحديدي في إطلاق الطاقة
الذرية على النحر المعروف في الأعران الذرية ، قد زاده زهدة
كبيرة وعمرت التروونات المولدة من اليورانيوم ، وهــ
التروونات لازمة لتوليد النظائر في مقادير أكبر وأفضل ثماً ،
فصارت فرص الانتفاع بها في البحث والعلاج أوفر وأحدى ،
وبذلك يرى العلماء يعتقدون اليوم أن ما تم حتى الآن ليس سوى
توطئة يسيرة لما ينتصر .

وأشهر الأمكنة لتوليد النظائر المشعة من المعصر هي
« معمل اوكرينج » في الولايات المتحدة الاميركية ، ومعمل
« هاروين » في انكلترا ، وقد أنشئ أولهما في سنة ١٩٤٣ ،
وحصل توليد النظائر المشعة في أعران اليورانيوم فيه ، جراً
أصيلاً من مهنته منذ أبعه الأولى ، وكان على عمائه أن
يستقصوا خواص هذه النظائر حتى يستطيعوا أن يوقعوا العاملين
في إنتاجها شر التعرض لها ، و ن يضعوا القواعد لقياس فواتها
وصحت نقائنها وحسن تعيئها ، حتى تصير متاحة لمن يطلبها من
معاهد البحث . وقد دأبوا على ذلك ، فلم يكاب سنة ١٩٤٦

أذاعوا أنه صار في وسعهم أن يزودوا معاهد البحث العلمي بمقادير وافرة منها ، ومنذ ذلك اليوم بعثوا بعشرة آلاف شحنة منها أو أكثر إلى معاهد في الولايات المتحدة وأخرى متفرقة في أربعين سنة آخر أو نحوها . والثاني على غرار الأول .

وكل نظير مشع له قدرة معروفة على الإشعاع ، وإشعاع بعض صمغ تحمضه صحائف قبلة من الورق ، وإشعاع بعض آخر منها وسط تحمضه رقائق من المعدن أو الدائق ؛ وأما إشعاع البقية فتقوى بعد كلاً من أشعة السيليوم والترونتات ، ولا تحمض سوى طبقة من الأتري (الاسميت المسلح) سمكها يصع أقدم أو لوح من الرصاص سمكه يصع بوصات .

والطلب على هذه النظائر المشعة كثير ، وأكثر الصب على نظير البرد ١٣١ ، وعلى نظير القصور ٣٢ ، وعلى نظير الكربون ١٤ ، وقد بيع عدد النظائر المشعة التي صنعت وورعت على معهد البحث مئة أو تزيد ، وبها نظائر الصوديوم والكلوريت والكلسيوم والكور والنيحاس والكوبلت والذهب والحديد والرشق والفضة والمصدير والريثك .

وهذا أردت الاحمال قد انتفع العلماء هذه النظائر في دراسة تركيب ادم ومقدار الحديد الذي يحتاج اليه الجسم المعاني ،

وإن يفقد الجسم مقداراً كبيراً من أملاحه يعد أن يصاب بأذى
حاد ، وكيف تؤثر بعض العقاقير في الجسم المريض - بالبول
المصري مثلاً ، وفي استطلاع أسرار ضروب من النواحي
السرطانية وهكذا ، ومن أحدثها وأعظمها شأنًا استطلاع
السرطان في النجوع بواسطة الفسفور المشع .

وإذا طُلبت شيئاً من التوصل ، فلندكر أن من أععب
التحارب التي نت في هذا الميدان بحره أخروها على مباءة أساس
الجردان ، فقد وضعوا في ذلك قصورٌ يحتوي قليلاً من ذرات
معيير مشع من نظائر القصور ثم قدم الآن للجردان ، فتنبع
العلماء سير هذا القصور في جسمها حتى استقر في مبدأ أساسها .
أو حد عصر اليود ، وهو من العناصر التي ولدت لها نظائر مشعة ،
فتنب أن يصير اليود المشع يعني عن راديوم وعن مصنع الجراح
في علاج النواحي السرطانية وبحاجة ما كان منها في أعداد ادرقية .
ذلك أن اليود المشع يسير بطبيعته بعد أن يدخل الجسم إلى
مستودعه الرئيسي في الجسم وهو الغدة الدرقية ، فإذا بلغها
جعلت الذرات المشعة تطلق إشعاعها أي حين ، فيعمل هذا
الإشعاع فعله المعروف في الغدة تحتوي على مقدار من
الراديوم

ثم أن الذرات المشعة في مقدار ما من اليود أي و الذرات

الكاشفة ، تكس عمام وظائف الأعضاء والكيمياء الحيوية من أن يتقنوا سير النود في الجسم ، فهو يتم على ميرة ما يطلق منه من أمواج 'تكشف' ويحس بأحيرة صارت شائعة - كجهاز وعداد جيجر .

وقد وحدوا مدد بضع سنوات بواسطة الدرات الكاشفة من العصفور المشع أن حرارة من العصفور تتركز بعد تناوئها في المراكز التي ولد الدم في الجسم فصار هذا الكشف أساساً لعلاج بعض أمراض الدم مثل اللوكيميا التي تسمى فيها كرات اسم البقش وتسمى أحياناً « سرطان الدم » . وعلى أن العصفور المشع ليس علاجاً ناجعاً في مرض اللوكيميا ، إلا أنه من الوسائل التي تعطي في تحس الحية . ولكن المواد المشعة التي كانت تولد في الجهاز الرحوي (cyclotron) قبل أن صنع الفرون الذري ، كانت عالية تجعل كلفة العلاج الواحد في حدود مئة دولار ، فلما صارت الأفرن الدرية تولد النظائر المشعة هبطت الكلفة إلى ستة دولارات أو أقل . وقد استعمل التلميس المشع والذهب المشع في هذا الباب أيضاً ، والحديد المشع في دراسة نهر الدم . وعمد بعض الباحثين إلى محاولة استطلاع سر السرطان فترامهم يصفون النظائر المشعة إلى شتى العقاقير والمواد كالمونيات الحسبية وهرمونات قشرة الكظرين ويحقنون بها ، فتدلم

الدرجات الكاشفة على أشياء كانوا يجهلون بها عن كثائر الخلايا تكاثراً
طاعياً . وهذا التكاثر هو مسبب السرطان .

وقد عمدت جماعة أخرى من العلماء إلى الاستعانة بأساطير
المشعة ودرجاتها الكاشفة في التجسس على أمراض النبات ، فاستعملوا
الزئبق المشع في دراسة موضوع العداء في النبات ، والكربون
المشع في استطلاع التركيب الصوري وهو كما تعلم ، عماد كل
غذاء نباتي وحيواني من الطبيعة ، وفي تحديد تاريخ بقايا
الكروية التي تزداد في صدور مونغه في القدم ، والكهرباء المشع
في استكشاف تركيب البسليين ، والفصوص المشع في دراسة
بائل السيل وكيف يدخل جسم الإنسان وكيف يؤثر فيه .
آه ، لو عقل الناس لوحدوا في الطاقة البشرية حيراً عجباً ،
ولتوقوا شرها المدرس المهلك .

الإنسان - ماهو؟

نعدد الاساتذ ان جسمه فأجده الزهر بأنه سيد المخلوقات
على سطح الأرض ، ولما ارتقت علوم الأحياء وجعل يقابل بين
جسمه وأجسام الحيوانات الأخرى أدرك أن بينه وبين القردة
أصرة قرين ، ثم قابل من جسمه وبعض الختراءات الحديثة ، فقال
إن جسمه آلة تصنع الطاقة والحرارة ، أو أنه معدن كيميائي
يركب المواد العنصرية التي تحيط عليه الحياة والعناية ، أو أنه
جهاز كهربائي يولد أمواجاً منها ويب الحياة والفكر صلة وثيقة.

يقول شري محله « الشجر » المعرمة

ومند عهد غير بعيد قال الفيلسوف الاسكوري « برود »
قولا ساحرا طيه كقبلا بسف دعوى أصحاب الفسفة الالاية

« لو أطلق رجل على أخيه أو هرقه وصف آلة نادرة لعددت
الرجل اما أحق واما عالمه من عماء وظائف الأعضاء »

ولو تأخر الزمن به شيئا قليلا لخسر عماء الطب
الطبيوية وعماء الكيمياء الحيوية وأنصار الميكوية من علماء
النفس وغيرهم في زمرة الخلق أو عماء وظائف الأعضاء »

ولكن الحقيقة التي لا مراء فيها أن جسم الإنسان قد طرأت
إليه من ناحية خاجة وجده كالمحرك الذي يولد الطاقة ، وهل
الطعام سوى وقود ؟ وهل المعى سوى خرب من الأفران التي
تحويل الوقود إلى حرارة ، وتطعم بتحول طاقة حرارة في الجسم ،
كما يتحول الفحم في الموقد ، ومن هنا ما اتفق عليه العلماء من
قياس قيمة الحرارة بوحده أظلموا عليهم . « لا بد من الأعجوبة لفظ
« كالوري » ونقلها أي العربية بلفظ « سعر الحرارة » .

وقد توافق العلماء على لفظ « التمثيل » لتدنية معنى استجابة
بعض الطعام إلى طاقة حرارة وبعبارة أخرى مواد تدخل في بناء
الأنسجة . فأذا فليس معدل التمثيل في الجسم لاح الشئ الكثير
بين اللحم والآلة . فقدر يعينه من السكر يولد من طاقة الحرارة

في الجسم ما يولد في قرون أحكم صعه . والجسم يحترق وقود
السكر في الكبد والعضل ، كما يحترق الفحم في حشرات خاصة
في مصنع توليد الطاقة .

والشبه بين الجسم والآلة أدنى إلى التمام . كانت المقابلة
بين الجسم ومحرك الاحتراق الداخلي ، فالخيز ويرد في الجسم
يستجيبان في سكر ، والسكر يستجيب إلى كحول ، والكحول
يسفر في خلاه العص ، فيعطيه . الطاقة . وفي جسم ملاين
وملاين من الخلايا ، وكل منها تتلقى قدرأ قليلاً من
الكحول ، فلا يستطيع . سيع العسر الذي يتم فيها ، ولكن
الجسم الحي يعي على هذا المواء ، كمحرك الاحتراق الداخلي
الذي يحرّك ويحرك السيارة والصاغة سلسلة التفرعات الصغيرة
التي لم في البرين الذي ينقاه . وكما لا أنت واحدة في
الحالين أو تكاد ، وتبلغ نحو ٢٣ في المئة .

وفي وسعك أن تعي في دراسة شبه بين الجسم والآلة ، إذا
ظرت إليهما كما ينظر المهندس ، فانهما كانا ليسا سوى كاشة قوية
يطبق شفاها على ما بهما ويصنعه طبعاً ، والعضلات مبسطة
على العظام بحيث يستطيع أن تدفع وأن تشد ، والريثان
كاسعاع ، ولكهما يدفعان الأكتاف في ادم ولا يصحبه على
نار موقدة حتى يزداد سميراً ، ومفاصل الأذراع والفخذين

وغيرهما كما حصل هذه الأذرع إلى شعراء في المصانع يرفع
والمخصص ويخصص برائتها وترجيها ، والقلب مصحة لا تدابيرها
مصحة أخرى صعب ، ولكنه مصحة على كل حال .

يلعب الله ذروته بين الجسم والآلة فيما صممه الدكتور
كاريل الذي أخذ عدة ووضعها في وسط مناسب يرقبها حذر
أحرائيم ، وحفظ الحياة نابضة فيها بجهاز كالمصحة يدفع فيها
سائلا معدياً . ونعهد عالم آخر كتلة من مخاع العظام بجهد كان
للحاج في منزلة الرئتين والوكسين والدورة الدموية . وقد
صفت كل صاعبة فستطيع أن تنقي الدم من الأوساخ الغضوية
التي تشوهه حين عثرت العكليات الطبيعية المريضة .
واستطاع غيرهم أن يرفع عن القلب عبء عمله فترة ما حتى
يسريح مستعجلاً على ذلك بجهاز ميكانيكي يعمل فعل القلب في
دفع الدم في الشرايين .

كشفت صهره الشهادة الكهربائي في ذمعة الحيوانات من
١٨٧٥ ، ولكن دراستها دراسة منظمة تجريبية ترجع إلى سنة
١٩٢٩ ، ففي تلك السنة أحد العالمين الألماني هانس برجر سكي
ووضعها على صعدتي رجل ووضعها بأبيوب مفرع يقوي التيارات
الكهربائية الضعيفة ويصغفها ، فوجد التيارات المصطفة من
الحجبة يمكن تدويرها ، بعد تصغيرها ، بريشة على لوحة مبادية ،

فتبدو لها حركة موجية منتظمة معددة .

ويرجع الباحثون أن هذه التيارات الكهربائية ، التي تضيئهم وتندون صورة مواجها على الورق المساب ، تنشأ في حلالة قشرة الملح ، حيث تتم أعمال التفتت الممدع التي لم تزل محنة بسير الجهل ، ولكن الأجهزة الجديدة التي استندت للإيعال في دراسة موضوع الكهرباء في الملح قد تقضي إلى تقدم خطير في فهم الجهاز العصبي على نحو ما سم من التقدم في دراسة التشرح المرضي والجراثيم بعد ما صنع المجهر .

وقد صنع جهاز أطلقوا عليه اسم «مصورة الكهرباء» في الملح ، يوضع قطباه الكهربائيين على مسطقتين مختلفتين من فروة الرأس ، فينبت الباحث تياراً كهربائياً سارياً في الملح . وفي جامعة هارفرد حجرة خاصة هذه التجربة ، وقد وضع فيها مقعد ونيو يستلقي عليه الرحن حتى إذا بدأت التجربة كان مستريح الخدم ناعم البال . وهذا لا غنى عنه لأن صورة التيار الكهربائي الصادر من محب تختلف في اليوم عما في الليلة ، وفي حالة الاضطراب واشتدال البال عما في أثناء الراحة . فإذا استسقى المرء على المقعد ، ووضع القطبان الكهربائيان ملاصقين لفروقه ، أمر أن يضرب ١٨ في ١٣ مثلاً ، فلا يكاد يشعر في إجهاد عمله بالاضرب حتى يتغير انتظام الأمواج . وفي الحالة الثانية تكون الأمواج

اقصر وأسرع نوالياً منه في الأولى ، فكان حشد الدماغ لقدرته
الواحة وقائه على التفكير في معضلة معروضة عليه يؤثران في
التبر الصادر منه . وتندوم هذه الحالة يصع ثوابت ، ثم يعود
صورة الأمواج إلى ما كانت عليه في حالة الراحة . وبعد قليل
تضطرب الأمواج ثانية فتعصر الأمواج . ويسرع نوالها كأن
الدماغ قد عاد إلى نشاطه ، والواقع أنه عاد إلى نشاطه ، فقد
سئل أرحل في ذلك ، فقال ، إنه بعد ما حارب العبددين ارتاح إلى
إيجاز المهمة ، ثم عاد واضطرب إذ خطر له أن الجواب قد يكون
خطئاً فأعاد الكرة على عميه الصرب .

وقد درس حالة الأمواج الصادرة من الخ في أحوال شتى
من اليقظة والنوم ، فثبت أنه ما يصدر منه خلال النوم ثلاثة
أنواع من الأمواج الأول أمواج منتظمة السباق تصدر منه في
حاشي اليقظة والنوم الخفيف المتقطع ، والثاني أمواج ندل آثارها
على أنها نتيجة نشاط يشد مضاعفة ثم يخف مضاعفة ، والثالث أمواج
تظهر في حال النوم العميق وهي غير منتظمة في ظهورها وشكلها .
ومن أغرب ما تبصوه أثر الانتقال من تسجيل الأمواج من
النوع الثالث إلى تسجيل الأمواج من الضرب الأول يحدث بمجرد
التحدث مع الناس ، ولكن الأصوات الرتيبة التي تعودتها الأذن
كصوت مرور قطار أو نوك سياره لا تسبب هذا الانتقال .

وهذه المساحة الطرية ذات جدوى في التشخيص و العلاج .
وقد ظهر أن هناك صلة بين الصاهرات الكهربائية في اندماغ
وبين الإصابة بداء الصرع ، وأن نوبة الصرع يعقبها نوع معين
من الأمواج ، وأنه قبل حدوث النوبة تظهر أمواج مدورة
بقرب حدوثها ، وهي تسبق ظهور الأعراض الحسية الظاهرة .
ولم يسطر البحث عند هؤلاء المحررين إلى عشر رجلاً سلباً
وبنصفهم المتروكين عن أشرفوا على الاعماء ، وسحبوا الأمواج
الصادرة عن المخ خلال ذلك فوجدوها تشبه في بعض خواصها
الأمواج الصادرة عن أمشاط المتروكين أو المشرفين على نوبة
الصرع . وقد رعت هذه النتيجة تويماً كثيراً ، فكانت النتيجة
واحدة تقريباً في جميع الأحوال .

وقد تشمل هذه الأمواج لتشخيص على صيغة ، وهذا رجل
معافى إلا أنه يخطئ الحساب في أمور بسيطة من أمور الحياة
مع أنه تعود ضبط الحساب ، فمعنى بالمصورة الكهربائية للمخ
فوجد أن صورة الأمواج الصادرة عن مخه تختلف عن صورة
الأمواج الصادرة عن مخ سليم فاشته الأطباء في وجود حراج
في اندماغ ، فاصرفوا إلى التدقيق في البحث على ضوء هذا
الاستثناء ، ثم أحرزوا حراحة ، فوجدوا الحراج ، واستأصلوه ،
وعاد الرجل سليماً . وهذا عامل شكك العمى ، وظن أنه منعدم ،

فبعض ، فثبت ان الأمواج الصادرة عن دماغه هي الأمواج التي
تصدر عن دماغ أصيب بعض مراكزه بآفة .

احقن في تيار الدم قليلاً من مادة غريبة ، من لدح أو محل ،
ماذا ترى ؟ لا يكاد يفتحي على الحقن زمن قصير حتى يهب الجسم
معبثاً جده يدفع عنه والقضاء على الفراء أسير انتهكوا
حرمة ، والأسلحة التي يستعملها الجسم هي مواد كيميائية
يصنعها هو ويدحرها مثل هذه المعركة . ومن هذه الأجسام
المفددة مادة تدعى « أوبوين » تجعل الجرائم العارضة طيبة
المدق فتنتهمها اللوام في الدم ، ومنها مادة أخرى تدعى
« أنلوبين » ، مهمتها أن تجعل الجرائم الغازية كتلاً كثلاً حتى
يسهل على اللوام ان تلتهم منها مقدار كبيرة في وقت ما .

ولست هذه المواد الكيميائية هي كل ما يصنع هذا العمل
الكيميائي الذي هو جسم الانسان ، بل هو رصع صواعاً
كثيرة متباينة منها ، لا غنى عنها في الصفة والحرص ، وفي
طبيعتها الأنوار (المرمونات) التي تمررها العدد العم في الجسم ،
والأربعات التي تحول مادة كيميائية الى أخرى ، والفيتمينات .

حد الدم مثلاً على ذلك ، فالدم في حالته السوية قلوي بعض
القوة ، فإذا مال به الميزان قليلاً إلى الحموضة أسفر عن العيبوبة
والموت ، وإذا مال به إلى درجة من القلوية أعلى من درجته

المضادة لسفر عن زيادة الخمر . المشي . ومقدار السكر في الدم
بحسب ما يتركب في حدود دقيقة لا يتعداه زيادة أو نقصاً ،
وقد حصل عن مقدار السكر في طاق هذه الحدود أصيب
صاحبه بالمشي والعسوبة ، وإذا زادت كانت العاقبة ويلة كذلك ،
ولذلك جهز الطبيب أحمد الشري بوسيلة تحسبه من زيادة
السكر من سكر آدم عن طريق " كلس " عندما تقضي الحاجة
ذلك ، وفي مساء أربعة المدة تولد العضلات مركبات حمضية
منه ويقتل سكر الدم . ومع ذلك فليس عارسوس هذا
السكر من الزيادة لا بد من المشي ولا بالعسوبة مع نقص
السكر في جسمه عن معدله السوي ، والسكر يلهو ويرداد
حقاً في فترتهم ، ويرد ما يقوله دم أن الزيادة من أكسجين
من فحرق هذه الفات الحمضية التي تولد العضلات . وفي
الوقت هذه تحول مشه بخروا في سكر في سكر فموص
الدم ما حسره منه ، ويعود الموازن في حاله الطبيعية .

أما يدي الأسباب معمل كيميائي أدنى في نسبة الفات في
التحول الكيميائي من هذا ؟

وفي الجسم عدد من كبره بمرور فتراتنا (لأوزان) في الدم
مباشرة ، ثم يورثها الدم على أعضاء الجسم وأنسجته ، وبعض
هذه الأوزان يسفل من عدة جسمه في أخرى ، فيحركها ويحطمها

على دفرار بورده أو أنوارها . وهي جمع مصط افعال الجسم
الحيوية ضبط دقيق . والدليل على ذلك ما يصاب به الجسم
عندما يضطرب إفرار عدة منها فيفوق المعدل أو ينقص عنه .

أرأيت إلى أنه مفرور الراس زائع العنق مداع اللسان ؟ إن
الفرق بينه وبين الرجل العاقل السوي قد يكون جرساً من أنف
جره من الأوقية من البيروكسين ، وهو التور (الهرمون) الذي
تفرزه الغدة الدرقية الفاتة على حامى الخلق وقد يورد أظفان
وعند دم الدرقية عاجره عن بوليد المقدار الوافي من الثيروكسين ،
فسدو عليهم أعراض الله ، على تفاوت بينهم . وما عدوا في
ظنولهم (أوى بالبيروكسين أو بالعدة الدرقية المحففة المتأصلة
من بعض الحيوانات تعلموا على أعراض الله وبدت عليهم أمائر
النشاط والذكاء . وهذا الحسن في حادهم يدوم ما دامت المعالجة .

ومن معدد التي تنصب بأوصاف عجيبة الغدة المحامية الواقعة
داخل الجمجمة في قعر الرأس ، فهي تسيطر على النمو ، فإذا
نقص مقدار ما تفرره من أحد أنوارها كان صاحبها قزماً ، وإذا
زاد كان مبرداً . ولكن الغدة المحامية ما بين وعائها الكثيرة
وظيفة أخرى مصلة لها اضططحت على وضعه بقولنا « حب
الأمومة » ، فعندما يند الأُم يزاد ما يفرر من أحد أنوار الغدة
المحامية فيها ، فيولد في الأُم عاطفة الحذب على ولبدها ،

فتصحي بشكل شيء حتى يحسنها ، هذا الوليد . وقد أثبتت هذه الحقيقة بشئ أو سائل ، ومن أشهر التجارب التي جربت حين مقدس كثيرة من هذا النوع الخاص في اثبات م يلعب من الولادة أو تحطيتها ، فولدت فيها هذه العاطفة القوة ، حتى المذكور الذين يحقون للتحررة - هذا النوع يصير عليهم هذه الصفات . وقد أجريت هذه التجربة على فرحة لم يسع من البيض بعد فبدت عليها صفات الأم الوليد ، كما تحرب على الحاجة تحسب من البيض وحسنه فبدت عليها هذه الصفات كذلك .

ويبدو أن مميزات العدد الخمس ولا سيما مميزات العدة الجماعية - وهي عديدة - تسيطر على أعمال الإنسان والحيوان الشعيرو تنعبر الأصول ، فعلى كتب تيسون "شعر هو المشهور في قصيدة لو كسنى هول في ربيع يبعه جبال الشب إلى الحب ، أفرح في باب من "شعر الرقص قول العلم الحديث بأن فرار أحد مميزات العدة الخمس منه يزداد في ربيع فيؤثر في إفراز البسترون وغيره من الأنوار الخاصة بالحياة الجنسية .

أما أدوية من مكشحات العصر الحديدي ، مع أن تأثيرها من الحقائق القديمة المعروفة ، وقد استخرج العلماء عشرات منها ، واستعدوا طاقة في قالب ملور ، وهي تعمل فعلها مادة كيميائية ما فحوط ، إلى أخرى يعبر أن يصرأ تغير على الأنريم

نفسه ، فكأنها في عمر الأحياء في متصلة الوسيط الكيميائي في
الكيمياء عبر العصور . وبعض عملها في الجسم أنها تؤثر في مواد
الطعام فتحولها إلى المواد الكيميائية التي تحت إلمها الجسم ، ولا
تضع منها سوى المقدار المطلوب ، ويعزز الجسم ما يبقى من الطعام .

والطاقة السليمة من المواد الكيميائية الحرة في الجسم هي
مادة الفيتامينات ، وهي ذرمة نسو الجسم المشري عوا سون .
وقد أحده هذه التيسيب يعني أن مرجح من أمراض كثيرة
تصيب الجسم ، ومنها بعض اضطرابات الأمعاء والأسكرووز
والكساح والمربوط العيني الحاد والربو وورع من الشلل والتهاب
الأعصاب والبلاخر ، و عقم أيد . وقد نأكل من الطعام
الشيء ما تشاء ، وقد يحس بالشبع أو دجحة ، فإم يمكن
الطعام محتويأ على الفيتامينات فذلك مصدر مجموع حقيقي وإن
كنت شعرت . وصحيح أن الجسم يتناول الفيتامينات من مواد
الطعام ، ولكنه يركب بعضها في أجوال معينة ، ويحمل البعض
الآخر في شكل يسر على الجسم أن يستفيع به .

هل جسم الإنسان آلة ؟ هل هو معدن كيميائي ؟ هل هو
مولد كهربائي ؟

هو كل هذا وأكثر منه . فأسرار الحياة وأرواح والعقل لا
يرال معصوب محجواً عن أنصارنا .

ثروة في ديمقته

ذا كتب كتاب ثروة على عجل ، فعل على د «الوفوف» في دار ميه ، «وس» عدي في هذا الفصل وصفة بملك ما يريد في أقصر زمن ويسر جهد «بر» «الموا» أو «كاتب الثروة» تبال على «الموا» لفقدت تربتها وبهبتها ، والثروة ههنا ليست مالا ، بل هي حراره ، من هي علم وعمل دائم وإنتاج ، وسع يستعين بها الناس على حسن اميش ، «سلع» لم يكن لها وجود ، هادا العالم يحققها ، «والصاع» يصنعها ويشيعها ، وإذا الناس يقنون عليها ، «والدقيقة» لسب قطعة من الوقت ، وقد قالوا إن الوقت

«مقال شرقي» «أهل» «العلم»

من ذهب وأنا أقول إن الذهب يدب ويحيى ، هو في حيي
اليوم ، وفي جيبيك غداً ولكن الذهب الذي لا يسفح بها
ذهب إلى خوف الزمن ولن تعود ، فكلاهما حاسر... أما الدققة
المقصودة في هذا المقال ، فهي قطعة من مادة يمكنها شأن
مئذ قرن من الزمان أو أقل ، هذا هي اليوم محور الصناعة
والعلم والسياسة والقوة ، وقد تحولت هذه المادة المعجزة ،
فتعبر ببيعها أو محل عملها مصدر أخرى للصناعة المحركة ،
ولكن القليل منها يصل مبيعاً عربياً ينسرح العلماء من دققة
جريته في عرف الكيميائيين - ثورة تكاد لا توجد .

عنه الكيميائي في هذا العصر إلى طائفة كبيرة - صغيرة من
سرار تركيب المواد ، يعرف أولاً أنواع العناصر التي تتألف
منها المواد المركبة ، ورعى التحليل الكيميائي على قواعد ،
فتبين مثلاً - وهذا أبسط مثل - أن الماء مؤلف من عنصري
الهيدروجين والأكسجين ، وأن ملح الطعام مؤلف من
عنصري الكالسيوم والفلورين ، وهذا هو التحليل النوعي . ثم
تقدم خطوة أخرى يعرف المقادير التي يدخل من كل عنصر في
تأليف مادة مركبة ما ، فبني أن الماء مؤلف من قدرين من
الهيدروجين وقدر واحد من الأكسجين ، وأن ملح الطعام
مؤلف من قدرين مساويين من عنصري الكالسيوم والفلورين ،

وهذا هو مد التحليل الحكيم ، ثم تقدم مرحلة اخرى في البحث عن السر المعروف بـ "درات" في حريثات عدد كبير من المواد ، السببية والمفردة ، متصور ، لكل درة دراء أو أكثر من درع ، هناك بها ادراج لتأليف احريثات ، فحري ، الماء مؤلف - على صورهم - من درة كعص لها دراء ، هناك بها درة إيدروحي من فاحة ، ودره إيدروحي اخرى من ناحية و حواء صار في وسعه أن يهكك بعض الحريثات ، ومنها ما هو صرحهم مفرد مؤلف من مئات من ادراج ثم يعيد تركيبها على وجه راء ، أو يحدف من اخرى درة و درات أو يصيب اليه درة أو درات أو يضم طاقه من ادراج بعضها ، بعض ، فدا هو قد استحدث مادة جديدة لا عهد للناس بها من قبل ، أو كات تأدره فحعلها ما فعل مأوده وادرة .

فالكيميائي الذي يميز معدم الحريثات بالنفكيك والتركيب ، أو يحدف أو يضافه ، أو يضم الحريثات بعضها إلى بعض حتى يصير سلاسل طويلة ، يشبه بعض الشيء الحياض الذي ياحد قطعة من القماش ، فتصير قطعاً مختلفة الشكل متعونه الحجم ، ثم يعيد تأليفها ، الحياض ، فدا هي ثواب منايه ، يوافق صاحبها ، سواء مديناً كان أم حليماً ، وفصيحاً أم طويلاً ، ودكراً أم أنثى . وكل من يزور جماعة من مصافي القعد ، ينبغي نفسه - رعاً

شارع بعد شارع ، تقوم على جوانبها ، حجرة مرآة ، بحرف
اشكالها ، تحير العين واللب ، من ساحل ذهبيه كالمسار ، في
سطوات رصعة حثت على الارض ككبر بروح ، في حركات
شكل كل منها ككبر كبر قصب رصعها الارض ، وذهب
بدهانت كالفضة ، في نواح غايه صعب من عهد مساكنة من
الولاذ ، إلى أنابيب دفقة وأخرى رصعة ، في مسجرات على
سطح الارض ، وتلتوي على وهاء تحارة حرس ، وآخر من
الارض المسعدة إلى يطلب الاس ، فسبها حرد حرد
مسرح من دقائق عدا السبل العصب الذي يسوده الظل .

في كبر ظهر للكيميائي حديد ، الذي غار على الصلابة في
عربها ، في مادة قطرات النجم التي تتدفق عن النجم الحجري
بعد حماه في الصلابة . وهي كمنه رصعة سوداء ، في كبر
الرائحة ، كات بعدد الهواء لا خير فيه ، ولكن العنبره
الكيميائية ، استغنى في هذا القطرات ، مصدرها زاحراً
مركبات ، ليس هي عجيبة في حد ذاتها . ولكن في توسع
تتوسع منها مواد عجيبة ، بعضها يدور ما تدعه الطبيعة
وبعضها ليس به وجود في الطبيعة على ما يعلم وكذلك توسع
وحال الكيميائي من هذا القطرات اصابع راعيه اللوت ، ثمة
لا يسل ، ومتحركات عدي في السم ، ودمر في الحرب ،

وعطورا ، ري ارواح الورد والسجج والزعفران ، وعقاقير نافعة
كالكافور . وأهل شهرها هو غنار السما الذي يبيته العالم ، لذلك
دومك ، قبل الحرب العالمية الثانية . في صنع برصى اللون ،
هو صنع البرونوزين المسحرج من قطران الفحم الحجري .

وقد طن قطران الفحم الحجري أزجر المصادر بصوت المواد
الحديدية حتى ارتقت ساعة القطر وتنب عماؤه والسخنوت في
كيميائه أن دفعته أي حبيبات المواد الأيدرو كربونية في السقط
الحام ، هي عنى مصدر وأزجر من قطران الفحم الحجري ،
ولا عرو ، فين أمانت منه بس عربه ، وانقطران صحت
من الفحم الذى تكوّن في تصور . معدلة في القدم ، من سات
فهر في حوف الأرض ، وحام عيه القروب الحاراه والضغط
و رمن فحوايه من فحم ، والضغط تكوّن في عتب الرأى من
مواد عضوية مائة وحيوانية ، فترت في حوف الأرض وحامت
عليه — القروب الحاراه والضغط والرمن فحوايه أى معد ،
والأيدرو حمن والكروب فيها خيما هو المقصر الأصيلان .

نعم إن القطر نصب أول ما أطلب في نصف الثاني من
القرن الأخير من أصل المواد التي يستعمل في الإضاءة والطلح ثم
من أصل المواد التي تحرك بمحركات السيارات والطائرة أو التي
تحرك قاطرة ديزل أو مولدات الطاقة الكهربائية أو السفن التي

تغير البحار ، ولا يزال الجلب الاصغر من النفط الخام الذي يستخرج كل سنة ، يستعمل في هذه الاعراض او ما كانت على عرارها ، فهي استعملت لإكتمه لحاج كبير مما يحتاج اليه العالم الحديث ، من ثياب الطاقه المحركة التي تطرد حاجه العمران ولها .

ما كاد من البعد يدركون ما تطوي عليه مركباته ، من اصول مواد جديدة دافعه ، حتى اعدقوا المال على رجال البحث الكيميائي لكي يشقوا الطريق ويكشفوا الحجاب عن علمهم ، وبحر حواصلهم من ابحاثهم ، مواد يحتاج اليها الناس ، او مواد لم يعهد اليها ، ولكنها تسدي اليهم يد في حياتهم وعمرهم .

وقد توسل هؤلاء الرجال بالأساليب التكنولوجية والتركيب ، والحدف والاصااف والاصم في الكيمياء الحديثة فاستصاعوا أن يجدوا في حريشت المواد الايدروكربونية المختلفة تعديلات كثيرة فأنشأوا صناعه حديدية بطرد نواها ، هي صناعة المواد الكيميائية المستخرجه من النفط (Petro-Chemicals) وقد وفقر إلى صنع مشت من هذه المواد النافعة — صنعوا مطاطا أو مواد كاصاحه فوق المطاط الطبيعي في كثير من خواصها ، وادهم يطلي بها الخشب والحديد ، والماده الحمراء التي تلون بها شفاء العواوي ، واسبرينا يخفف ألم الصداع ، و « توحولا » يلبس للمعى ، وحوارب وقمصان وأثواب وستائر من « النايلون » ،

وهـ جلسرياً يصنع منه الصوت ، ودائن ، لاسبيك ، نصع
مهب أقلام حجر و كز الأتواب والفاحص والحوالي واثياء
أخرى لا تحصى ، ومطهرات تقتل الحشرات ، ومبيدات للحشرات
وللعثاب العارة ، ومواد التطرية التي لا تسعى عنها الحمار .

وكل ما نقل عليه الحمار حليق أن يكون ممداداً لنشاط
المسكر والبصاع والناحر . وهناك بعض سكان الارض أو
أكثر من نصف ، وهو حدث من اليب الحدث جميع المواد
المصوغة أو المستخرجة من ذوائق البعظ لا عفت رسته أكثر ما
تألفه فيه . المشع الذي يعطي فيه أرض بعض العرب وموائد
المطعم ، والدهن الذي يدهن به الحدران والحرائش أو سور
الحديقة ، والمحول المطهر الذي يس من داخل أنهم أو أف
طفلها عندما تبدو بواحد الزكام ، والمطهرات التي تطري بها
جدهم قبل النوم وبعد البعظ ، ورداء د. د. ب. الذي يقتل
به البعاب والبعوض والضراحيير ، والمشط الذي تمشط به شعرها ،
حتى الضحية التي تصنعها في اصباح ينسقط مامب صفعه ببعاض ،
لأن حجر المطامع يحاح إلى مادة مستخرج من النفط هي «أسود
الكربون» ، فإذا تحولت إلى جهاز الراديو ، وأنه عازياً أمامها ،
مؤلفاً من أسلاك وحمامات فالصدوق الذي يوضع فيه الحمار ،
والاررار التي يديرها ، يصع الآث على الأكثر من لائق ،

مردّها إلى دقائق هذا الفن العجيب ، ودأبت الخروج
والسهر ، مدبر مظهر ، بحث عن المعطى الذى يقب من اورداد فلا
تجدّه ، وهو أيضاً معصوم من الخط .

في اوائس اربع الى من القرن التاسع عشر ، أحدث
الكيمياء في الامان ، وهو ، انشأ في علم الكيمياء المعصوم ،
يوم ركب من مواد غير عضوية مادة البور ، الى يوجد في
الدم والنور ، فكان ذلك يدعى المادة الجديدة في علم الكيمياء
وهو اطار هذا الدم وعدد ثمانية عشر .
لا تكايري اصناف راحة من اضطراب الفهم الخرجي خط علم
التوكيد الكيمياء حتموه كره نحو ادوية ، والكمه مرفوف
عليها حتى تفادى ذوقى الخطر حرمانه هي حرب لا يفتد
مواد يركب منها ما كره هذه وحسب ، من الاشياء النافعة .
فهم علم ينامى لطبيعته ويكتم في آله واحد ، وركاب العقل
سبباً مضاعفاً انكسار في وسع ليس ان يستعملوا به ثم منعاه ،
فيحلوا البعبوحة محل العود ، والذخيرة محل المروى ، والارضى محل
السجدة ، والصناعة محل الخوف والاضطراب ، والنعمان على
الحيز محل تخافهم ينذر بالشم المستطير

رَبَّةُ التَّيَارِيخِ تَهْزَأُ بِصَبْغِهَا

بعض النور في عدير ، عبرت فيه موارس الحياة ومعايير
الاشياء . فقد دعب في انشاء الماسي في مشهدة وتم يعرض
عزتها روائبها ، ولكنه عرس دعب . مشهدة الفعائز التي
محاول اصحابها ان يدفعوها بسرعة نفوق مرعه الصوت . ولا
ارال ذكر مشهدة من مشاهد العلم اسعوق ناسة او أكثر
قبيلاً ، ورفع في عسي ، وحللي على التفكير في ملاسه ، فقد
ركب حد ابطال الفص طائفة مع عروسه ، لستحق مرعنها

حدث ربه من محبة الكون الادب .

ليعلم أهى قرية من سرعة الصوت ، وطار من لندن قاصداً إلى
القاهرة . فمما كانت الطائرة فوق باريس ، قال للطيار لغرويه هـ
هي دي هوس النصر تحشا ، ونعصب غرويه وقالت : أرى ؟ فرمى
الطيار بصره الى أمام وقال : هذه قمم جبال الآب ، برشك
أن تتخطاها .

ومع ذلك ، فانا أذكر يوماً في القاهرة منذ ربع قرن ،
مرت به الطائرة الأولى من لندن إلى برمسي مفتحة خط حوياً
منتصباً بينهما ، فاستغرق رحلتها ثلاثة أيام وبعض يوم ، وقبل
ذلك أذكر أن دانيال بنس مؤسس الجامعة لأميركية في
بيروت ، قطع منذ سبع سنين المسافة بين بيروت وسويفرل ،
في خمس يوم على سبعة شراعية ، وأنا قطعها منذ سنتين في
أقل من ثلاث ساعة بظائرة دت محرك ، ولو ركب اليوم
الظائرة المائة إلى لندن ، وأخرى من لندن إلى سويفرل لكان
في وسعي أن أقطعها في أربع عشرة ساعة أو أقل ، متوقفاً
ساعة في روما ، وساعتين في لندن للراحة أو للتزود بالوقود ،
أو لتغيير الطائرة .

ويوم وضع استنور الامبركي ، في أواخر القرن الثامن
عشر ، التزم واضعوه فترة أربعة أشهر يقضي فيها انحناب
ناحي الرئيس ، ووصول الداجين من ولايتهم المخصصة إلى العاصمة

لاحتبار الرئيس ، فالسبيل الوحيدة لتفحص المسافة كانت جهوات
الجبال أو غمرات نجرها أحياد ، وذلك بصواً على أن الرئيس
يذهب في تشرين الثاني (نوفمبر) ، ولا يندم زمام الرئاسة قبل
آذار (مارس) ، ثم قدموا الموعد إلى كاثوليكوس الساساني .
ووسيلة الانتقال هذه التي كانت أسرع وسيلة معروفة في آخر
القرن الثامن عشر ، كانت هي هي الوسيلة المعروفة في القرن
السادس قبل التاريخ الميلادي ، يوم عى داربوس الفارسي تنظم
الامبراطورية الفارسية . هي المسالك التي ترى أن أنام جورج
واشنطن أنه انهم داربوس ، في أن الحواد كان أسرع وسيلة
للاتصال .

ثم كان ما كان ، من بحار أو هذه سيرة القطارات والسفن
والسيارات والطائرات ، وإذا الوسائل الجديدة ، يمكن الأساس
من أن يسهل الأرض هنا ، ومن أنت يلقي من الرمن شطراً
كبيراً . وإذا الوسائل التي تختصر الرمن الذي يستغرقه قطع
المسافات ، بقطع المساحات أيضاً ، فالدوليات المتحدة انترامية
إذا فبسبب الوقت الذي يستغرقه عبورها من العرب إلى الشرق
أو من الشرق إلى العرب ، فالتأثير العاتق ، لا تريد على ذويلة
من دوليات اليونان القديمة ، يوم كان أجبرها من طرف إلى
طرف ، وهنا بالجياد وفرسانها .

وقد انجسما إلى الظواهر التي تجعل وسائل النقل والاستقلال على هذه السرعة العجيبة، جمع وسائل المخاطبات، والرؤى عن بُعد، وسائل راديو والبصيرة، رائد الانكشاف في المسافات والمساحات اربعة عظماء وقد ذكر لنا حديثا الدكتور شارل ماث، يوم ٢٠ يربوب، بعد الاسكانات الأميركية الداحرة، بالاعتماد على وسائل السرعة، ممكن من يشاء من الأميركيين، من أن يشهد به العين وبع لا يبرح داره، ما كان يجري في شيكاغو، عند الحرامات الكيويث مؤثرتهما ترشيح من رشيد على الرئاسة وبعها، وما دار بعد ذلك، في جميع حملات ادسحان الكبير

وسرعات ما اوصى هذا الدور في معايير الحركة والمسافة والمساحة، إلى آثار خطيرة في حياة الدول والشعوب.

فقد جلب هذه الحسنة، كثيراً من حقائق الحرب، رؤى على عقب. وقد جلب برضاها فروع، ضد معركة الاراء الداشورة، اعتماد على بحر الداش في حمايتها من غار يعرف من سواحل البحر الاوربي، فذلك صار دولة بحرية، ذات استطول، كما في وقت ما، أقوى من أقوى استطولين أوربيين. وقد كان ذلك صحيحاً يوم كانت سرعة السفن لا تزيد على خمس عشرة عمدة أو عشرين عقده في الساعة، ولكنه لا يمكن أن يكون

صحيحاً اليوم لأن الطائرات التي تفوق مرعتها سرعة الصوت
تستطيع أن تعبر بحر المانش في دقيقتين أو أقل . وقد كانت
الولايات المتحدة الاميركية ، مضطهة إلى عزلتها ، لأن المحيط
الأطلسي ، المرامي ، يحجبها من ناحية الشرق ، والمحيط الهادي ،
وهو أشد تزامياً ، يحجبها من الغرب . ولكن الولايات المتحدة
نفسها صنعت الطائرة الاولى ، ثم تعاون علماءها مع علماء أهم
أخرى فصنعوا القنبلة الذرية وشيفتها ، فلما بدت الطائرة ، وما
يمكن أن يحقق ٢ من صواريخ وما يشبهها ، ما يلبث ، صار
المحيط الأطلسي من ناحية ، والهادي من ناحية أخرى ، لا تريد
سعتها ، في حساب السرعة والزمن ، على سعة بحر المانش في
القرن التاسع عشر ، وحتى في أوائل القرن العشرين ، فبدلت
صارت العزلة الاميركية المتأصلة في وضع أميركا الحمراء ،
والتي عبت ويلسون في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، شيئاً
مناقضاً لمنطق الواقع - اليوم .

وليس هذه هي المرة الاولى في التاريخ ، يقع فيها انقلاب ،
في وسائل النقل ، فيكون له أثر بالغ في حياة الناس . ففي
القرن السابع عشر قبل الميلاد ~~مكس~~ بعض الفسائل في آسيا
لوسطى من ترويس الحصان ، وشده إلى عربة ذات عجلات
وأتاعا ذلك قدرة في الحرب غنت لها حاراتها ، وفي القرن الخامس

عشر بعد الميلاد ، تمكن أهل البرتغال من صنع سفن شراعية
تقوى على أن يشق عباب اليم إلى أماكن بعيدة فكانت عاقبة
ذلك تطوراً أصيلاً مديداً غير وجه أوروبا.

كانت أندولة في أوروبا ، قبل الانقلاب الإسباني تم على أبدي
البرتغاليين ، دولة وحيد ، هذه السدوية ، وجنوى ، وفلورنسة
أمثلة عليها ، فلم يكند البرتغاليون يصعبون معهم ويمحرون
البحار حتى بدأت الدويلات بحلي مكافئ لدول القومية على مسرح
التطور التاريخي ، قدمت دول البرتغال وأسبانيا ، وفرنسا ،
وبريطانيا ، وهولندا ، وقد كانت هذه الدول قديمة منذ القرن
السادس عشر ، إلى مطلع عهدنا هذا ، وهي مسيطرة بسفنها
وتجارها وصنعتها ، وأمبراطورياتها ، على معظم الدنيا ، ولكن
نشأة الطائفة وتقدمها ، قد حضا من مزده هذه الدول ، لأنها
صارت صغيرة ، بالقياس إلى المكافآت المبرامية التي تقطعها
الطائرات بسرعة ، ومهد لقيام دولتين صحتين ، هم الولايات
المتحدة الأميركية والاتحاد السوفيتي وكلتاهما دولة مبرامية حقاً.
والسندقية وجنوى كانتا بالقياس إلى أسبانيا وبريطانيا وهولندا
يومئذ ، كأسبانيا وبريطانيا وهولندا اليوم بالقياس إلى الولايات
المتحدة والاتحاد السوفيتي ، أي أن الانقلاب الذي تم في وسائر
القل ، وأفضى إلى احصاء المسافات ، وانكماش المساحات ،

قد أقصى بدوره إلى تعبير أصيل في عوامل القوة والقدرة ، فإذا
الصغير بجلي مكانه للكبير . فإذا مضى في هذا التسلسل التاريخي
إلى نهايته المطوية ، قلنا إن محراً تختص فيه وسائل القتل الذي
يم بسرعة تسبق الصوت ، والقدرة الدرة على التدمير ، لا بد
أن ينتهي إلى قيام دولة واحدة على الأرض ، لأن قيام هذه
الدولة الواحدة ، هو وحده الذي يحول دون أن يستعمل الناس
أسلحتهم الدرة ، للقضاء على أنفسهم بأنفسهم ، أو لارتكاب
« هاري كيري » دري عالمي على الطريق البامانية .

والعمرة التي يستطيع أن يستخرجها من هذا كله بيئة
وفيها ينبغي أن يبع إدار لأمم العصر الحديث عامة ، ولنا في
هذه الرقعة من الأرض على وجه خاص .

كانت دويلات إيطاليا في منهل القرن السادس عشر ، أغنى
وأقوى بحتمة ، من الدول القومية التي درقها يومئذ . ولكن
كل واحدة منها على حدة كانت كالفرم بالقياس إلى عملاق
أسبانيا أو فرنسا أو غيرها ، وقد استخرج مكيافيلي العمرة
من ذلك في كتابه « الأمير » فقال للدويلات الإيطالية ، إما أن
تتحد ، وإما أن تخط كل واحدة ممكن على حدة . وقد
مات مكيافيلي في سنة ١٤٢٧ ولكن مملكة إيطاليا المتحدة لم
تقم سوى في سنة ١٨٦١ أي بعد قرنين ونصف قرن ، وقد

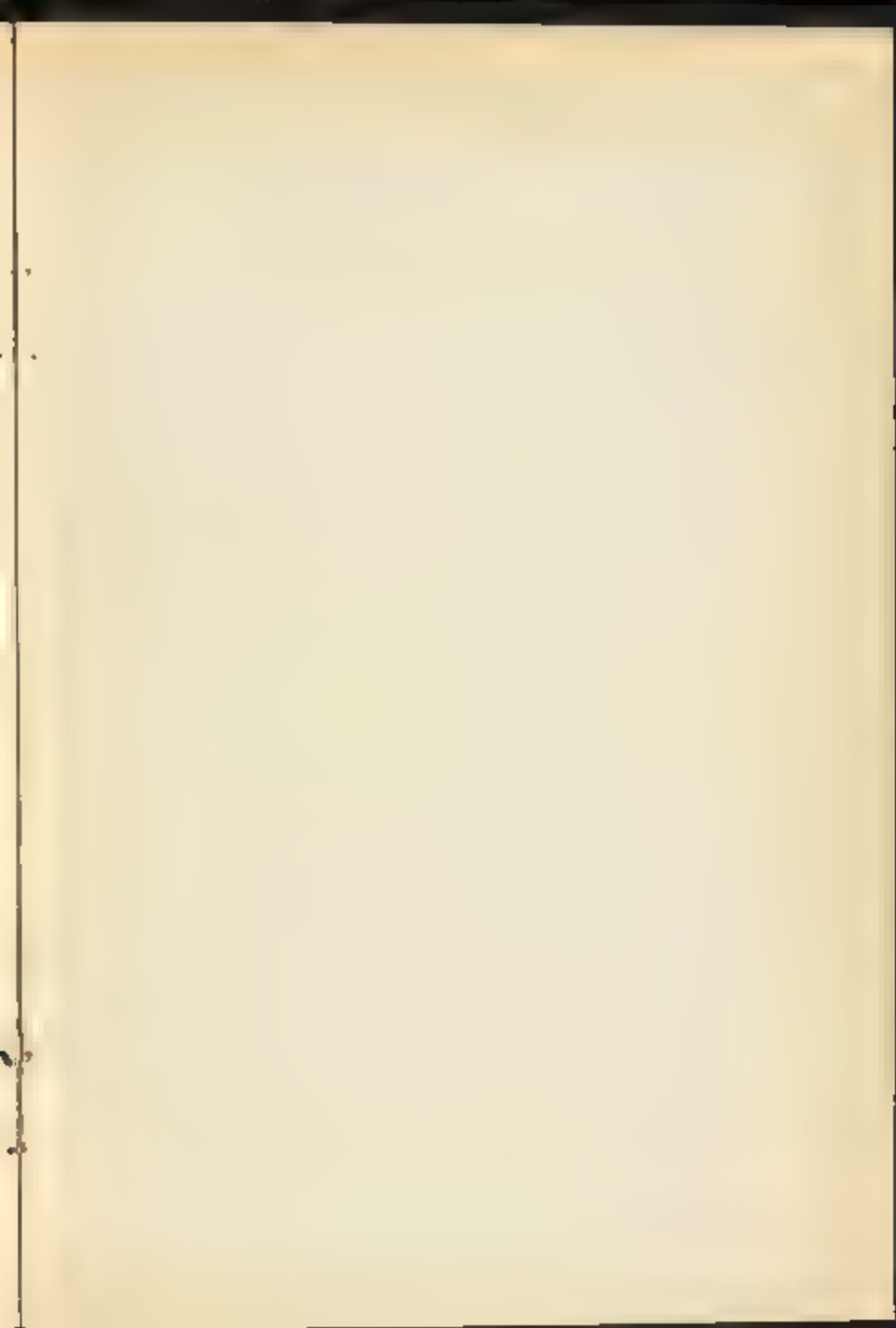
كانت مأساتها أنها صارت ، في خلال الفترة بين الاسدار والاتحاد ، معتركا لدول أوروبا ، بدلاً من أن تكون مصعاً ومصرفاً ومدرسة لأوروبا . ورو استطاع إيطاليا أن تتحد يوم أندرها مكياولي بموجب الاتحاد ، انكسب في أعين الرأي الدول القومية الأولى في العالم الغربي ، في العصر الحديث ، ولكن اتحادها جاء متأخر ، فلم ، دخل في رمة لدول القومية ، فكانت الدول القومية نفسها ، في مرحلتها الأخيرة مشعة على هيتها .

وما حدث لدويلات ايضاً ، حدث مثله من قول ، لويلات اليونان ، يوم هالظلم حروب مدونيها ثم حروب روما . وقد أكرت دويلات اليونان الدار دي سمعته في الحالف ، فابت أن تتحد ، لا فاق في مدهم ، فحدث حاصفة عن يد ، بالقوة والفتح

ب. المؤرخ لفظ وى امعاصر ارنولد تريبي ، صاحب هذا المذهب التاريخي ، يرى أن ما حدث في العصور السبعة ، يصوي على امدار حصر ، لاهل هذا العصر . فقد طرات على الحاصرة امعاصرة ثورة مد في أحصاء العم والصناعة ، فغيرت المعايير ، التي تقاس به الدول . وهب امشكلة اليوم . في رأيه المستمد من نظرة ثافة في التاريخ المقارب - هو - امد من العالمي ماض

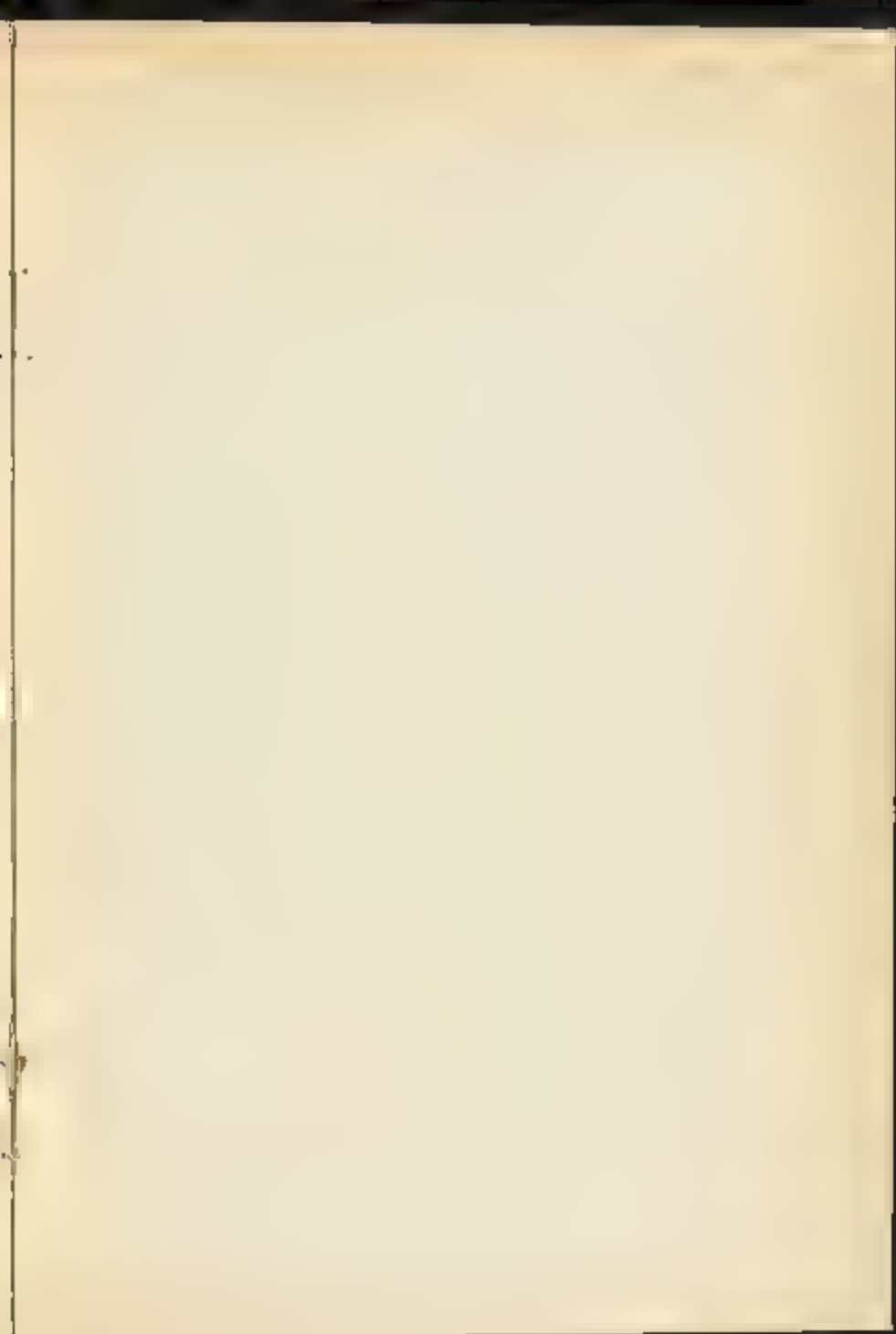
قدم ، أحدث بديلاً أصلاً سرف في حياة الشعوب ، ودولها ،
 على حين ترى النفس الانسانية ترحب زحاً طيشاً كالسحابة ،
 في متناقضتها ، وحكام الامم بها وبين واقع الحياة . وأخشى
 ما يحشاه ن بعض ركب في رحمة عبياء ، يقتفي من كارثة ، إن
 لم يتمكن الأهم من الوصول إلى حيز في الحياة يليق له . أن
 يعيش حسناً في حب ومساواة ، حتى تلحق النفس البشرية
 بدهن العلمي وما خلقه ، ووائده بها ومن انبثج الحديثة التي
 قامت نتيجة لا معر منها — انطور اليه ، والصدقة . ورحال
 السياسة التي يستطعمون آت يحتموا هذا «التعايش» حديقون أن
 يضعهم التاريخ من بناء أو هو على الأرض ، لا يصعبهم بين
 مدبره .

هذه رنة التاريخ ، تهر اصعب في وجودها ، وهي تدركي
 بقصة العبدان المختلعة والبرفة ، «دعني بها ؟



« ليس في وسع الأمة العربية أن تشيد
 بنباها الراسي على الرمن ، أب لن رسخ في
 نفوس أناسنا أن طلب الحق لا يجدي فيه
 العجلة في البحث ، ولا المرولة في الاستقواء ،
 وإن الحقبة هي معركة داخلة ، تنجدو كل
 صباح ولن ننهي . »

أمي حدثت «صاحب المراسل» «أربع من معه شرق
 الأدي للاداعه «عربية



صاحب المعلم الثاني

محمود بن آدم أورد في هذا العصر ، فترة من حياتها ، يلوح فيها شاعرية الناس بالخصائص والمم الذاتية الضمنية الثابتة في حياة الأفراد والجماعات ، هي أن من عاينهم بكن ما يهر الطرف ، ومحط العين ، ويؤثر ثراً عاجلاً من قوة أو ثروة أو شهرة ، أما مناقب الصبر والأمانة والافتقار والوفاء والحمد والعدل لا يمكن ولا يسترعي ، في سبيل هدف اجتماعي بعيد ، ولا تكاد تستهوي نفوسهم لأن الحصار الآلية الحديثة

حديث قديم من محبة الشرق الأقصى لا تلتذذ به

الى جملة السرعة والانتاج اوسع الطوق ، شيئاً مستبعداً ،
قد اذهب الناس وسائلها ، عن قصائل العمل والخلق التي مهدت
لقيامها ، وعن العرجى الاحمعي المطوي وما يبيحه من قدره على
الخير .

وليس في وسع الأمة العربية ان شيد سلسلها اراسي على
الرمس ، ان لم يرسح في نفوس اناسها صب الحق لا عدي
فيه العجلة في البحث ، ولا المرولة في الاستقراء ، وأن الطريقة
هي معركة دائمة تتعدد كل صباح ولن تنتهي ، وأن رفع مستوى
الحياة ان لم يات بمشروعات تؤتي ثمرها من لينة وضعاها ،
وان اتمت العرافة على وجه كل شيء حده لن يعني عن الامتياز
والعنى في سلسله .

ووسائل التربية الخاصة والعامة ، التي تكمن العودة الى
الشيخ القوم ، بهج العناية ، بجمع الناس على الأمام ، بجمع التأمل
في الأصول واستخراج القواعد الثابتة على الدهر ، بجمع التحلق
بالخلايق التي تزداد صداؤها في أروقة التاريخ ، هي ولا ريب
وسائل متعددة ، تشترك فيها المدرسة والصحيفة والاداعة والمطبعة
ولكن من اقصها في نظري وجددها ، دراسة سير الأجيال
الغضيرة من الناس ، واستكشاف قصائلهم ومواقفهم ، واداعتها
واستلهاها ، فالحياة عدها صدقهم وقوتهم وقداهم وحسبهم

وفاء اشخاصهم في أغراضها العليا ، وليس من الغث أن تكرر
القروء ، واستأجرهم لا تزال كالحوم إلهية في الفجر ، أما أريد
فيذهب حياء ، وأما ما يجمع اليه فيمكن في الأرض .

وقد سجد في الحياة أن أعش في كعب واحد من هؤلاء
رجال ، وما فتئت روحه على كعب يوم من سبعين محلاً
مصطفة على نبي . وقد رددت كثيراً قبل كتابة هذا الحديث
لما تبين من حبه ، ولكن الرخص حتى أن لقاءه منذ ست
وعشرين سنة ، هو في عني عما نقوله فيه ، ولكن لساني عني
عما في حبه الحديث من العبر . فأنا عند ما أروي بواحي من
حياة يعقوب صروف ، أجد نفسي من صلة الأمام والقراية -
عني بحري بها . ومن حبه الأمام تتبدد ، على عظم نبي له
وأقرب موقف واحد من بناء الأمام العربية لسان بحاء هذا
رجل ندي كان ركناً من أركان النهضة الفكرية والاجتماعية
الحديثة فيها .

كان رجلاً جمع بين الدهن المتوقد والحق النبيل ، أي أن
يؤديه صفا العلم والفضيلة ، فكانت حياته وأخيراً بالمع .

وولد بشاً في بيته وطئت فيها مسالك العلم ، وعظم الأقبال
على العلماء ، فكان على الغالب من العلماء المبدعين . ولكنه نشأ
في بيئة كانت قد انطقت صلتها بسير العلوم منذ قرون ،

وعسى عليها أساليب أدنى إلى اللعب منها إلى الوثوق ، وإلى
الاستطاب منها إلى الاستقرار والجرأة . شأن متروكاً من
أصول العلم احدى بقدر واقعياً له ، أن يكون أحد الرواد
لحصر جديد في حياة العرب يصلهم عما انقطع من منسيهم الجيد .
ومن إذا طويلاً القروب إلى منهن الفكر العربي الذي أبدع
وأحب في عذره ادهي بعد أن تفتح بفتح العلوم والمعارف المقولة
عن اليونان والهند ، إذا عدنا من جمود المترجمين والنقلة في
ذلك العهد ، من عنده في شخص حنين بن إسحق ، فأغلب الرأي
أنه من أن مع على ذلك إلا بعد ألف سنة تقريباً في شخص
يعقوب حروف

ولد في حدث بيروت سنة ١٨٥٢ ومضى علومه في المعهد
المشهور اليوم بالجامعة الأميركية في بيروت ، وحسن طبيعته
أرادت أن يعمده بحسن عمله الرفيع ، فمن تفتح ادهن العربي في
أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، بفتح العلوم
العربية الحديثة في التفتح والازدهار ، فالتحت له بعد لتدريس
قصير في صيداء وطرابلس ، أن يدرس العلوم الرياضية فالعلوم
الطبيعية والكيميائية ، فذات انعم العربية وقواعدها في الجامعة
لأميركية خلال إحدى عشرة سنة . فاستكمل بذلك عده
الفكرية ، من اطلاع واسع وفهم دقيق لأصول العلوم الطبيعية

الحديثة ، وطرائق العلم التجريبي ، وقلم مسع في سهولة وإسراع ،
يريد أن يطلع الأساليب العربية وأيسرها في صدر الإسلام .

في الحصة العلمية التي وضعها مشيئة المقتطف وجرب عليها ،
جمعت الحصة الفكرية الموثقة من الشرق حبيب والعرب الحديث .
وقد شر من المقتطف بين سنة ١٨٧٦ و١٨٧٧
يعقوب صروف سنة ١٩٢٧ أكثر من سبعين مجلداً في ما لا يقل
عن خمس إلى ستين ألف صفحة حسب فصولاً مطولة وموجزة
وسبغ وآراء في شتى فروع المعرفة الإنسانية . مجلة المقتطف
كانت ناشراف يعقوب صروف ، وقد تولى فيها من حفاظ العلوم
ومنتخب ذرائع وأبواب العلم والمعرفة والاحتماء ، وما
راحته ودوام على شرفها من أفلام العلماء وأدباء والشعراء ،
فأحد يد المصنفات المعاصرة ، أحد من العلماء والمثقفين
والفلاسفة والأدباء المعاصرين ، روح والدحر والصانع والمدرس
والطالب ورب البيت . فكانت بذلك صلة بين عالم الابداع
الفكري وعالم التطبيق العملي . كانت مرتبة متوسطة بين مباحث
العلماء القوية الدفينة ، ومدارك جمهور الذي يطلب الحقائق
واحدة حالية ، خلاب العقول وسبعها الأقدام . والعلم لا يرتقي
ولا يبدل قطعه من الموع والذبيذ ، ولا يحى الفوائد التي
يجب أن يحى منه إلا إذا اتصلت نتائج المساجد العلمية بمتنصبات

العمراء وتعللت في حاة المرد والمجتمع . لذلك كانت بط
الحقائق العلمية ونشرها لأرمس ككشفاً ونمحيها ، وهذا السط
والشر حاب من المهمة العظيمة التي أحدها المقتطف على عاتقه
عندما عزم صروف وصاحبه فارس مر في ذلك اليوم التاريخي
في بيروت أن يشأ « محلة علمية صاعية » . ولا يسعى إلا النص
بأنه ، « حاول المؤرخ في المستقبل ، أن يكتب تاريخ « النهضة
العربية الحديثة على قاعدتين من الانصاف والتعقيق ، فإنه لن
يعمل ذكر المقتطف وكرر يعقوب صروف الذي اقترن به حتى
أصبح متلارمى . ذلك بأن « النهضة في أمة ما تبدأ أولاً في
صدور النجبة من أبنائها وعقولهم . وأكبر النجبة من أبناء
الشرق العربي من أواخر القرن الماضي إلى أواخر أربع الأول
من هذا القرن ، يشهدون بأن المقتطف كان « معلمهم » ، ومن
هنا أطلق عليه شاعر العراق الفيضوف جميل صدي الرهاوي
وصف « المعلم الثاني » .

هذا العمل النافع ما كان مسطاعاً ، لولا تلك الفعائل الاسامية
في خلق الرجل الذي وقف حياته عليه حب واسع للمعلم
والخير ، ومناصرة لا تسرحي ، وتحقيق وتدقيق لا يجرهم . كما
التسرع في المصلحة ، وإيمان لا ينشئ بقدرة الله العربية وتستقبل
الأمة العربية

والعظمة في الرجال ينظر إليها من ناحيتين : ناحية الدفع
التي تصيبه الأمة التي يسمون اليها وسائر الأمم من بعد ،
وناحية السور والنيل في حياهم الخاصة وعلاقتهم بالأساس

أما الناحية الأولى في حياة يعقوب صروف فتمثلها المكانة
التي طفر بها المقطع وبحرره عند كسر الأمة العربية من
ملوكها وأمرائها إلى وزرائها وعلمائها ، كتابها وشعرائها ، وعند
فريق غير يسير من علماء الغرب ، وما أسدناه كلاهما من يد
إلى تحرير العقول وتثقيفها ببطء الموم الحديثة والملت على الأخذ
بها والنطع بأصولها وبطسق فواعدها وحقائقها وتطويع اللغة
العربية لها ، وذلك في زمن كالـ «الدوب» غامضة على الرواد ،
وحسبي في وصف هذه المكانة أن أشير إلى عبد المقطع الذهبي
الذي أقامه أصل العرب في القاهرة وبيروت سنة ١٩٢٦ ، وإلى
قول أحمد شوقي

مشبا يورني علمها وبيائها فلم نسر الا في شعاع شهاب
وعشائها جبينت عليها معلم نشره أو إمام شهاب

وأما الناحية الأخرى فهي الناحية الدائية ، وقد كان صروف
في مساقه حقبة وإخلاقية مثلاً لمن يقرن العلم بالفضيلة ، فوصفه
الأمير شكيب أرسلان في قوله ، إنه من الرجال الذين لا

أحدهم إلا في الذنوب الأثمة من البشر ، . ثم قال : « ولا شك
أنه إذا كان غنى من أساس متصلاً بغير حق من الملائكة
فيكون مقيماً طيب الذكر في الموضع الأول من الآدميين
الفارطين ، في ذلك الأفق العاني . »

وقد اقتضى صروف أخصان كانت يراها ، ويضعها ، في أنعام
الذي من عديده ، وما كان يعق عليها من أرواح والحمد عشر
معشار ما يعق منها على المحلة التي كان يحيا كوله ولا يها به
عش إلا إذا أم عمله فيها على لوحه لأكن أي في طوقه ،
وأصبح له أن يحفظ على ر - أنها العليمة أرفعه .

وكان مثلاً للتسامح وله في ذلك بودر يحج أن تحري بحري
الأمال ، منها أن حصصاً مشهوراً جاءه - وقد عند الورق
من بحره - يطلب ورقاً لطبع حريده . فلما نزل صروف في
ذلك لم يرد على قوله : « ان جوع عدوك فاطمه و - عطف
فاسقه . . . »

وكان مستقيماً كالرمح لا يحيد عن الصدق في القول والعمل
قيد شعره . جاءه يوماً رجل عزيز عده وطلب منه وساطة عند
كبير على أن لا يعلم الكبير أن هذا ارجس في القاهرة فقال :
« لا أستطيع أن أقول غير الصدق . سافر من القاهرة ثم أرى
ما يمكن ، وأسمعك ما يبر . »

وكان يدع العس لا يأبى من مقابلة أصغر الطلبة ومحدثهم
وإرشادهم وتقسيم درتهم ومناقشتها، وعندى عشرات من الأمثلة
على أحداث أبوه مهين فخرجوا من مكنته وكأهم خارجون
من بين يدي وأند جنوب. وقد حدثني أحد الكتاب المشهورين
بأنه رأى، وهو شاب، ما حدث على بعض ما نشر في المقتطف
وذهب إلى مقابلة الدكتور صروف وهو يقدم رجلاً ويؤخر
آخرى، فأحسن وفادته وهن فده وشده، فكان ذلك الحافز
الأول الذي دفع صاحبنا إلى المضي في الكتابة وهو اليوم من
أعلامه. وكان التي العس لا يرضى عن لاءه وكرامة مدينا
جاءه مدير عماله يوماً وهو، إراحته فلان في القصبة العلانية
فقد بوفر ملعاً لا يسهان به فقال: أحسن أن لا تيب عنه
ما يرضي. كام الحارة المصدرة لتكن من حساب مما
خسرنا أو كسبنا.

وكان وطنياً صادق العقيدة، سترك في شبابه في الجمعية
العروة الشورة الأولى في لبنان، وكانت من أشد أعصابها
حماسة، ولكنه لم شتم فيما بعد، ليامه لأنه كان مؤمب بأن
نشر العلم هو في ميزان الوصية كاشتغال بالسياسة على الألف.
ويقيني أنه عاش حمساً وسبعين سنة لم يأت يثقة وهو يعلم أنه
ثم، ولم يصرة احداً وهو يعلم أنه يصير، يدل حياته كلها للحير

الخاص والخير العام فكانت في عصره من طلائع الفكر العربي
 الحديث ورواده . وقد أحنت محطة الشرق الأدي للدعاة
 العربية بما تبذله من عناية برجال الدين طبعوا عصرهم وبشئتهم
 بطابع علمهم وفضلهم ، فذكرى العاميين المنعم هي اندليل على
 أن العلم والفضيلة إذا اجتمعا في رجل ، فالزمان لن يسح على
 اسمه أو فضله حيوط النسيان . وفي هذا عزة لنا نحن أبناء هذا
 العصر الذي يكاد يكون مضروعا بمجنون السرعة والشر المعجل .
 إن طريق الخلاص إنما هو في العودة إلى المصائل الأساسية التي
 أثبتت تجارب البشر خلال آلاف السنين أنها هي الأشياء حاقبة .

مَنَى والمقتطف

لقينها أول ما لقينها في دارها في القاهرة في أواخر صيف
١٩٢١ ، فقد ذهب إلى القاهرة زلماً يومئذ ، لقضاء أسبوعين
فيها ، وولت صيفاً على عمي الدكتور بمقرب صروف محرو
المقتطف وأحد صاحبيه ، وكان مقوله يومئذ في شقه في شارع عماد
الدين . وكانت الصلة الأدبية بين هذه الأديبة المقربة الناشئة
والفيسوف الشيخ ، قد أحدثت تتويقاً ، وكان يرعى انتقاها من
الكتابة باللغة الفرنسية إلى الكتابة باللغة العربية ، أدق رعاية
شأنه في ذلك شأن كبار الأدباء والشعراء في ذلك العصر كإسماعيل

مقال نشر في مجلة «الحكمة» سنة ١٩٥٣

صري لشاعر ، وأحد لظمى السيد الصلوف ، وكانت معجبا
 بدهها الموهبة وإطلاعا الواسع ودأبا على المتابعة المجده في
 كتب صنعت ملحات شتى . فلم يكدر يستقر في انفسهم في دره
 حتى قال : ينبغي أن يكون الأتية دمي . . فسرى هذا
 « الاسماء » . وقد جلست يومئذ مع الشيخ ندي أناس في ان
 اتعلم ، وبين هذه الأديبه التي أحدها الامع يرمع في سماه
 أدب العربي ، ثم تأتي بعد ما كتبت في المقتطف خلال السنة
 السابقة من حصول عن «باحثه البادية» . وقد حميت هذه العنود
 في كتاب ، ووضع « أنكور حروف مقدمه قال
 فيها ما مضى » . إنه فتح جديد في ميدان النقد الأدبي بالغة
 معرفيه ويرى أديب الكبير الأستاذ عيسى محمود القعد أن
 كتب « باحثه الأدبه » مثل كبير حارس من مكبرها . وقد
 أحسن البروعه في تلك الحله روعه حكمه المدهة في كلام
 الشيخ روعه التدوي في حديثه الأديبه ، هم أهل شتى سوى
 الرد على سؤال أو آخر متعلق ب نفسه من علوم وما كتب
 أولاه من عن ، وهو يومئذ عمل بصر على مدرسة ثانويه في سوق
 العرب ، ومدرس فيها .

ولم أرها حتى كان صيف السنة التالية .

فقد جاءت مي مع والدتها الى لبنان في صيف السنة ١٩٢٢

لقضاء أشهر فيه ، وكانت شهرتها قد سبقها ، فلفتت من التكرم
 ما لم يلق مثله ذيب عربي من من ، ورتة من بعد ، ورتل
 بضعة أيام في فندق في أطراف مدينة سوق العرب ، من ناحية
 عبيه ، وكان من أهل سوق العرب في النصف ، العلامة خير
 صومند ، أحد اللحن العرب في جامعة بيروت الأثير كفة ، وقد
 من به ودرس به درأ مصطفى عني ربه في أعالي الصبغة طل
 من ناحية على الحاصل واذنوه الرنعة الترامة إلى أطوب
 العربي ، ومن ناحية على ساحل البحر إلى العرب والشمال .

كان الأستاذ صومند ، تلميذ في مصر ، ولد كسور يعقوب
 سروف ، وكان به من أنماه حب التلميد واحترامه ، وكانت
 لديها مرادلات كثيرة ، شر بعضها في النصف ، وكان الأستاذ
 يفر المفضل قراه عدم مشعر ، وسأشهد بعض ما يرفقه فيه ،
 في أصول الديانة والنبأ في جامعة أدمو كفة ، وشأه مند
 ان بدأت من مشر فيه حضوره في واحدة الدرس ، عذاب عصم
 بعض دأنية وهم في وقت على سوق العرب ، دعاها إلى
 اجتماع صغير ، حول مدة للشاي في داره ، وكتب من الدرس دعوا
 فيه ، وكلفني أن أصحبها ووالديا من البرل في داره . وم يكن
 يستقر ما انقام حتى أحد الأستاذ صيفته للكرامة إلى حافة الطح
 انسلط أمامه ، وروى يده نساته التي المشهورة عند

الدين تلقوا العلم عليه ، وجعل بشر إلى ما به المشاهد الطسعة
 التي نطن عليها دور . وكنت قد أعددت حطة قصيرة - عى
 العادة المألوفة يومئذ - للترحب بها ، فالفيت بعد أن رحت بها
 أستاذي صاحب الدعوة . وقد أعدت النص في هذه الخطبة مد
 عهد قريب ، فرائها كتمريبات **الانشاء** التي يحاولها طلاب
 امدارس ، ولكها كانت نصف شيء واحد نصه وقع من
 نص مي يومئذ أحسن موقع ، فقد صممتها **رأه** وعبارات
 تختيرتها من مطالعة دقيقة لكتبتها ومقالاتها المنشورة ، فكان
 الخطبة نفسها على ما فيها من ركائز ، منصبة أحسن تحية بوحه
 الى أديب نجبه الاطلاع على آثاره .

وقد سافرت الى مصر في حريف تلك السنة ، فزلتها من
 أهل وأخوان في الصحافة وأدب ، وظلت مي في لبنان تضعه
 شهر بعد ذلك ، تلقى من التكرم ما تلقى ، وتبع مكرمها
 مخطبت بدعت الأوج في علو الفكر وصحو العاطفة وحسن التعبير .

خلال السنوات الخمس الى قصير ، في المقتطف معاوب
 للدكتور حروف في تحريره قبل أن أخطفته امية في نور ١٩٢٧ ،
 كانت الصلة بيد المقتطف ومي أوثق ما تكون صلة . وكنت
 أزورها مع من يزورها من الأدباء في أم استقالها ، ولا ينقصي
 عني من ادهن الحاضر والعلم الواسع والحديث المؤدب المتدفق

والبراعة في توجيه أنه مافشه ندور . وكانت نكتب له مقتطف
كداها من قبل ، مقالات معصلة بعضها عن بعض ، فيها شاعرية
أو نقد ، ولكن الذي أكرهه فيها هي تلك المقالات التي كتبها
بمنوان « المساواة » وعصت فيها بأسلوب يصح « لفهم الدقيق
والاستشهاد بالسوابق القدم والحديث ، أصول المذاهب الاجتماعية
والاقتصادية ، مينة ما لها وما عيبها من الاستدلال
الديمقراطية إلى الاشتراكية إلى الشيوعية وغيرها . وكانت تحي
أمامها نطالع المطولات والأصول - فقد قرأت كتاب « داس
كاييتار » لكارل ماركس الألمانية وذكر في موضوع مقالها
الثاني ، حتى إذا جاء موعده ، سهرت ليلتها مكتبة على كتابته ،
فإذا أصبح الصباح ، كان المقال في المقتطف ، على ورق جميل
يخوف به طائف رقيق من أوثنتها ، ويخط عربي جميل أميل
إلى الخط الفارسي . حتى إذا صدت حروف المقالة ، وصححت
بجرسها الأولى ، أرسلت إليها التحفة مع الأصول ، فتصنع
الأوى وتردها ، وتحتفظ بالثانية .

وكتب هذه المقالات على وجه خاص ، وغيرها على وجه
عام ، موضوع مراسلات أدبية مسببة بين الدكتور صروف
ومي ، يتبادلان فيها ما نقد له المقالات من مطرح الرأي بين
محلفه وموافقة وإسناد وقد قرأت بعض هذه الرسائل يومئذ ،

وفي ظلي أنها لو أُنشج ما أُنشج ، لكأن في مجموعها من خير ما
 كنه حروف ومي وخص في رسائلها إلى عد رُؤف ، إليها بعد
 وفاء أسواق ، وكانت صبي أنها مع رسائلها بمجموعة في
 طرف ، عهد به مع مراسلات الأخرى فيها أص ، أو الصون
 الحسن بعد وفاء ، وذا أعمر أن هي اليوم . ويقول الأستاذ
 عفا في رسائلها جميعا : « لهذه الرسائل شأن عظيم لأهلها و
 جمع وطبع لكاتب كفة أدبه ورائعة »

وعد كان في قطب الجمعية الكريمة إلى جمع دقة ،
 حسن سنة على إنشاء المقاطع ، بعد اختراع في دارها بلسية لسورة
 نحو ثلاث حبات رادياً وشاعراً ووروراً للشعور به ، وفي
 طابعهم أقتضت القيم والفكر في ذلك العهد .

وفد احتيرت في مية سر اللحن ، فوقع غيبها غيبه العمل
 هم سر ما هم ، ورحى النكاح فؤاد أدون فوضع استعده لم

١ رئيس هذه الاحاد ، فوقع رسم الاحاد
 ثمة ، وحمد اعظمي سيد ث ، وحمد سوي (بك) والسيد محمد
 رشيد رسم وسمح مصفى عبد الرزاق والذكور محمد حسن هكس
 والطوب الخس ث) والاسد محمد صادق عمر والاسد محمد محمود العباد
 والذكور محمد حسن والاسد ابراهيم محمد تقدر المارب والاسد تقولا حداد
 والاسد سامي حريدي والاسد محمد بطر والاسد حداثي السكري
 والاسد شون اساجوه والاسد دحار خلاد واسكر نيرة مي رابه

رعايته ، وأوفد إليها رئيس الديارن الملكي العايد دونه محمد
توفيق نيم مندوباً عنه لحضورها .

فلما اكتمل عهد الدعوة في مساء ٣٠ أبريل ١٩٢٦ كانت
من امراته بـ حيدة إلى حسب على السر مع أعضاء اللجنة وخطباء
الحققة وشعرانها ورحلى المحلة ولم تحضر الحققة يومئذ لأنني تدبت
أخيه إلى بيروت فأمثل المقتطف وحاضره في حقلة صغيرة
قيمت في اليوم نفسه في جامعة بيروت الأميركية .
انصرفت أدور . ولكن في بي بعيد عودى أن مباكاس
تسعى رضى وعذبة .
بـ الحقة من توفيق .

فلما بولت رسالة تحرير المقتطف بعد وفاة محرره واحد
مشتبه ، حدث أن اتخرج في حقه بالكتاب على سبع ثمانين
الخرقة اسمه في تحرير المحلات في العرب من حسب تقدير
مكافاه على كل مقال . ولم أوفق فيما ردت ، لصيق مؤبنة
الحقة يومئذ ، ولكنني أدركت في حقه اسمه الأولى
سنة ١٩٢٨ على سب وقر من باب لا حق ما تيسر ،
ورسنت إلى مي بحولاً لملع بسر ، و ربه في كتاب قلت

١ كتاب حقه رسالة الرئيس مردود تودع وادع من حقه حقه
صوره ، ونولس الحوب وداود مرص ، و سس الحوري المقدسي ، وسنك
ابو عر الدين ، وكاز هذه صورة

فيه ان هذا التحويل ليس سوى عربون لتقدير المقطع وشكره ،
 مردت التحويل في رسالة نصيصة صرفاً ولطفاً قالت فيها ، قببت
 التحويل وما يطوي فيه من معزى ، واحتفظت بانعري وحوال
 التحويل الى امك فأرجو ان تقبل هذه مني لك ولعروسك .

وقد كان آخر عهد المقطع عدلانيا ، في الصب الأول من
 سنة ١٩٣٥ ، فأنشأت سلسلة من الفصول عن طائفة من أدباء
 «عرب المعاصرين - بيراد للو ، اوانامور ، دوديه - وكانت
 تبدأ في هذه المقالات انت ذهبها بدنيته ، في الغناء بالاهيات
 الغناء على طائفة من أدباء ورد ولعل الامتزاز في ذلك الانجاء
 كان طليعة من صلاخ من أحبا بعد قليل .

وكان آخر عهد المقطع لها بحارات من مي ، شررتها ،
 في عددي نوفمبر وديسمبر ١٩٤١ عند صلت ملا من مرض
 طويل بالنعوذ يوم وهتا فلم أمش وراه بعشها . وفي عدد يناير
 سنة ١٩٤٢ نشرت في المقطع ما يقوم بكتاب كامل عن مي ،
 ضم بين دفتيه تسعة حاديت عنها ، أدارها الأستاذ محمد عبد
 الحمي حسن تصليف من المقطع ، مع مصطفى عبد الرزاق
 (باشا) ، هدى هاشم شعراوي ، الدكتور طه حسين (بك) ،
 الأستاذ عباس محمود العقاد ، السيدة امي حير ، الأستاذ انطون
 الجليل (بك) ، الدكتور منصور فهمي (بك) . أما الأستاذ محمد

عبد العلي حسن نفسه فأدار حديثه مع من ، مستخرجا آراءها
ويطراها من رسائله وكتبها . وقد توسع الأستاذ المؤلف بعد
ذلك في هذه الرسائل واصف فيها واصدرها في كتاب على
حدة فأحسن .

اطال الله عمر الأحياء من ذكرت ، ورحم الذين ذهبوا إلى
لقاء ربهم رحمة واسعة وفضل يذكر أديهم وفضلهم

يومان وشاعر

لست أحسى منكرأ أو معالياً ، فب ب الحقة شاعر
عربي فصي صف قرن أو يزيد وه يشدو ، هو حدث حبيب
أفدر عصم الدلالة من أحداث أدب في العام العربي بل من
أحداث البقعة العربية كلها . فقد عاصر هذا شاعر بقعة العرب
في عنفوانها وعبة من النبع الأدبي الذي أخرى في عروها سوره
البعث ، وعرف رجالها ، وحاس عماره ، وشارك في ذلك كله
نظمه دق عنب حبيب ، فكان لها على الأسم لسأ ينقى
أحياناً ، ويناسي آجوب ، ويبدو أو يرشد آجيب . فهو من

جنبه الفقت في ، به تكميم حبيب مصراف في فندك شهر ١٩٤٧

فروغ متطوّه من الأدب العربي ، وقد احتشدت لتتفحص
انتفص العث في نصف قرن ، وهو رائد فروغ من آمال
ومى لا زال في صير امتس ، ولكنها احتشدت أيضاً لتولد
في نصف قرن ، هذا الصدر العجيب الذي وحده شعر عنه بقوله

انه في صدر وهي وتقوم منه انصام
حاو كحرف العرب : لؤذ اتارو والظلام

قد استوى على صوف اءاص ومى السس جميعاً ، وما
تصرت في قصره الدمة غارها من حيله أحججه ومن ماء فورة ،
وإذا كثير منها في سم الحاة شعر حلد .

بى سع رأس العى في بعدث ، وأعمده هيكى شس في
فنتها ، رأت نور الحبة أول ما رنه . هذه الفط = المقربة
الشعرة . وإذا ها من ذلك السع رفرقاق صفاء هو في انفس
صدق سريرة . وإذا هـ من يدفقه امادى من خوف الارض
ومن روعه نك الاعمدة الخار ، غرمة الحار ولكن يعير صلصه
الحديد . ثم ترمعت هذه الفطره بين دولي الكرم على مكى
« حارة ارادي ، فعدت فيها أحلام الشباب وآرهار العقل ،
فرقصت وشدت ، ثم تدعب أشدها في بيروت من فون لسان
العدق ، وصعجه البحر الذي هرم الزمر ولم يهرم وهذاك

تربس ول ما تربس صورة الصراع الدائر ارجى يومئذ ،
الى النفس العربية المستعنة من طوار التراث المتروكة ، انصلعه
الى الحق والحربة ، وبين قوئ الصم والحدود التي تحاول أن تلزمها
الزعم . سمئدت رحها الى العرب ، الى باريس التي كانت
يومئذ مؤثلا لفة من حرار العرب . فلم تكذب نفسها بترحل ،
حتى وقفت بحري حيل حرار حطير . ولكن حينها لم تنض .
ومر . هي إلا هبة من الزمن ، دنت فيها عذاب الصبح
المضى ، حتى حرمها نرها على . ببحار . وقد كانت بحيرة
فيها بأحد وفيها تدع . انعرب كما كانت سوي اب تفعل ، الى
حيث يكمن هب النفس الزعد والراحة . انزاه ، أم تشرق
فتعود الى ميدان النضال . وليس في عوده من شيء مكفول
سوي شائد النضال وآلامه . ولكن نضع دلائل على الحير
المركب في هذه الفطرة ، وعلى قوة المي الى التي كانت تحسح النفس
العربية في ذلك الحين ، ن فطرة الخليل احسارت أن تشرق ،
مؤثرة عمرة الجهد والكفاح ، على أقباء الثروة والراحة . وكذلك
بب " النفس وهوي باريس ، ونرم أن يعود الى مصر . مشيخ
بوجهه عن الشق العربي من ككرة الارض . فلم يكذب نفسا أرضها ،
ويحس " بعق الدرع بحري في عروقه مرة أخرى . حتى انضمت
فصره الشاعر على سسها ، وبها الآثار المنصوبة فيها من بعاء
وؤجلة ويبروت ، قد أحدث تنازع هب ونشد من أروها آثار

المجد المصري الرافي لى نور الخمره والكرامة ، وآثار استهاد
العربي المشوق لى بحث يعبد حجر المأمون وهروب الرشيد ،
وآثار حضارات القديمة ، التى هدمت فى عهد الرادي آبه مخلو
أمرار التاريخ السبع بالحلة المحددة على الدهور .

وعلى أن حليل مصر ان كان صحيح مذهب ، فى العهد الذى
من سبي حياته ، وعلى أنه اشعل بثقوت المال والاقتصاد
والزراعة ، وب قصرة الشعر العصري فيه وهب مرد اخرى ،
كما وقف فى باريس من قبل ، حيل فرار حصو : أعص قبلها
فى الشعر أن تحري الفحول من شعراء العربيه أم تحس قلبه أن
تسئل حيو ما جاء ، الفحول ، ثم انت تعلق فى افاق الحياة
الرحيبه ، حتى تسمح للشعر العربي ابواب الأرب بعالمى ، بأحد
مه ويعطيه سواء بسواء؟ وفي البيان الموحى ادي صدر به الحليل
« ديوان الحليل » ، قال :

« عدت اليه وقد صحح الفكر واستتب لي طريقه في كيف
ينبغي أن يكون الشعر فعملت أنضه لتربيه نفسى حيث بحلى ،
أو لتربيه قومي عند وهوع الحوادث الجلى ، مذبذب عرب
الجاهلية في بحرارة الصيوع على هواء ... موافقاً زمانى فيما
يمضيه من اخرقة على الالفاظ والتراكيب ... ذلك مع
الاحتفاظ جهدي باصول اللغة وعدم التعريط في شيء منها إلا

أن يحاربهم . ولو فعل لكان طبعاً نت يستقيم له في بعض
الأعراض قصائد و مقاطع من قصائد تعد في الطبقة الأولى ،
ولكنه اختار أن ينظم شعراً ، ليس ناصبه بعده ، ، على ما
يقول ، وأن يفتح للشعر العربي باب المنسل حتى يكون شعر
لحياة وحياة والحب معاً ، وإداهو غنا قد اختار ، وقد
له من مجد الرواد ومن الأقدام على الجهد برفع الستار عن
ما كسب .

ولو طلب المال في العرب ، وروى ما طلب ، لكان في
وسع العلم ببلده ما أنه . ولو سعى وراء المتعة في الشرق
أو في العرب ، وبالطبع ، لكان بين المتعة كفيلاً في حد ذاته
بالتجسس . ولو حاول أن يحاري الفحول واستقام له ما يريد ،
لما خرج عن أن يكون واحد من عشرات أو من مئات ،
يحيدو حدودهم ويحاري على عراهم . ولكنه في كل هذا ،
وإذا ركب النفس مر كماً حشاً صعب المراس ، ولو هو لم يفعل
سوي أن يحرم امرء على هذا الإحباط في كلا الحالتين ، ولو هو
لم توتره قصرته أشعة حسنه على أيت وروثع ، لكان حسبه
فجراً أنه اختار كبح حماره في وسع أحد أن يسلمه فصل
ما فعل .

ولذلك حين عود إلى ورق ديوان الحسن ، الي بيت بين

يدي مند بدت ظالمها منذ ربع قرن أو أكثر ، وقرأ فيها
في قصيدة « المساء » .

عمرين إليك أضع ، لو صفتي لم يجدوا تناسفي وبكائي
عمر الفتي الفاني ، وعمر محمد بناسه لولاك في الأحياء
بعدت لم نعم كذبي جهل ، ولم غم كدي عن صواب بناء
أقول : ليس هذا المهرجان الذي حفت به العربية إليك ،
ولا هذا الكريم السامي الذي أوسع عليك ، سوى أنه من
آيات البناء التي كتبت لشعرك ما دام في الدنيا عرب يتلوث
سورة أو يتزعمون بصيد .

والشعر سلم يرتقي السمع عليه من القريب إلى البعيد ، ومن
المدرسة إلى الحضي ، ومن الحياة التي أسدل على وجهها برقع
كثيف ، إلى الحياة في جوهرها المطبق لرحب المنبسط أمام
وجه الشمس . والشعر يضع له هذا السهم من حبال يرى ما
لا يرى ، وهو بحر بحس ما لا يحس ، ويصغر يدرك الحبيب
المستقر وراء طواهر الأشباه . وأنت تقف على جنب الشاعر
فلا ترى مأساة انهور في الورد الدائلة ، ولا حراع حقيقة أو
الظلم أو نصيلة ، في سيرة الرجل المسحى أو الحبيب المحض أو
الشمس العارية ، ولا الآمال والى التي تموج في صدور حلائق
هي « عد الرمال » . حتى إذا نطق الشاعر ريت بعينه ، وسمعت

ماده وأدرك بعضه ، وإد تار من الاشارة اسدله على
روائع الكون ومعجرات الحاة ، قد رفع قليلاً فرأيت مشهداً
يعتى الالاب ، وألف حياء بدبك قبلاً من فهم الحقيقة .

وشعر الخيال حوس بآدت رائقة على هذه الاغراض التي
يشده الشعر ، وذات من يعتبها العلوقة إلا لكارهم : -

ليس الكعبه لعش صب كل من شق عليه العيش حرا

*

ليه السلام اي حلاقه رسيه

يعلم ما حلالها سار صعبات

الار اسوع ورد في محال على

من بارد بعش في اعياء فين

*

ولكن قوما يدودون عن حبيهم من يد المتدي
ويدهم حب وطيبه وجميعهم شرف المقدمه
لواوت مداهلهم يد رذوه عنهم كليين اليد
من على حين وقد عاش الكرام ونحن لم
فادا اعتت حالها من الرقاد الى العدم
ورد بعث بعدما صكها رؤيا حلم

*

لا يعصم الامم الضعيفة فطرة ، لا فتن بالجارح مك
فتكون حائطها المنع على العدى
وتصكون قوتها ي لا تعلق

*

وم ان شيئاً كالمصيبة تنشا بعبء آفات البلى والمعاطب

*

للعروب وم نه من عورة المستهام ، وعورة البرائي
أو ليس نزعاً للهار وجرعه للشمس من حارة الأصواء
أو ليس طمساً لليقين ومعنا لثبث بين علائق الظلم
أو ليس محواً للوجود ومدى وهدفة لمعلم الأشياء
حتى يكون النور مخدبداً لها ويكون شبه اليمث عود دكا

*

وكم في فؤادي من حراح نجبه بحصها مرداي عن عين اسام
أرى روضه ، لكها روضة دوت
وأصغر وم في مسامي غير وسواس
وأصغر من حولي مشاة وركب

على مزجحات من دحان وأفراس
كأنني في رؤه يزف الأسي ما
طوائف حس في مواكب أعراس

أنا الأسد المياكي أنا جبل الامى
أنا الرمس مسمى دائماً فوق أرماس

*

وإلى ذلك صوته كان هم الشاعر في يد الخليل زمزماً يرفع
عنه الحان الوفاء من برح من لدائه ، حتى صار ديوان مرثيه
صعقة مشرقة في تاريخ هذه الحقبة الحافلة بالعظماء .

على نبي أحسن أبي الطمك أيا الخليل ، حين أقسم وأبواب
وأنت من شعرك أبحاث من هنا ، وأبحاث من هناك ، فما كان
بيد في صيدك عنة تحذو إليها ركائز ، ولا كانت المعنى في
شعرك معقلاً عن المعنى العام الذي يضم الحياة كلها . ولكن
ما حيدني ' فلا بد لي من شيء كالوشور يحل ذلك الضياء المتوهج
المسبب من فطرة عفره شاعره ، ما زال منها يعبر العالم
العربي مد نصف قرن أو يزيد .

« معاً أيا الخليل ، مد الله في عمرك ، من جديدك ، أو
أشتر علينا من هفتك شعراً يسوي به فوق دوايا صغيرة إلى
مساح البجوم .

« تأله ما ظلل للعمام معاقل
تألى عيبك ، ولا النجوم حصون ،

الحياة والجبل

نحن هنا اليوم لكرم ذكرى رجل من راجير الكرماء ،
 ولا أقول لحبيبها ، ولو لم يكن هذا الرجل قد وهب من ذاته
 نفسه للحياة واسمائه ، وهب ، غير ذلك ولا يسك ، ولو لم
 يكن قد صنع بيده وأقامه ما صنع ، لما كان هذا الاجتماع ،
 ولا غيره مثله ، عملاً بكم نحن نقف ذكره حية على الأرض .
 فهو الذي نقش اسمه بيده ، على صفحة الدهر ، وليس في وسع
 أحد من الناس أن يسع عليه فضلاً ، يؤنه ولا أن يسفه فضلاً ،
 آتاه إلهه ربه ونحن لا نجتمع لكرم ذكره ، لكرم أيضاً ،

حظية في عطفه لكرم ذكرى القس خابروس سيدة ، حرج (أب) (أب) ١٩٥٣

أعسا ، على مقدار الخير الذي تركه في كل ما ، وحسبنا ان
يكون فيها نفس من الصياء الذي أطلقه على طريق الحياة ، هذا
نحن بما فبسا ، أفضل ناساً ، وأدنى إلى الخير .

وهو عرفت رجلاً يصدق عليهم وصف الأخبار ، أو وصف
العظماء ، بحلول الحياة نديسا في حوارهم ، ونصبح بحكمتهم ،
وتعدو الحياة الاحرة في حوار الحق الأعلى ، أدنى ، لا لأهم
عاشوا . وقد كانت معهم واحدة منهم ، ولكن اثره يدق
عن الوصف ويتعدى الورق والتقدير .

فقد مهد رجال العلم إلى أدق التوسلات ، وأروع الحيل ، ووزن
ادشياء وقياسها ، وقد حسوا أنماذ الكواكب والدم ،
وأجرامها ، في رحاب الفضاء ، وتعلموا في ادحام المناهبة في
الصغر ، ورزق النحلة الكهربائية على الكهيز ، واماوجة المارقة
من الاشعة الخفي ، ولم يتوكلوا على الكهيز الذي يدق عن
بصر العين والسدم الحار الذي ينادى عنها ويعور ، حسا لم
يربوه أو يجددوا أنماذه ، ولكن من مسك يستطيع أن يدلى ،
على علم يرم أنه يستطيع أن يقين اثر معلم في نفس طالب ، و
أثر رجل خبير في نفس جماعة ؟ .

وقد كان النفس طابوس سعد معلماً ، وما شرفه من لقب ،
وكان رجلاً خبيراً ، وأكرم به من وصف . لم يبل من جامعة

رقة علمه عالية ، ولا شهادة نعيم ، ولا درس مبيا عم ، أو
مند عهدي هذه السكينة ، على دقل ، ولكنه مع ذلك لم يكف
عن البناء للتعليم مادة ومعنى ، مدت أحد الحجر الأول يديه ،
الى أن استرحب أنامله ، وحدث عساه .

ذكره يوم كنت حلياً وهو في دروة رحوله ، ثم أذكره
زائراً أو حياً في بيته ~~الحجر~~ ، وهو يرد عودي الرمن سبة
وارادة كأنهم هنا من الحجر ، لأعل أو لحديد الصلب ، فأراه
يعود مع حجر ، إلى حيث يقبب له أنثى يعور ، في نوب لا
تخصك معرفته ، بعد أن تراه مرة واحدة ، وإذا هو يحيي
ليرفع عن الأرض حجراً ملفى على سطحها ، فقد كانت يسوءه
ويؤلمه أن يرى حجراً مهلاً ، وإذا هو يجمع في جدار أو فوق
جدار . وترقد ذاك في أي بيت لا يراه أيضاً وقد وقف
منتصب قامه ، مرفوع الرأس يستقر وجه الصباح ، نظرة أو
بشارة من جمع أو غصا ، فإرا في النشرة أو في الإشارة أمر
أو رشاد ، وإرا الفهم يعومون جداراً متداعياً هنا ، أو يرمون
مبنى هناك ، أو يجفرون حندق لتضعوا في حروف الأرض دعائم
بهاء جديد . ويوم يكن الساء شهوة وانما ودستورا في نفسه
لما سم له في السجن الي عاشب ، وحدة الرسائل القليلة الي بين
يديه ، أن يبني ما يرى . وقد فعل ذلك وحده ، لم يكن له سد
من مجلس همه المال أو بجمعه له ، ولم يكن عنده نزوة خاصة

موروثه أو مصنوعه يقفها على الساء الذي شعف به ، وهرع له ،
وحل أبداً بحمة اهـ - ادي تعلق به عساه في الصباح ، وتمفوه
أنفسه في لسه ، ويشعل دمه في هدأة اللل ، حتى لكأن البناء
كان فطرة فيه ورسالة له في آ .

ولو كان من غير الصية الي جبل منها ، أغلبه القسوط ، غير
مرة ، ولكن اتماه بأن الماهة الي وقف عنه عسا ، هي صفة
حيرة ويسعي ن يدي ، حمده بعاب الحينة بالمرعة والصو ،
والنيس بالرحاء ، والقله بالعد والخرن وحسن التدبير ، وإذا
هو بجلف للباب ، والامة العربية من حورايه - ولا نقول لأحي
شارل وسرته . معهداً أوثق اليوم على السعد من حياته
المباركة ، ومن حسن حفظنا أنت شمرارة من شهوة البناء التي
ركبت في قصره ، قد سرت منه من عس انه وحلفه ، فإذا
هو بناء أيضاً ، وإن كان الله على حساب راحته وخزائنه .

لب أدري أكان معلماً يعرف حكمة الصيغة للأثورة ،
الي تقول ، من اراد أن ينقل الحن ، فعليه أن ينقل الحصى
الصغير . وانمكن حبه كات ولا ريب ديلا قائم متصلاً على
صحتها ، فكأنه تلفاف واعنا أو غير واع ، من معر الحكمة
الأعلى ، بيد أنه عكس آيتها ، فلم يحاول أن ينقل حبلاً من
حصاه ، حصاة حصاة ، وكفه عمر حبلاً بنبيل الحصى ، وهذا

عمري هو أشق عملاً وأصعب أثراً واحدى .

وقد علمت أن مريدته وتلاميذه يريدون أن يصنعوا به نقلاً ،
ويصرفني أنهم فعلوا ، ويشرفني أن أسام فيا يريدون ، فعلمهم
يدكر أساء الأحيال ، سية بأن لأهل القصر كرامة عدهم ،
فقد علمهم هذا ، واكتفى مع ذلك أحب أن أظن أن هذا الحبل
الذي عمره ، هو منه المدي الأتقى ، فعلى حوزته من أدبه ،
وقصرات حسنه ، ونفت أفعاله ، وفي حشاه اليوم تراب من
تراشه .

بيد أن القصر طيوس سعد ، لم يكن يسي الدور ، لأنه
يجب أن يتمتع النظر بترآه ، ولأنه كان يؤثر في عيون بعينه ،
أو أروحه ، أو لأسرته ، أو لغيره إلى ما فعلت ، هذا كله
ملك لك ما عسى ، أو لك ما أمه زاد ، أو لكم يا أبائي ، بل كان
يسمى لامة يريد بها مستأضي أعني وأشرف وأعم ، هو أن
يسو فيه النفوس العفة ، والعقول الشوق ، حتى إذا خرجت
من المنهج ، كات بعوس رجال ونساء ، يسون للحير والوطن
كأسي هو ، كل مني حسب قدره ورعيته بهذه دور ، لم
سكن عده عرجاً في حد ذاتها ، ولو كانت لشاها واحدة
وحسب ، ولجعلها أدنى إلى القصور . وهذا الذي يتم في اليوم ،
ويصير في هذا الحشد الكريم الذي اجتمع حول ذكره ، أو

يراجع كشوف الرجال والنداء الذي مهت به نصوصهم وعقودهم
 هذا ، ولا يقول إنه قد من فأعلى في الحايين ، وإذا كانت أبو
 الطيب قد قال في سيف الدولة الحمداني : بناها فأعلى والقنا
 يفرح القاء ، فاعلم اليوم بحق له ان يقول في معلنا ، بناها فأعلى
 والعقول تقوع العقول ، على سندان الخبيثة ، ما ه فأعلى والعوس
 تهر النفوس تبسم الخير ، ولعصري ليس في الدب . كرى أشرف
 وأتمى من . كرى رحن ، يذهب هو ، ونصفي هي بتقن . حرة
 الوجه من جبين إلى حبل .



روي ان الأصمعي رأى أنعماء يرمي شاة ، فقال : . . .
 العرب ، لمن هذه الشاة ، فقال : هي لله عدي .
 احب شاول ، . . . ان له ان ، . . . العرب ، والله عليك ،
 من قول الأصمعي : هذا المعبود هو لله عدي

مكتبة ورجيل

بعد تطويع دام ثمانين سنة أو نحوها ، استقر المقام بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، فألفت عشاها عند سنة ونصف سنة أو أكثر قبلاً في دارها العجمة الجديدة التي تبرعت بشفقة تشييدها ، أسرة المرحوم نعمه شديد ماتت - أو ملته وأبناؤه ، بحبيداً لذكر رجل كان من أبناء تلك الأقداد ، ومن رجال العام المعدودين في العمل والصناعة .

تقع الدار الجديدة ، إلى الشمال من مبنى الكلية ، (كوليدج هول) أقدم المبانى على أرض الجامعة ، وأعرفها ، وأعمقها أثراً

مقال نشر في صحيفة « الديار » في بيروت

في نفوس أجيال متلاحقة من إبانها وخرابيتها . ولا يفصل
الدارين سوى صحن مرصوف بالحجر ، هذه ، ثمرات مسدرة
غرست فيها أشجار يرحى أن تصبح من البواقي .

وهذا الحوار بين المتي القدم ، والدار الجديدة ، هو في
ظري رمز بارع إلى التندم المطرد ، والبعد الذي لا يكف ،
في روح الجامعة ووسائلها . وهو حوار ترضى عنه نفس معه
هفت ، لأنه في المبنى الدم تلقى علومه في الجامعة قبل أن
يتخرج منها سنة ١٨٨٢ ، ولو أطلب روحه اليوم من النواهد
لتي كان يطل منها على البحر ، لرات بها وبس البحر ، هذه
الدار التي مجد فيها طلاب اليوم ، جلساء لا يمل حديثهم ، على
قول الشاعر العربي ، ودنا فانة بنفسها يقبل فيها العقل المتفتح
على مواكب الانسانية ، وقد لبست من النثر والشعر والمنطق
والجربة والاستفراء حلل الجلال الأسى . ألم يقل شكسبير على
لأن أحد أبطاله : « هذه مكتبي وأنة دوقية تساريا ، ؟ وفي
وسع كل طالب من طلاب الجامعة اليوم ، وكل أستاذ من
أساتذتها ، وكل رائد من روادها أن يقول مع بطل شكسبير
« بفضل نعمة يافت والجامعة هذه مكتبي وأنة بملكه تساريا ، »

وقصة معه شديد نافت ، هي في حد ذاتها . ا من القصص
الرائع الذي ينبغي أن يتداوله أبناء معاهد العلم في لبنان ،

ليستخذوا منه مثلاً يأتى في اهمة العالمة والاحتهاد الذى لا يقترء
والاستقامة التى لا تحرف . وعلى أن يتصدى مؤلف من
مؤلفينا فيكتب سيره ، لتسمع بها الأجيال الطالعة ، كما انتفع
هو . على ما روى الدكتور سعيد أبو حمرة - من سير رجال
المال والأعمال التى نشرت في « المقتطف » ، وكتاب « سر
السياح » .

هبط معه نافت الجامعة من قرية النور ، ونخرج منها ، ثم
درس في مدارس لبنان - مدونة « الثلاثة الأقطار » - والف
في علم الحساب ، وأذكر أن عمي يعقوب حروف ، قال في
غير مرة إن همه ذهب كال من أذكى من طلب العلم في ادمعة ،
واشدهم . كتاب على التخصس ، ووعاء للواحد ، وقوله فاصل
لأن همه كان يهدأ يعقوب - رحمة الله عليهما

وفي « مجلته نعمة نافت التذكارية » مثال على قوة الصلة
بين ارجس وصفاثها . ففي ١٩٢٦ احصل العالم العربى
« نابويل الدهي » لمجلة « المقتطف » فهدب الجالية اللبنانية في
سان دوير ، وعلى رأسها ، أبناء نعمة نافت ، إلى الاعراب عن
تقديرها ، في مثال رائع من العزوة صاع حاسة ليهدى إلى
صاحب المقتطف في ذلك النوبيل ، وركبت على « عذبة المصروعة
من الحجر الأعلى الوردى لوحة من ذهب نقش عليها الاهداء

في بيت من الشعر الكريم نظمها المرحوم فوزي المصروف

هذا مثال عروس العلم حاملة

الكليل عار إلى شيخ الخلاب

يهدى على ذهب الكراميا وعسى يهدي على الناس في يومه الذي

وقد ذهب شيخ آل روث ، والشاعر ، وإلهدي اليه ، و
لها رجم ، وبوقت المظف ، ولكن التمثال اليوم و
- هدية من بيت حروف - على رأس السلم المص إلى الصائق
الأعلى في دار المصنعة أحديده ، ويقضى له أن يعقوب
ونعمه عن ماله ، لما وجدنا مكانا أبعث على رحمة من مكانه
اليوم .

أما الدار هـ ، فتجمع في حطوطها من البساطة والروعة ،
وهي ثلاثة أدوار ، ندخلها من باب المباح إلى « الكلبة » ودا
أنت في جوالاسفل الذي يتوسط الدور الثاني - هـ « بهارس
العربية والاسكيزية » مرتبة في بطاقات مصفوفة في أذراع قائمة
في أجناس الشامي وأخوي . وهما أبص الشرفة التي تعار منها
الكتب وتعاد . وفي الطرف الشرقي للبهو ، مثال صبي من
الرحام الناصع لشمعه شديد يافث ، قائم على وعده من الرحم
الأحمر إلى سواد ، وقد نقش على أجناس وراه ، عبارة مؤداها

أن هذه الدار شئت تحليدًا لذكرى نعمه نعت . وبني الهوس
من الشرق حجرة للمصالة ، ومن العرب مكاتب لمدير المكتبة
وموظفيها ، حيث تفرز الكتب وتقهرس - وليس للكتاب
وجود حتى يدخل عنوانه وأمر مؤلفه ومحات القهرس العام -
ومن أحوب حجرة أخرى للمصالة فيها طاقة مختارة كبيرة
من المحلات . وأما بقية الدور فحجرة واسعة صفت فيها رفوف
زاهية بالكتب .

وتحت الدور الثاني دور أرضي ، بعده أو نحو بعده
خصص لرفوف الكتب ، وعدد طرفيه الشرقي والغربي جدران
متسعات ، للدراسة والمطالعة ، أما الشرق منها ، فقد أقيم في
طرفه الجنوبي فدان مؤسس الجامعة ، الدكتور دابال بلس ،
وهو مصوغ من رحام كرام الأيتاني العاشر ، وقد صنع بأمر
المرجي الحامدة في مصر والسودان وأهدى اليها سنة ١٩٠٤
بعد ، اعترف الدكتور دابال بس رسمتها في سنة ١٩٠٢ وأما
الغربي فهو للدراسة والمطالعة أيضاً والكنك ترى في ناحية منه
رفوفاً مساحة تحمل كتب المراجع الكثيرة ، من معجرات
ومعاملات وما أشبه ، ويلحق بدير الهوس حجرات للاستراحة
ومحاضرات للسيدات والفتيات لرجال ، وبين الهوس رواق واسع
تعرض فيه الكتب القديمة أو الحديثة والصور والرسوم وغيرها

من روائع الفكر والهن ، حيا بعد حي .

ويحتوي الدور الأعلى على حجرة صف فيها رفوف للكتب العربية في المكتبة وبينها مجموعات كاملة لا تكاد تقدر بشمن مجلات « المتقشف » و « الملأل » و « لشرق » و « حياء » وغيرها . وقام على محاذة حدرييا الشرقي والشمالي ، قمرات خاصة بعد للطلاب أو الأئمة الذين يقومون بأبحاث خاصة ، فيجمع كل منهم على رف حمراء الكتب التي يراحمها ويعرف أن العمل في حر يعنى فيه عطر الخفية والجهاد في سبيلهم ، وأمام كل قمرة نافذة واسعة عالمة تطل على البحر وعلى حدل لسان . وفي الساحة الخرسية خمس حجرات مستعدي لأئمة الدراسات المتخصصة في أدب أو التاريخ وغيرها ، وفي العربية حجرة يؤوب إليها موشقو المكسمة وما لخرجة وإم الدراسة ووث المكتبات في محامرات نقل ومساهمات مسود .

وقد سارت مكتبة الجامعة أقسام الجامعة في موه واستاعها بعض الذين تولوها على تعاف السنين ، وأدى وهجوم ، من كتبهم أو ما هم أو وقتهم ، وقد كالت في السنة الأولى بعد إنشائها لا تكاد تضم أكثر من ألفي عهد فاذا بحداثها اليوم ترقى على التسعين ألفاً وهي تزداد ازداد مطرداً ، وفي طبعه ما محتوية مئات ومئات من المخطوطات ، ومجلدات المتخصصة في

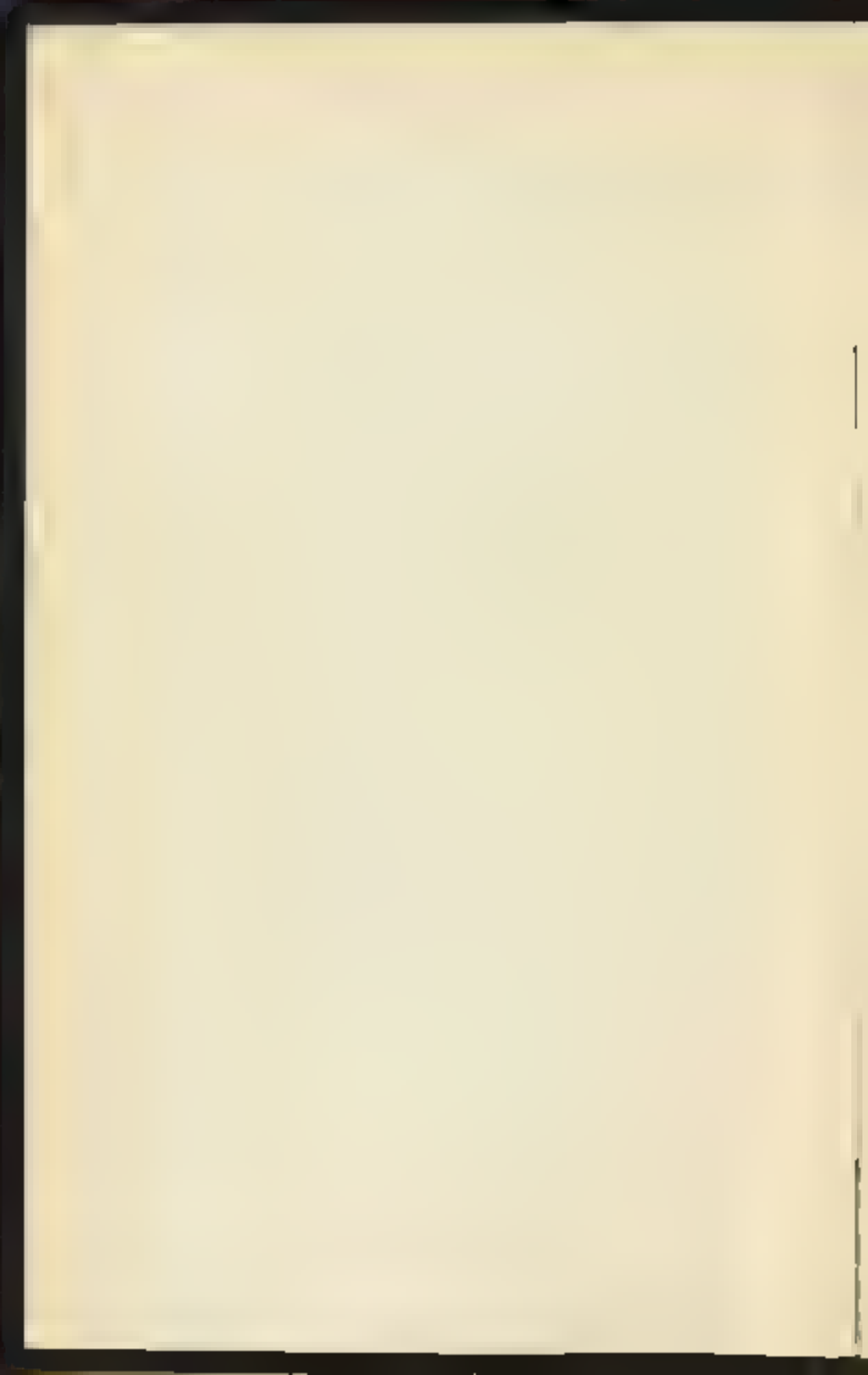
شئ ألوان العلوم والفنون ، والمشورات الرسمية للدول العربية .
ولمكتبة العامة فروع هي جره أصيل منها - في كلية الطب ،
وكلية الهندسة ، وكلية الزراعة ، حيث تتاح كتب التخصص
وأبحاث العلمية المختصة لطلاب كل كلية وأساتذتها .

ولذا ما ألب هذه الدار ، التي تعد بحق قلب الجامعة ،
وخرجت من دورة قصيرة من رفوها وفي أبحاثها وعدت إلى هو
الاستقبال ، فلا مفر لك من أن تقف هيبة أمام مثال همه
باهت - اعظم إليه تر في قيمته وجهه ، ونظرة عبية ، معاني
القوة ، قوة الفكر وقوة الخلق ، فالعلم يدي ناله في الجامعة ،
ثم ثبته ووسع نطاقه بالتعليم والمطالعة والتأليف قبل أن يرح
لبان ، ثم قرنته بالتحريم في مدرسه الحياة بعد أن رحه ، قد
هدب فطرته الصافية ، وصل طبعه الكريم ، وإذا الرجل يشن
من بيئة لسان الصبغة إلى الفصا ، إلى بيئة متراصة عربية
مستحكة (بالكاف المكسورة) وهذا هو يتحول من التعليم
إلى التجارة إلى الصاغة ، وليس في وفاته حين تحول ، من
عدة سوى الاقدام ، والاهم على العمل ، والاستقامة ، فأملت
عنه ادبا ، فأعطى مثما أحد ، فاهالت عليه علامات التكريم
والتقدير . ولعل الدين يعون اليوم بعلقة العدالة الاجتماعية في
ميادين الصناعة ، ويقرأون فيها الكتب التي تؤلف ، ويبحثون

الظلم التي تقع ، يدهشهم أن يصحوا أن نعمه دون أقل على تطبيق العدالة الاجتماعية على أعماله الواسعة ، قبل أن تؤول أكثر الكتب الحديثة فيها ، وقبل أن تصح من المبادئ الراسية عند أهل التفكير الاجتماعي وفي مباحث الأحزاب - فالحكمة التي تقطرت في طهرته السليمة ، جعلته في هذا الباب من الرواد .

وهو خرج من الدار ، واستند وأبى حارح مبي
 « الكلية » القدم حبيب عاش معه دون وعلم منذ ثلاثة أرباع
 القرن سمعت هاتفاً من أعماق بيتك بيتك عسى أن تكون
 سيرته ، وهذه الدار التي يبني باسمه هذه لشباب اليوم ،
 وحدهم لهم إلى الأفعال على أمثال الدافئة في الحاة وعلى الأمان
 أن الأساسات هو حديث بعده ، فكأن حديثاً حسناً من
 وعى ؟



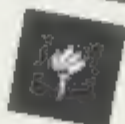


T 248

work

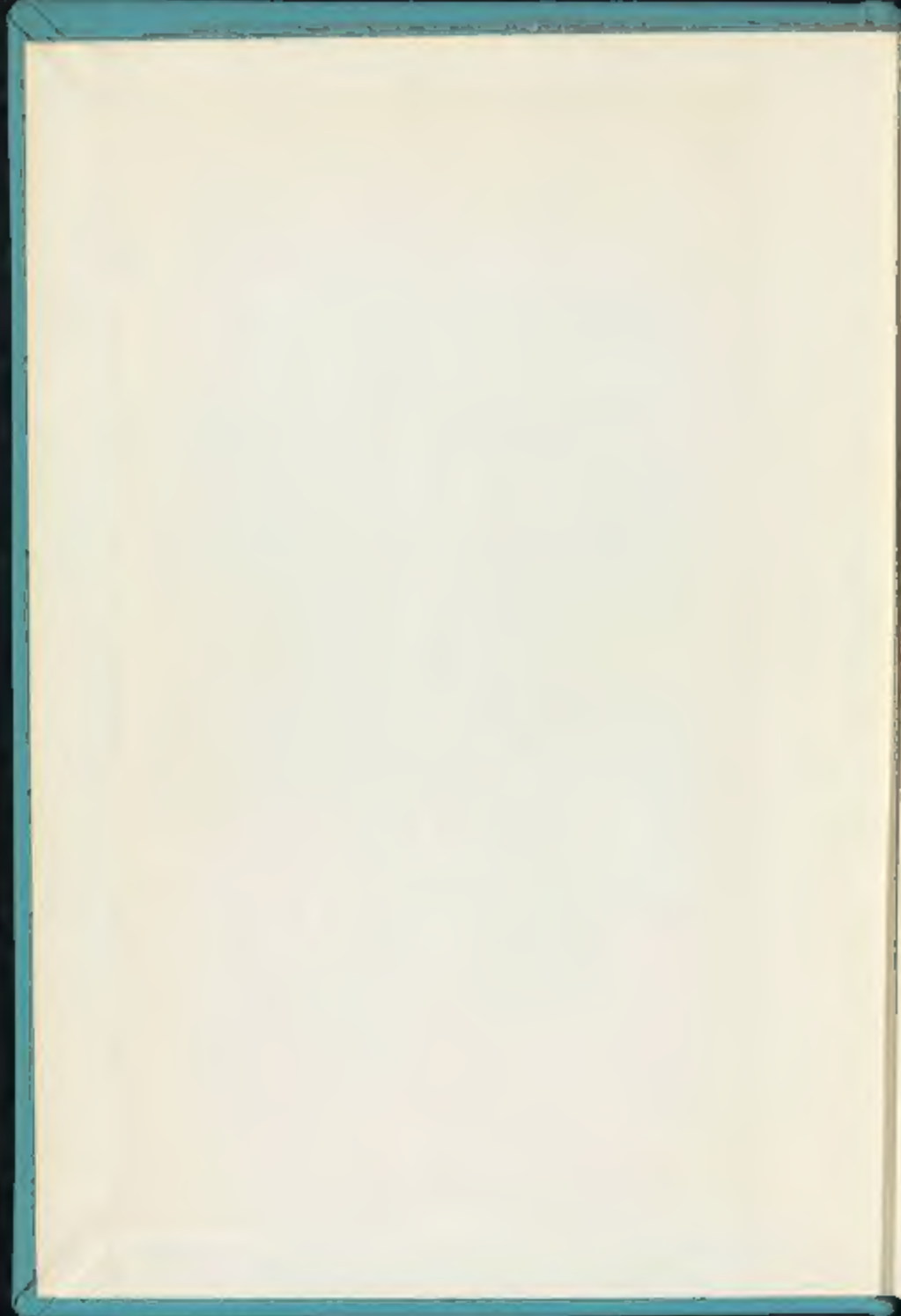
FE-3775-33
c-17F
CC

6



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**



NYU - SOBST



31142 02823 4402

AC106 .S27 1954

As of 1954, 1954-1955